الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليـم العـالي والبحـث العلمـي

جـامعـة أبي بكر بلقايد تلمسان

كليـــة العلـــوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

قســـم: التاريخ وعلم الآثار

شعبة: الثقافة الشعبية

مذكرة لنيل شهادة دكتوراه تخصّص اللّهجات

تحت عنوان:

دراســة السلــوك اللغوي فــي الجامعــة الجزائريــة

ظاهرة الازدواجية والتلاهج في كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

-جامعــة أبي بكر بلقايــد تلمســان-

إعداد الطـالب: إشراف الأستاذ الدكتور:

✍ فريد داودي ✍ أ.د.عبد الجليل مرتاض

أعضاء لجنـــة المنـــاقشـــة:

أ.د.بومدين بن موسات	رئـيـسـًا	أستاذ التعليم العالي	جامعـــة تـلمســان
أ.د.عبد الجليل مرتاض	مشـرفـــاً	أستاذ التعليم العالي	جامعـــة تـلمســان
أ.د.جـلايلـي أحمـد	منـاقـشـاً	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي النـعامة
د.بـــوغـــازي الطـاهـر	منـاقـشـاً	أستاذ محاضر (أ)	جامعـــة تـلمســان
د.جيلالي بن يـشـو	منـاقـشـاً	أستاذ محاضر (أ)	جامعـــة مستغـانـم
د.أمـينـة طـيـبـــي	منـاقـشـةً	أستاذة محاضرة (أ)	جامعة سيدي بلعباس

السنـة الجـامعيـة: **1433-1434هـ/2012 – 2013**

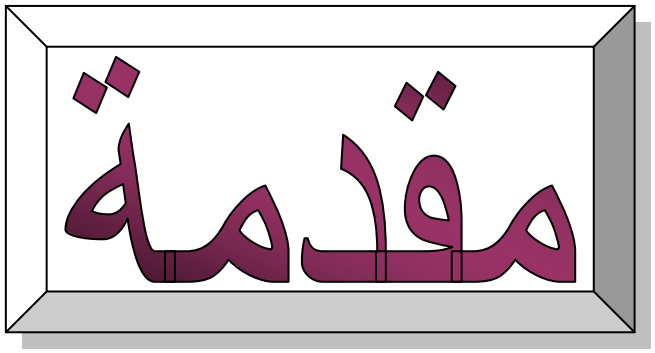
مقدمة

إن اللغة في استعمالها اليومي أداة بتوسلها الإنسان لإتمام عملية التواصل بينه وبين أفراد بيئته، ولا تقتصر اللغة في الواقع على أداء عملية التواصل، وإنما يبقى التواصل المظهر الإستعمالي الأساسي للغة، ويقتضي التواصل اللغوي نقل الدلالات والمعاني بواسطة الإشارات الصوتية ضمن بنية وتنظيم لغوي يشترك فيه الناس من حيث الأداء والاستعمال، وبذلك يميّز محيط لغوي معين.

تنبثق هذه الفكرة أساسا من كون اللغة نظاما سلوكيا يأخذ أشكالا متعددة ومتداخلة في الوقت نفسه.

إن موضوع اللغة وعلاقتها بمستعمليها هو إشكالية البحث للعديد من العلماء في أنحاء العالم، نظرا لتطوّر العصر الّذي سمح بتسهيل التواصل بين أفراد المجتمع أو بين أفراد مجتمعات أخرى، فالتطوّر التكنولوجي لوسائل الإعلام والاتصال قصّر من المسافات وقرّب ما كان بعيدا.

فأصبح الناس لهم معرفة بلغات ولهجات عديدة فزاد اهتمامهم بهذا الأمر أكثر مما كان عليه من قبل فضلا عن اكتسابهم لأكثر من لغة واحدة، وقد أصبح هذا الاكتساب بديهي وعادي في عصرنا الحالي، إذ أنّ مجتمعنا لم يعد منعزلا كما كان الأمر من قبل بل أصبح عنصرا من الكل يسمى بالمجتمع العالمي (Universal Society) أو مجتمع مصغر (Micro society) من مجتمع أكبر (Macro society) في ظل ما يسمى بالعولمة (Globalisation) أو عصر الانفتاح؛ فاللّغات أصبحت جسورا ومفاتيح تسمح لمكتسبيها بالتطلّع على ثقافات ومجتمعات أخرى فيخلق هذا فُرص النّجاح في كل الميادين والدليل على ذلك كون أنه من أهم الشروط للتوظيف في جميع القطاعات هو معرفة لغات أخرى؛ فتحوّلت

اللغة إذن من وسيلة للتواصل بين الناس إلى أداة ووسيلة للنّجاح وشغل مراتب عالية في المجتمع.

ومن هنا نستنتج أّن موضوع اللغة وتطوّرها تجاوز مرحلة الوصف من طرف الباحثين إلى مرحلة التحليل والتدقيق بما أنّها تعدّ الآن عامل اقتصادي وسياسي أكثر منه اجتماعي وتواصلي.

لكن العصر الحديث وتطوره كشف عنصراً آخر بدأ يأخذ أهميته شيئًا فشيئا، وهو تطوّر اللّهجات وانتشارها، بل تعدت ذلك على أنّها أصبحت في بعض الأحيان تأخذ مكانة اللغة نفسها.

فبدأ الحديث عن خطر اندثار بعض اللغات بسبب انخفاض نسبة استعمالها وارتفاع نسبة استعمال لهجاتها، واللغة العربية مثال حي لهذه الوضعية. فبين متفائل لمستقبلها ومتشائم، تتضارب الآراء من خلال البحوث اللغوية، فمنهم من دق ناقوس الخطر حول مصير العربية ونعى موتها ومنهم من يرى تطورها وازدهارها متحدّيا كل تيار جارف لمستقبلها؛ وبين تضارب الآراء تبقى اللغة العربية بلهجاتها ميدان واسع للبحوث العلمية ومنبع يروي الباحث عطشه، فهي شاهد حي ليس للعرب والمسلمين فقط بل للإنسانية بأكملها.

ولعل أحد أهم ميادين البحث التي قد تساهم في شرح العلاقة بين اللغة ومستعمليها تلك التي تدرس السلوك اللغوي.

لقد وقع اختيارنا في هذا البحث على الجامعة الجزائرية وبالتحديد جامعة أبي بكر بلقايد كموقع تتفاعل فيه اللّغات واللهجات كونها نقطة التقاء العديد من الطلبة من مختلف أنحاء الوطن بلهجاتهم ولكناتهم المختلفة، وحددنا كلية

الآداب والعلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية كمركز تستوفي فيه شروط الالتقاء التنوعين اللغويين الأساسيين اللغة العربية كأوّل لغة تدرس وتدرس بها العديد من المقاييس في مختلف الأقسام واللهجة أو اللهجات المختلفة. هدفنا من هذا هو تحليل ظاهرة الازدواجية والتلاهج كسلوك لغوي في الوسط الطلاّبي.

سبيلنا في ذلك المنهج الوصفي والإحصائي الّذي هو مقسم إلى بابين: الباب الأول وهو الجانب النظري، حاولنا من خلاله إعطاء نظرة مبسطة وشاملة عن مختلف العناصر المكونة لهذا البحث وهم: اللغة، اللهجة، اللغة العربية، اللهجات العربية، السلوك اللغوي، ويأتي مفصّلا منظم كالآتي:

الفصل الأول وعنوانه "اللغة واللهجة والعلاقة بينهما" وهو فصل يهدف إلى وصف العلاقة بين اللغة واللهجة من خلال رأيين أساسيين؛ رأي علاقة الفصل بين اللغة واللهجة كعلاقة العام بالخاص.

أمّا الرأي الثاني فهو علاقة الجمع بين اللغة واللهجة تحت لفظ واحد وهو التنوع اللغوي.

أما الفصل الثاني والموسوم بـــ: "اللغة العربية ولهجاتها" وهو يصف أصل ومسار اللغة العربية وعلاقتها بلهجاتها عبر العصور إلى جانب وصف مكانة اللغة العربية في الجزائر منذ قدوم العرب إلى الجزائر إلى غاية وقتنا الحالي، وهو فصل يهدف إلى إبراز أحد العناصر الأساسية للبحث الميداني.

أما الفصل الثالث "السلوك اللغوي" فهو يصف، من خلال آراء الباحثين، ماهية السلوك والسلوك اللغوي بدوافعه وعوامله التي تؤثر في اختيار الفرد لتنوع لغوي معين في تواصله مع الآخرين.

ومن هنا ننتقل إلى الباب الثاني وهو الجانب التطبيقي في هذا البحث وهو منقسم إلى ثلاثة فصول.

في الفصل الأول وعنوانه: "منهجية البحث الميداني في علم اللهجات" آثرنا أن نبين أفضل طريقة للبحث الميداني في انتقاء المعطيات الأساسية لتقويم نتائج كمية وكيفية وموضوعية.

أما الفصل الثاني وهو "ظاهرة الازدواجية في كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية" وهو فصل يتضمن دراسة ميدانية لظاهرة الازدواجية في الوسط الطلابي وماهي درجة تأثرهم بها من خلال فترة ملاحظة وتقصي ثم فترة المشاركة وأخيرا فترة الاستبيان، وفي الأخير استخراج النتائج ومناقشتها.

لا تقريبا في البحث الفصل الثالث وهو بعنوان: "ظاهرة التلاهج في كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية"، ومن خلاله سنحاول إعطاء مفهوم تقريبي لمصطلح التلاهج ثم رصد وضعية التلاهج داخل أقسام الكلية.

فمن خلال تحليل وتقويم كل هذه المعطيات سنحاول الإجابة على الإشكالية التالية:

- ماهي العلاقة بين السلوك اللغوي وظاهرتي الازدواجية والتلاهج؟ وإلى أي مدى يؤثر هذا السلوك اللغوي في التفاعل اللغوي للجامعة؟ وتندرج من خلال هذه الإشكالية أسئلة ثانوية وهي:

1- ماهي العلاقة بين اللغة واللهجة؟

2- ماهي أهم العوامل المؤثرة في السلوك اللغوي؟

3- ما معنى الازدواجية وماهي درجة استعمالها في الجامعة؟

4- ما معنى التلاهج وماهي درجة استعمالها في الكلية؟

وحتى يتسنى لنا أجوبة على كل هذه الأسئلة بعض الفرضيات قد تساعدنا لبلوغ هدفنا وهي:

1- أن العلاقة بين اللغة واللهجة مرتبطة بدرجة استعمال كل منهما وهذا لا يعني أن هناك علاقة العام بالخاص.

2- أن هناك علاقة وطيدة بين العربية ولهجاتها وهذا من القدم.

3- أن السلوك اللغوي هو أهم عامل في اختيار واستعمال أي تنوع لغوي مهما كانت الدوافع وبدونه لا يمكن أن يكون هناك لغة.

4- إن الازدواجية والتلاهج هما ظاهرتان تنتميان إلى السلوك اللغوي.

5- إن ظاهرة الازدواجية والتلاهج عنصران أساسيان في التواصل بين طلاب الجامعة نظرا لعدّة عوامل مختلفة.

الباب الأول

الجانب النظري

الفصل الأول

اللغة واللهجة والعلاقة بينهما

مقدمة:

في هذا الفصل سنحاول إعطاء نظرة شاملة على اللغة واللّهجة مركّزين على العلاقة بينهما، قصد بلوغ هذا الهدف سنتطرّق إلى رأيين متباينين يشكّلان تيارين مختلفين.

التيار الأول: وهي فكر الفصل بين اللغة واللّهجة، وفي ذلك سنعطي بعض التعريف لهما كلٌّ على حدة ثمّ نوضّح العلاقة بينهما.

أمّا التيار الثاني: فهو رأي لا يفصل بينهما يعتبرهما تنوعين لغويين تجمعهما ما يسمى بالتفاهم المتبادل (Mutual intelligibility)

I- ماهية اللغة:

لقد تعدّدت التعاريف للغة من البسيط إلى المعقد لكنّنا سنركّز على تلك التي لها علاقة بالتواصل والمجتمع، فاللغة هي الوسيلة الأولى التي يستعملها الإنسان ليعبّر عن أحاسيسه ويقضي بها أغراضه في المجتمع، كما أنّها العامل الأول الذي يجمع بين أفراد المجتمع الواحد دون العوامل الأخرى، فالنّزعة الدينية أو الوحدة الوطن تأتي بعد الوحدة اللغوية؛ فنجد مثلا لبنان أين هناك اختلاف في العقائد والديانات لكن تجمعهم لغة واحدة هي العربية، كما تجمع اللغة الانجليزية الأمريكيون مع أنّهم لهم جذور مختلفة (Melting Pat).

ويعرّفها "عبد الجليل مرتاض" على أنّها: "اللغة Le langage بالمعنى الواسع وسيلة للتبليغ أو تواصل مستعملة من قبل المجموعة الإنسانية أو الحيوانية

بين المرسلات أو اللغة مركبة من وحدات دنيا تدعى علامات Signes أو إشارات Signeaux..."[1].

كما تعرف اصطلاحا اللغة من لغَا يَلغُو وهي مجموعة من الأصوات التي يعبّر بها أفراد مجتمع معيّن عن حاجاتهم وأغراضهم، كما أن المعنى اللاتيني Lingua هي الدلالة المعجمية لكلمة Langage والتي تفيد أيضا الكلام واللّسان.

ويتّضح أن اللغة هي مجموعة من الكلمات والأصوات والقواعد الثابتة التي من خلالها يتحقّق فعل الكلام وبالتالي هي التي تمكن مجتمعا من التواصل وإنتاج المعرفة.

إن اللغة إذن؛ هي ظاهرة يمكنها أن تتّخذ صورًا فردية أو صورًا كونية، يمكن بواسطتها أن يتفاهم سائر أفراد المجتمع أو مجتمعات مختلفة، وفي نفس الوقت يمكن أن تكون ظاهرة معقّدة إذ أنها موضوع بحوث في مجالات مختلفة كالفيسيولوجيا، وعلم الاجتماع، والأنتروبولوجيا، وعلم النّفس، واللّسانيات...الخ، وهي مجموعة من أنظمة تنقسم حسب مستويات عديدة منها: المستوى الصوتي، المستوى المعجمي، الدلالي، النحوي، تسيّرها عن باقي اللغات الأخرى في العالم.

فاللغة إذن هي نظام صوتي يمتلك سياقا اجتماعيا وثقافيا له علاقته ورموزه وهو قابل للنمو والتطوّر يخضع في ذلك للظّروف التاريخية والحضارية التي يمرّ بها المجتمع[2].

---

1)- عبد الجليل مرتاض: اللغة والتواصل، دار هومة، الجزائر، 2000، ص28.

2)- وزارة المعارف: عناصر اللغة العربية وخصائصها، دار المعارف، مملكة العربية السعودية، ص04.

أمّا في معجم الوسيط فأصل كلمة لغة هي: لغَا ما لا يعتمد به؛ يقال تكلم باللَغَا وما لا يحسب في العدد في الدية والبيع ونحوهما لصغره، وسقط القناع والصوت (اللغة) أصوات يعبر كل قوم عن أغراضهم، (اللغي) ولغات ويقال سمعت لغاتهم اختلاف كلامهم.

(اللّغو) ما لا يعتمد به من كلام وغيره ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع والكلام يبدو من اللّسن ولا يراد معناه ومنه اللغة في اليمين وهو ما لا عقد عليه القلب مثل قول القائل (لا والله وبلى والله)[1].

وقد فسّر دي سوسور اللغة على أنّها منقسمة إلى كلام Parole ولسان Langue كما هو واضح في الشكل التالي[2]:

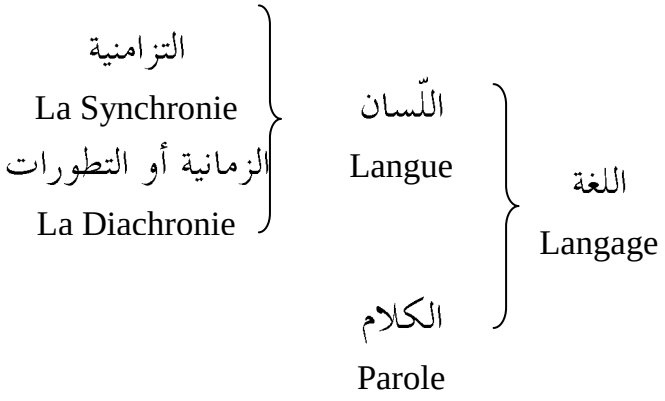

وبهذا فالكلام هو إنتاج لغوي فردي يتميّز به الفرد عن الآخرين وهذا ما يعرف بالـــIdiolect أو لغة الفرد، ويقصد من هذا فعل التكلم الّذي يفرّق بينه وبين الآخرين. وحسب الباحثين فإنّنا لا نجد طريقة كلام واحدة بين فردين وإن

1)– جلال الدّين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها في باب اللاّم، مكتبة المشكاة الإسلامية، د.ط، د.ت.

2)– عبد الجليل مرتاض: اللغة والتواصل، ص26.

كان الحال كذلك فإنّ من البديهي وجود فرد يقلّد الآخر، ووجوه التمييز في الكلام قائم في جميع المستويات فنحن لا نتكلّم عن اكتساب اللغة Input، بل إنتاجه Output.

أمّا اللّسان فما هو مشترك بين أفراد المجتمع أو ما يعرف بلغة المجتمع (Sociolect) وهي القاسم المشترك بين كل الناس بغضّ النّظر عن طريقة كلام كل واحد منهم،

ويفسّر العلماء أن اللغة هي مجموعة من لهجات منها محلّية ومنها جهوية، كما هو مبيّن في الرّسم التالي[1]:

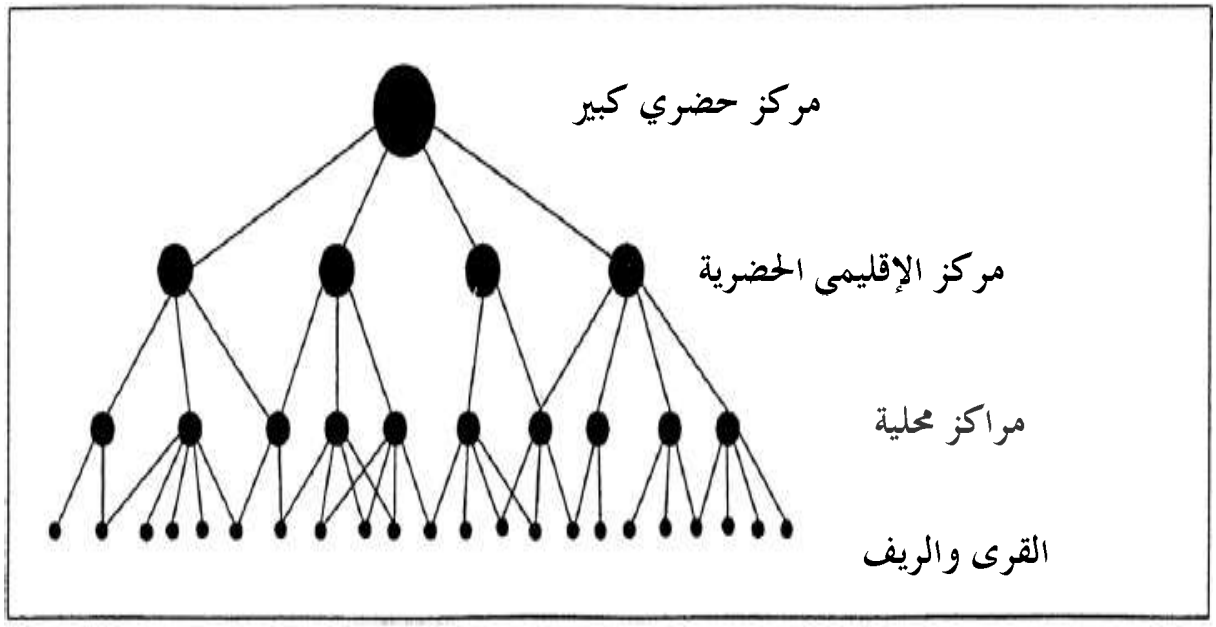

لهجات محلّية وجهوية

1)– Chambers, J. K. and Trudgill, P. J. Dialectology.(1998). 2nd edn. Cambridge: Cambridge University Press, p196 بتصرّف.

II- ماهية اللّهجة:

ورد في معجم العين لابن منظور أنها تعني طرف اللسان، وجرس الكلام ويقال فصيح اللهجة وهي لغته التي جبل عليها فاعتادها[1].

واللهجة في اللسان[2] أو ما يتصل باللسان في آليته لَهَجَ (ل هـــ ج) بالأمر لهجًا أولع به فثابر عليه واعتاده فهو لهج ولاهج والفصيل بصرع أمه لزمه فهو لاهج ويقال لهج الفصيل أمه تناول فرعها يمتعه فهو لهوج [3]، كما ورد في لسان العرب لابن منظور في باب (زين) حيث يقول: "زينو أصواتكم بالقرآن الكريم والمعنى إلْهجوا بقراءته وتزيّنوا بها"[4].

ويقول أيضا في نفس الباب "ليس منا من يتغنّ بالقرآن أي يَلْهَجَ بتلاوته، كما يلهج سائر الناس بالغناء والطرب، ومن هنا نستشف أن كلمة لهجة (لَهَج) كانت متصلة أولاً بالعضو أي اللسان وطرفه آليته واستعماله ثم انتقلت إلى مفهوم واسع وهو الكلام والتحدث.

أما اصطلاحا فلم يُعْرَف مصطلح اللهجة كعنصر في الدراسات اللغوية القديمة إذ أنّ معظم العلماء العرب كانوا يستعملون مصطلح "اللغة" في وصفهم لاختلاف طريقة الكلام من منطقة إلى أخرى ومن مجتمع لآخر فقيل لغة طيّئ

---

1)- خليل بن أحمد الفراهيدي: تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السمرائي، دار مكتبة الهلال، مادة (لَهج).

2)- الفيروز أبادي: قاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، مادة (لهج). أبى بكر الرازي: مختار الصحاح، دار الهدى للطباعة والنشر، ط4، الجزائر، 1990، مادة (لَهَج).

3)- إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار: معجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار المشكات الالكترونية، 2008، مادة (لَهَج).

4)- ابن منظور: لسان العرب، ، دار المشكاة الالكترونية، 2008، باب (زين).

ولغة تميم ووصفهم لطريقة الكلام التي كانت تختلف كثيرا أو قليلا عن العربية الفصحى.

أما اللهجة فكانت تستعمل أحيانا في وصف الإلمام بطريقة معينة في الكلام كما جاء في حديث رسول الله ε: "ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر" [1]؛ فاللهجة إذن اللّسان أو طرفه ولغة الإنسان التي جبل عليها فاعتادها يقال فلان فصيح اللهجة وصادق اللهجة، وهي طريقة من طرق الأداء في اللغة وجرس الكلام.

أما في الاصطلاح العلمي الحديث فإن استعمال مصطلح اللهجة للدلالة على "...مجموعة من الصفات اللّغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة"[2].

لكن هذا التعريف قد يشمل أيضا مصطلح اللغة ولهذا نجد وصف اللهجة مرتبط بوصف اللغة أو متصل بها. وهذا ما جاء به شامبرز Chambers وترودجيل Trudgill في وصفهم للهجة "اللهجة هو مصطلح ينطبق على تنوعات للغة خاصة تلك التي تستعمل على حدى في كل أنحاء العالم..."[3].

---

1)- ابن منظور: لسان العرب، باب (غبر). إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار: المعجم الوسيط، (لَهجَ).

2)- مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص320.

3)- J.K. Chambers, P. Trudgill : Dialectology Cambridge, University press, 2nd Edition United Kingdom, 2004, P: 03.

ويضيف ترودجيل على أنها "تنوع لغوي تَختلفُ عن الآخرين من حيث النحو والصرف والصوت وهي متصلة بمنطقة جغرافية و/أو خاصة بطبقة اجتماعية معينة أو مجموعة معينة من أفراد المجتمع"[1].

ومن هنا انبثق رأيين أساسيين في وضع علاقة بين اللغة واللهجة:

1- الفصل بين اللغة واللهجة.

2- الجمع بين اللغة واللهجة.

وهما رأيان انكبّت فيهما كل التعاريف للغة واللهجة.

III- علاقة الفصل بين اللغة واللهجة:

لقد عرّف الكثير من العلماء اللهجة هي جزء من اللغة أو أن للّغة فروع تدعى لهجات ظهرت حسب تأقلم الإنسان ببيئته وطبيعته ومجتمعه، فعرّف "إبراهيم أنيس" العلاقة بين اللغة واللهجة هي: "علاقة العام بالخاص، فاللغة تشتمل عادة على عدّة لهجات لكلّ منها ما يميّزها وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات"[2].

ويصف روبرتز "Roberts" عن اللهجة "العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة" [3]، ويصف عبد الواحد عبد

---

1)- P. Tradgill: Introducing language and society Penguin book LID, England, 1992, P:23.

2)- إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، 2003، ص16.

3)- محمد أحمد أبو الفرج: مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، 1992، ص93.

الوافي أن لغة المحادثة تتشعب في البلد الواحد أو المنطقة الواحدة إلى لهجات مختلفة تبعا لطبقات الناس وفئاتهم"[1].

وقد اتفق العديد من علماء على أن هناك فرق كبير بين اللغة واللهجة بأن الأولى تتوفر فيها شروط وخصائص تكاد تكون منعدمة في الثانية وهي:

أ- الشروط: لقد حدّد العلماء الحكم على أي نظام تواصلي إنساني أو تنوع لغوي بأنه لغة، أن يتوفّر فيه الشروط التالية:

- ✓ الاستقلالية: وهو أن يكون هذا التنوع اللغوي مستقل تماما عن باقي التنوعات اللغوية الأخرى، وبهذا فهو رمز لمجتمع معين يميز عن باقي المجتمعات الأخرى.
- ✓ المعيارية: أي لغة لابدّ أن تكون منتشرة في جميع أنحاء المجتمع وهي لا تختلف باختلاف المناطق الجغرافية أو فئات معينة من مجتمع واحد.
- ✓ القبول: وهو شرط بديهي إذ أنه لا يمكن لأي لغة أن تكون منتشرة في كل أنحاء مجتمع معين بلا قبول، ومعناها أن كل تنوع لغوي قُبِلَ واستعمل بين كل أفراد المجتمع هي لغة[2].

ب- خصائص اللغة: لابدّ أن تتوفر فيه بعض الخصائص وهي عبارة عن أنظمة تبنى عليها قوائم اللغة وهي:

---

1)- علي عبد الواحد وافي: نشأة اللغة بين الإنسان والطفل، دار المعارف، لبنان، 2002، ص132.

2)- Lesley Milroy and G Mathew, Sociolinguistics, Method and Interpretation. Blackwell publishing, 2003, MA USA, P: 115.

- ✓ النظام الصوتي: وهو الّذي يحدد نطق الكلمات أو أجزاء الكلمات وفق أنماط مقبولة أو متعارف عليها لدى الجماعات اللغوية.
- ✓ النظام الدلالي: ويعني ترتيب الوحدات المعنوية وفق سمات الدلالية المعروفة أو المقبولة في اللغة.
- ✓ النظام النحوي: ويعني ترتيب كلمات الجُمَل أو الجُمل في أشكالها المقررة في اللغة.
- ✓ النظام الصرفي: وهو النظام الّذي تعالج فيه أو من خلاله بنيات الكلمات وأنواعها وتصريفاتها أو اشتقاقاتها.
- ✓ النظام المعجمي: ويقصد به مجموع المفردات اللغوية المتاحة للتعبير عن المعاني والمواقف المختلفة في إطار اللغة.

ومن هنا كان التفريق بين اللهجة واللغة على أساس ترتيب يخضع لحدودٍ لسانية معينة فكل تنوع لغوي تتوفر فيه هذه الشروط، فهو لغة وإلاّ فهو لهجة، فأصبحت اللغة هي ذلك التنوع اللغوي الراقي المستعمل في الرسميات مُقترنة لدرجة التعلم والعلوم في حين وضعت اللهجة درجة الانحطاط والجهل، ويذهب الكثير من الباحثين إلى اعتبار اللهجة أحد عوامل ضعف اللغة وانحطاطها أو أكثر من ذلك موتها واندثارها، وهذا ما نجده جليا في عصرنا الحالي حول مشكلة اللغة العربية وضعفها مثلا ويعزو حالتها إلى عدم استعمالها في البلدان العربية وهيمنت العامية (اللهجة) في التواصل بين مجتمعاتها، كما يذهب العديد من الباحثين إلى اعتبار أن اللغة العربية ستندثر اندثار اللغة اللاتينية إذا ما لم يعنى بحمايتها، وهذا ما أدى إلى ما يعرف بقانون التعريب في بعض الدول مثل الجزائر قصد صد انتشار العامية ولغات أخرى مثل الفرنسية في المجتمع.

تحامل على الباحثين أن اللغة بحدّ ذاتها هي مرتبطة بتطور المجتمعات متكلمة بها كما أنها مرتبطة أحيانا بقرارات سياسية وإعلامية لا علاقة لها بنتائج علمية، وتاريخ الإنسانية يشهد على ظهور وموت لغات بقرارات سياسية أكثر منها علمية فالانجليزية مثلا التي تعتبر أحد أرقى اللغات في العالم ماهي إلاّ نتاج اختلاط تنوعات لغوية مختلفة من الجرمانية الكلتية، الفرنسية... وهذا الاختلاط سببه الغزوات المختلفة التي شهدتها بريطانيا في تاريخها[1].

لقد لاحظ قمبيرز "Gumperz" 1982 فيما سماه " a bewildering array of language and dialect dirision"، "فالعوامل الاجتماعية التاريخية تلعب دورا كبيرا في وضع الحدود اللغوية: اللغة الهندية واللغة الأوردو في الهند الفانتي والتوابي في غرب إفريقيا، ألكسُو والأَيْمَرُ في البيرو، كلها تعتبر لغة Discrete Language سواء في مفهومها الشائع (Popular Belieg) أو من جانب القانون لكنهم وعلى الصعيد اللساني هما متشابهتان. بينما يعتبر العديد من الباحثين أن عامية العراق، المغرب ومصر في العالم العربي، لهجات رجَّستان وبهار في الهند، اللهجة الغالية الشمالية والجنوب في بلاد الغال بريطانيا مع أنها مختلفة تماما إلاّ أنهم يعترفون إلاّ بلغة واحدة فقط[2].

ومن هنا أصبح من الصعب وضع حدود لغوية بين اللغة واللهجة، فأحيانا يثبّت البحث العلمي مكانة تنوع لغوي على أنه لغة، بينما تحكم عليها

---

1)- AlbertCroll Baugh, Thomas Cable History of the English Language Routledge Taylor and Francis Group, London, 2000, P: 211-237.

2)- Gumperz : a Bewildering Array of Language and Dialect Division, 1982. Ronald Wardhaugh : An Introduction to sociolinguistics, Willey publications 6th ed United Kingdom, 2011, P :25.

عوامل اجتماعية ثقافية وسياسية على أنها لهجة والعكس صحيح، ففي الجزائر مثلا هناك صراع لغوي بين العربية واللهجات الأمازيغية؛ باعتبار اللهجة الأمازيغية لغة وطنية، وهذا بالرغم من وجود بعض النقائص اللسانية العلمية التي مازال الكثير من الباحثين في هذا المجال يتخبطون فيها كطريقة كتابة الأمازيغية مثلا في تعليميتها "هل هو بالأبجدية العربية أو اللاتينية أم التيفيناغ" [1]، إلى جانب كون العديد من الباحثين يعتبرون اللغة الأمازيغية لغة بائدة ونسبة كبيرة من اللغة الحالية هي عبارة عن ألفاظ وتراكيب عربية.

لقد علّل هوقن "Haugen" حول موضوع الفصل بين اللغة واللهجة أنه من الصعب تحديد بدقّة عدد اللغات واللهجات في العالم، وهذا نظرا للإبهام في مفهوم هذين اللّفظين، والسبب راجع إلى الاستعمال لفظ لغة بتنوع راقٍ عن لفظ "لهجة" بينما برهن كيف يتطور تنوع لغوي بسيط إلى لغة إذا ما اتصل بتطور الكتابة (Writing) والوطنية (Nationalism)[2].

ومن هنا نستنتج أن نظرية الفصل بين اللغة واللهجة في عصرنا الحالي هي فكرة شعبية اجتماعية أكثر منها علمية، فتطوّر المجتمعات وارتفاع النمو الديموغرافي إلى جانب الانتشار السريع لوسائل الإعلام بشتى أنواعها تجعل من الصعب وضع حدودٍ بين "اللغة" و"اللهجة"

---

1)- عد إلى أعمال صالح بلعيد وخاصة كتاب في المسألة الأمازيغية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1999 حيث يدافع على كتابة الأمازيغية بالأحرف العربية، أمّا أعمال حدادو خاصّة Guide de la culture et de la langue Berbères، ENAL-ENAP، 1998 أين يدافع كتابة الأمازيغية بالأحرف اللاّتينية.

2)- Haugen E: Dialect language nation, sociolinguistics, Edited by J. B Pride and Janet Holmes, 1979, Penguin Books, Great Britain, P: 97.

وهو كما ذكره " Haugen" في نفس الموضوع إن استعمال هذه الألفاظ (اللهجة واللغة) يُوجب التقسيم في ماهو سائر... فالحدود مهمة كثيرا وغير مؤكدة[1].

ومن هنا ظهر تيار ثاني يجمع بين اللغة واللهجة في إطار واحد سمي بـــ"التنوع اللغوي".

IV- علاقة الجمع بين اللغة واللهجة:

ينطلق التيار الثاني من مبدأ طرح أسئلة بسيطة خالية من التعقيد وهي: ماهو عدد اللغات في العالم؟ وكم هو عدد اللّهجات في كلّ بلد؟

إنّ صعوبة الإجابة راجعة إلى سببين أساسيين أولهما هو أنه لم يتم حصر وتعداد كلّ اللّغات واللّهجات بعد، وهذا ما يؤدّي إلى السّبب الثاني وهو كما فسّره "هوجن" (E.Hugen) أن عدم إحصاء كلّ اللّغات واللّهجات في العالم راجع إلى الإبهام الموجود في اللّفظين نفسهما؛ أي اللّغة واللّهجة[2].

كما يشرح "هودسون" (Hudson) في هذا النّطاق أن لتفاد أي إبهام فإنّه لا توجد هناك لغة أو لهجة بل تنوع لغوي الّذي هو مجموعة من عناصر متجانسة Homogeneous set of Items، وهذه العناصر هي العناصر الصوتية الدلالية المعجمية...الخ[3].

---

1)- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2)- Haugen. E: Dialect Language Nation, P: 28.

3)- HUDSON : Sociolinguistics Cambridge University press 2nd, Edition 1996, P : 32.

كما يذهب "هدسون" إلى أبعد من ذلك حين يعلق على التفريق بلفظي اللغة واللّهجة بأنّها: "التفريق بين اللغة واللّهجة هو جزء من فلكلورنا" [1] مبعدًا بذلك أي استعمال لهذين اللّفظين في المجال العلمي الحديث، وبهذا فدراسة اللغة واللهجة على أنها تنوعات لغوية متكاملة هي أكثر دقّة من التفريق بينهما، فالتنوع اللغوي المستعمل في كيبك بكندا هو قريب إلى حد ما من الفرنسية بما أنه يشترك معه في عدّة مواجهات وبما أنّ هناك تفاهم وإن كان غير كلي متبادل بينهما فهذا تحليل، وحسب بعض العلماء من بينهم "فيرغوسون" Ferguson هو أكثر موضوعي من وصف الكيبيكية على أنّها لهجة منحدرة من الفرنسية راجعة لكون الكنديين في كيبك لهم أصل فرنسي الشيء الذي يرفضه الكيبيكيون الذين يعتبرون الكيبيكية لغة مستقلة الآن وإن كانت فرنسية من قبل.

إن موضوعية استعمال التنوع اللّغوي تكمن في بحث وتحليل مدى استعماله في وسط المجتمع وبهذا يصف أو يحكم على تنوع لغوي مهمل من طرف المجتمع بأن هذا المجتمع قد اختار تنوع آخر وجده أحسن وأرقى بدلا من استعمال كلمة موت واندثار لغة أو لهجة على حساب لغة أو لهجة أخرى.

فنعطي لهذا الحكم بعدا سياسيا اجتماعيا أكثر منه علميا، ومع أن هذا التيار وجد له صدى كبير في وسط العائلة العلمية.

لكن ربما نجد، وإن كان قد توصّلوا إلى حل بين اللّفظين إلاّ أنّ هذا المنهج يمكنه أن يضيع في متاهات لغوية تبعده عن الأهداف المراد وصولها، فإذا اعتبرنا أن التنوع اللّغوي هو عبارة عن مجموع عناصر معينة تميزه عن الآخرين

---

1)- المرجع نفسه، ص33.

فإنّما وكما قاله "رونالد واردوغ" (Ronald Wardhaugh) سوف نحاول التفريق بين مجموعات صغيرة تتكلم نفس التنوع اللغوي فهناك مثلا: الانجليزية المعيارية (Standard English) الكوكني "Cockney" تنوع لغوي للطبقة السفلى لمدينة نيويورك إنجليزية أكسفورد أو تنوع اللغوي المستعمل في السهرات على مستوى واحد.

كما يفسر وليام لابوف[1] أن كلمة لهجة " Dialects" أو "Dialectos" كانت توصف به أعمال أدبية كتبت في جهة معينة من اليونان حتى يفرقوا بذلك بين المناطق فيقولون عمل مسرحي بلهجة أثينا مثلا أو سبارتا[2].

وخلاصة القول أنه قد نجد أن كلا التياران محقان في تحليلهما إذ أن التفريق بين اللهجة واللغة تجعل الحكم على ذلك أو هذا التنوع اللغوي لهجة، فلا يمكنها أن تصبح لغة إلاّ توفرت فيها بعض الشروط التي معظمها سياسية اجتماعية، أكثر منها علمية؛ وهذا ما لاحظناه في الاعتراف باللغة الأمازيغية كلغة وطنية. أو لربما نحاول الحفاظ على اللغة كماهية وهذا من المستحيلات كما فسّره العديد من الباحثين مثل: سابير هودسون، لابوف...

ومن الصعب أن نتكلّم عن اللهجة واللغة بصفتهما صنفين لغويين يجمعهما التفاهم المتبادل أو دراستهما كصنفين لغويين وهذا كما أشرت يؤدّي

---

1)– R. Wardhaugh Introduction to Sociolinguistics Blackwell Publishing 5th Edition 2008, P : 40.

2)– William Labov : Sociolinguistics Patterns, University of Pennsylvania press 11ed, 1972, P : 192.

إلى ظهور العديد من الأصناف اللغوية التي لا تستطيع حصرها في نطاق لهجي أو لغوي.

فالعلاقة بين اللهجة واللغة مرتبطة ارتباطًا كبيرًا بدرجة استعمالهما فلا يمكن اعتبار اللغة أقوى إذا كانت لا تستعمل في نطاق واسع وإذا أخذنا مثال التلميذ في المدرسة الجزائرية، فهو أحيانًا يوبخ لأنه قال صْبَحْ لْخِيرْ بدلاً من صَبَاحُ الخَيْرِ فالأولى نطق حسب معلمه بالعامية أو لهجة الشارع ولابدّ أن ينطق باللّغة العربية مع أنّه لم يغير شيئًا من تركيبها، فالتوبيخ من طرف المعلم معناه استعمال لغة أو صنف لغوي منحط وله كل العذر.

لكن المشكلة الموجودة هي ما انتهى الدرس وخرج هذا التلميذ إلى الشارع مع أصدقائه لا يمكن له استعمال هذا الصنف الراقي من اللغة أي الفصحى وحتى في المترل مع أبويه وإلا ربما سيلتقي بمعلمه يتكلم بما سماه لغة الشارع المنحطة التي وبخ بسببها.

ففي هذا النطاق يفسر هدسون أن الحكم على أن هذا صنف اللغوي هو لغة أو لهجة يعود إلى التقدير والاحترام الذي يكنّه الفرد أو المجتمع لأحدهما.

في معظم الأحيان يضع الناس العلاقة بين اللغة واستعمالها في المجالات الرسمية والكتابات الأدبية بينما اللهجة يعتبرونها منحطة مع أن استعمالها هو أكثر من الأولى.

وإذا رجعنا إلى هذا التلميذ، فإننا نجده لا يفرق بين العامية والعربية ولكنه يعرف أنه يجب عليه أن يستعمل الفصحى في المدرسة حتى لا يوبخ والعامية خارج المدرسة حتى لا يلقى لسخرية الآخرين.

ومن هنا فإنّ مشكلة العلاقة بين اللّهجة واللغة هي أكثر مشكلة درجة استعمال أحدهما، ثم يأتي من أي زاوية يراها الباحثون فإذا رأينا اللّهجة من باب زاوية علاقة العام بالخاص[1].

فإنّنا نراها بمعنى ما هو أعلى اللغة بها هو أدنى، وبذلك نكون قد حكمنا على اللّهجة بالانحطاط ولا ندع لها فرصة للتطور، محاولين الحفاظ على اللغة التي بدون تطور اللهجة تصبح ضعيفة وهشة.

وإذا اعتبرنا اللّهجة كصنف لغوي مثله مثل اللغة ووضع علاقة متكاملة بينهما فإنّنا نستطيع بذلك فتح الأبواب لتنوع لغوي (اللهجة) التي يمكن أن يصبح ويتطوّر إلى تفرع آخر (لغة).

1)– إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، ص16.

الفصل الثاني

اللغة العربية ولهجاتها

مقدمة:

إن اللّغة العربية هي إحدى اللّغات السامية وهي من بين أكثر اللّغات انتشارا في العالم وهي اللّغة الرسمية لأكثر من 170 مليون نسمة بالإضافة إلى أنّها تستعمل بين مليار نسمة في العالم. يهدف هذا الفصل إلى إعطاء مسار اللغة العربية منذ نشأتها وتطوّرها إلى جانب إعطاء نظرة مبسّطة لتاريخ أبجديتها.

أمّا في القسم الثاني فسنحاول تسليط الضوء على اللهجات العربية وتوزيعها في العالم العربي.

I- اللغة العربية:

اللّغة العربية هي لغة سامية تنحصر من اللغة المعروفة بالأفرو أسيوية وهي ما كان يعرف من قبل باللّغات الحامية السامية[1].

إنّ أصل الكلمة لا يعرف بدقّة، فقد استعمل في اللّغات الأشورية البابلية والعبرية والّذي كان يتواصل بها البدو الّذين أتوا من الصحراء [2]، إن أول كتابات بالعربية تعود إلى 328 الميلادي في الصحراء السورية تعود إلى عهد النبطيين[3].

لقد أصبحت العربية لغة معيارية ورسمية منذ ظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم بها، فأصبحت متداولة بين المسلمين سواء عرب أو عجم.

---

1)- Andrew Dalby : Dictionary of langage AXC black, London, 2004, P : 7.

2)- Philip Strazny : Encyclopedia of linguistics V (A-L Taylor and francis group, New york, 2005, P : 74.

3)- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فلعب الدين دورا هامًا في المحافظة على هذه اللغة، ومع أن هناك العديد من العلماء الّذين يعتبرونها لغة صافية غير متغيرة بما أنها لغة القرآن الكريم أو كما وصفها القدماء بأن صحراء شبه الجزيرة العربية هي حامية اللغة العربية فإن هذا الرأي تحول إلى فكرة رومانسية لا علاقة لها بالواقع، لكن رغم ذلك فإنها من بين اللّغات الأفروأسيوية القادرة بدليل أنها حافظت على الكتابة الأصلية التي تعود إلى 328 للميلاد[1].

I-1- تاريخ الأبجدية العربية:

ككل اللّغات التي لها أصول وجذور عميقة في تاريخ الإنسانية فإن للعربية وتاريخها آراء وروايات عديدة منها أن يعرب بن قحطان كان أول من تكلم بها فسميت باسمه، يروى أن سيّدنا إسماعيل ابن سيّدنا إبراهيم عليهما السّلام كان أول من تكلم بالعربية المبينة وهو في سنّ الرابع عشر، بينما نسي لسان أبيه، ويذهب آخرون إلى أنها لغة سيدنا آدم في الجنة.

علميّا وحسب الآثار التي وجدت فإنّ الأبجدية العربية انبثقت من شمال الجزيرة العربية وهي تنحدر من مجموعة من اللّهجات تعرف بلهجات شمال الجزيرة العربية القديمة، وقد قسمت إلى أربع مجموعات حسب تصنيف نقوش التي اكتُشفت حتى الآن وهي:

- الحيائية[2] والصفوية.
- اليهودية والنبطية.

---

1)- Philip Strazny : Encyclopedia of linguistics, P : 75.

2)- Sarah G. Thomason: Encyclopedia of linguistics 2nd, Ed: Elsevier, Nov 2005, P: 424.

كما جاء في وصف اللّهجات الشمالية مايلي: "...أنّ النّصوص التي حفظت لنا اللّهجات العربية الجنوبية في النّقوش، كذلك الحال في اللّهجات العربية الشمالية التي نستطيع أن نميّز بين أربعة أنواع منها: وهي اللحيانية والثمودية والصفوية والنبطية وتمتاز اللّهجات الثلاث الأولى بمخطوطات المشتقة من الخط العربي الجنوبي بخلاف اللّهجة الرابعة المنقوشة بخطٍ آمن"[1].

وذهب الأستاذ (أغاطيوس غويديّ) في وصفه إلى ذكر الفرق بين اللّهجات والتي يعتبرها أصل اللغة العربية الفصحى حاليا: "أما الفرق الخاص الّذي يفرّق بين هذه اللّهجات فهو أداة التعريف التي في الثمودية والصفوية (الهاء) وفي العربية النبطية (الألف واللام)"[2].

ومن هذه النقوش ظهرت أول أحرف اللغة العربية مكتوبة ومنها: "ل غ س م ب ن ش م ت بن خ ل أل بـــ ن و ح ل ل هـــ د ر س ن ت. ق ن س هـــ م ل ك أل ع و ذ و ح ر ص"[3].

ومع أنها تبدو بسيطة إلاّ أن هذه الأحرف لها دلالة عن أصول العربية المنحدرة في تاريخ الإنسانية، فهي تعني بالعربية الفصحى:

1- الغاسم بن شامت بن خليل (أي خليل الله) بن بانت وحلّ بالدار (أي المنزل) سنة فنس (أي قاص أو طلب دية) الملك عويذ ورصد أشباع الأسيرة (أصحاب الأسرى) فيا بعل السماء رواحًا للّذي غنظ.

---

1)- أ. أنوليتمان: لهجات عربية شمالية قبل الإسلام، مجمع اللغة العربية، الملكي- القاهرة، المطبعة الأميرية، 1937، ص247.

2)- نفس المصدر، ص248.

3)- نفسه، الصفحة نفسها.

2- لبدر بن الأصلح بن الأبجر وشتا بالدار وذبح فيا لات سلامًا.

I-2- تطور اللغة العربية:

تطورت اللغة العربية الحديثة عبر مضي ألفي سنة عن ولادتها فقد كانت -قبل الإسلام- تسمى لغة مفرد وكانت تستخدم في شمال الجزيرة وقد قضت على اللغة العربية الشمالية القديمة، بينما سميت اللغة العربية الجنوبية بلغة (حِمْيَرْ) نسبة إلى أعظم مماليك اليمن في ذلك الوقت، وما كان النصف الأول من الألفية الميلادية ينقضي حتى تطوّرت وتفرقت إلى ما يعرف بلغة قريش ولغة هذيل ولغة ربيعة وفضاعة...الخ، ومع أنّ كلّها تعتبر لهجات أو كما يلقّبونها بألسنة إلاّ أن نزول القرآن الكريم بلسان قريش جعل منها الجامع لكل هاته الألسنة تحت لغة تسمى باللغة الفصحى نسبة إلى قريش التي كانت أفصح العرب[1].

ظلّت العربية تكتب بشكل خال من نقاط أو رموز (غير منقوطة) حتى منتصف القرن الأول الهجري، وما فعله أبو أسود الدؤلي في ضبطه للقرآن الكريم كان بهدف المحافظة على كلام الله تعالى كما نزل على رسوله الكريم وهذا بسبب اتساع الدولة الإسلامية واختلاط العرب بأجناس أخرى مخافة على القرآن الكريم أن يمسّه أي لحن أو تحريف، لكنه في نفس الوقت فتح هذا اللغوي الفقيه باب في مجال دراسة اللغة للعديد من الباحثين الّذين حاولوا بعد ذلك قصد تطويرها، كما فعله الخليل بن أحمد نصر بن عاصم الليثي ويحى بن يعمر

1)- ت.م. جونستون: دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية، تر: أحمد محمد الضبيب، دار العربية للموسوعات، 1983، ص9، وعبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص18-26.

العدواني أو مراقبة تطورها واحتكاكها مع ألسنة أخرى كما فعل ابن جنّي وغيره.

فأصبحت اللغة العربية رمز الحضارة أبهرت العالم برقيها وسرعة اتساعها بفضل اعتناق الناس لهذا الدّين فتراجعت الحضارات الأخرى التي أصبحت بائدة وميتة فأسست الدولة الأموية أول دولة تتكلم باللغة العربية كلغة رسمية[1].

ثمّ تبعتها الدولة العبّاسية أين أصبحت اللغة العربية الجسر الواصل مع اللّغات الأخرى وثقافتهم وعلومهم فازدهرت الترجمة وخاصة من اليونانية والفارسية وظهر من خلالها مصطلحات علمية وأدبية جديدة ودخلت العربية مرحلتها التعليمية للمسلمين الغير العرب فسار معها تطور العلوم اللغوية كالنحو والصرف، والأصوات وفقه اللغة والبلاغة والمعاجم...

وعلى الرغم من انقسام وانحطاط العالم الإسلامي إلى دويلات في العصر العباسي الثاني واتخاذ لغات أخرى في الإدارة كالتركية والفارسية إلاّ أنّ العربية صمدت وأصبحت النواة الأساسية في المجتمع العربي الإسلامي[2].

I-3- العربية في العصر الحديث:

إن اللّغة العربية في العصر الحديث هي عصارة ونتيجة المئات من السنين من التغيرات التي أثرت في تاريخ المجتمع العربي الإسلامي ورغم العوامل التاريخية التي أحاطت إلى حدّ بالأمة العربية، إلاّ أن العربية حافظت على توازنها في المجتمع بفضل استماتة علمائها ومقاومة أهلها ضدّ كل غزو ينوي محوها وبذلك

---

1)- يوهان فك: العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، تر: رمشان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، 1980، ص174.

2)- نفس المصدر، ص175.

محو الهوية والشخصية العربية الإسلامية، وفي مطلع القرن التاسع عشر ظهرت بوادر تطور اللغة العربية شأنها في ذلك شأن العالم بأجمعه من تحولات اجتماعية جدرية.

فتحوّل أوروبا من مجتمعات أوروبية زراعية إلى مجتمعات صناعية وطبقية قوية أدّى بِها إلى مجتمعات باغية ومستعمرة ومن ثمة فقد بدأت اللغة العربية تخطوا خطواتها الثابتة إلى ما يعرف الآن بالعربية الحديثة الفصيحة (MSA) حسب اللّسانيين الأجانب وهذا راجع إلى عوامل مهمة وهي:

– عدد كبير من علماء الغربيين ما يعرف بالمستشرقين انكبّوا على اللغة والثقافة العربية فبدأوا يدرسون مزاياها كما أنّهم أدخلوا بواسطة الترجمة العديد من الكتب الغربية في العالم العربي و لم يقتصر عملهم على هذا فحسب بل أصبحوا من دعاة إحياء اللّهجات المحلية وإحلالها محل العربية ومنهم: سيبتا مستشرق ألماني دعا عام 1880م إلى العامية بدل الفصحى، ودلمور وهو قاضي انجليزي عاش في مصر وألف عام 1902م كتابه أسماه (لغة القاهرة).

هذا إلى جانب مستشرقين آخرين الّذين كانوا يحقدون على الإسلام واعتبروا أن اللغة العربية هي العامل الأساسي لحماية القرآن الكريم والقضاء عليها بمعناها القضاء على الإسلام بكامله مثل اللورد كرومر Lord Cromer والّذي له كتاب (مصر الحديثة) أين يحثّ على جعل (لغة القاهرة) كلغة التعليم الرسمية في المدارس والجامعات، وقد أشار حافظ إبراهيم إلى محاربة كرومر إلى العربية حيث قال:

قضيت على أمّ اللغات وإنه قضاء علينا أو سبيل الردى

فكان رد فعل العرب هو تعميم تعليم اللغة العربية في مدارس خاصة للقرآن الكريم أو خفية عن الاستعمار فكان تبسيطها لتعلمها في أسرع وقت هي الدعامة الأساسية لهذه المدارس.

– انتشار تعميم التعليم وخاصة بعد استقلال الدولة العربية فأصبح تلقين اللغة العربية لا ينحصر إلاّ على العلماء البلغاء بل وأصبحت اللغة العربية الحديثة بسيطة وفي متناول الجميع، ولربما يرجع الذكر أن العلاّمة ابن خلدون قد أشار إلى حصر تعليم اللغة العربية حيث قال ابن خلدون في مقدمته [1]: وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن (علم الأدب) وأركانه أربعة دواوين وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتابع لها وفروع عنها، وهذا دليل على حصر العلوم بالعلماء ومن يجالسهم، فما يعرف بديمقراطية التعليم لكل الناس ليعد عاملاً آخر في انتشار اللغة العربية الحديثة.

الكم الهائل للمعرفة الغربية سواء كانت علوم أدب أم فلسفة، لقد حدث وأن تلقّى العرب والمسلمين مثل هذا التدفق المعرفي من خلال الكتابات والعلوم الإغريقية إلاّ ما حدث هو سرعة التدفق في العصر الحديث نظرا لتطور الطباعة وكثرة الاختراعات والاكتشافات والابتكارات مما أدّى محاولة العرب لترجمتها في أسرع وأبسط طريقة مقتنعين أن النتائج هي أهم من لغة النتائج، ورغم هذا

1)– مقدمة: ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني لنشر، بيروت، 1991، ص425.

لا يزال العرب متأخرين في مجال الترجمة وخاصة المصطلحات العلمية الحديثة التي تتغير كل يوم.

تطور وسائل الإعلام والاتصال وخاصة الوسائل المرئية (التلفزيون الحاسوب)، ثمّ إن انتشار القنوات الفضائية للتلفزيون خلقت منافسة وصراع كبيرين مما أجبر العديد منهم إلى ترك ما يقدّم باللغة الفصحى والالتجاء إلى اللهجات أو اللغة العربية المبسطة لجذب أكبر عدد من المتتبّعين البسطاء واقتصرت اللغة العربية على البرامج الدينية والثقافية وبعض النشرات الإخبارية.

ومن هنا أصبحت اللغة العربية الحديثة (MSA) هي سليلة اللغة العربية الفصحى غير متغيرة في أساسياتها ولكن تغيرت كثيرا ولا زالت تتغير في مفرداتها وعباراتها[1]، كما ووصفت كذلك بأنها "في تواصل دائم مع كلّ اللّهجات الوطن العربي"[2].

كما يعرفها فرغسون[3] في مقال شهير له في 1959؛ على أنها الميزة التي تشكل العلاقة بين العربية الحديثة وباقي الأصناف اللغوية في العالم العربي، فأصبحت كما يعتبرها العديد من علماء اللغة على أنها صنف أدنى من اللغة العربية الفصحى أو كما يلقيها العديد من العرب بلغة الصحافة أي أنها نقطة التلاقي بين اللغة الفصحى الراقية (High Variety) واللهجة (Low variety)

1)−Clive Holes : Modern Arabic, Structures Functions and Varieties, Now York , 2004 P :04.

2)− Bahloul Maher : The Syntax and Semantics of Taxis, Aspect Tense and Modality I nstand and Arabic Ilhaca, 1994, P: 03.

3)− FERGUSON Charles. A : Diglossia in DELL HYMES, Pidginization and Creolization of Language, Campbridge University Press, London, 1971, P: 429-737.

فانبثق من هذا ما يسمى بدعاة المحافظين على الفصحى ودعاة اللهجات الجهوية، ونظرا لتطور هاته الأخيرة في هذا العصر أصبح من السهل الآن معرفة أصل وجهة كل لهجة بفضل انتشار وتطور وسائل الاتصال، ومع أن هناك بعض اللّهجات تطغى عن الأخرى في بعض القنوات الفضائية إلاّ أن توزيعها يكون حسب ما سنراه في اللهجات العربية.

II- اللّهجات العربية:

إن الهدف من هذا الفصل هو إعطاء نظرة شاملة ومبسّطة على تاريخ اللّهجات العربية وتطوّرها والتوزيع اللّهجي في العالم العربي الحديث والاختلاف الموجود بين منطقة وأخرى.

II-1- تطوّر اللهجات العربية:

كانت اللّهجات قبل ظهور الإسلام ذات تنوع واختلاف في المفردات والأساليب والتراكيب تنفرد كل منطقة بها أحيانا وتتميّز بها كل قبيلة في أغلب الحالات، وكانت تعكس تماما نمط العيش في جهة الجزيرة العربية، فالعرب حينئذ كانوا يعيشون في قبائل متفرقة ولكل قبيلة نظامها الخاص حسب البيئة والمكان والجغرافيا وثقافتها التي تنفرد بها عن باقي القبائل الأخرى، لكن هذا لم يمنع من وجود تواصل بين القبائل الأخرى ولهجاتهم بحكم العلاقة الاجتماعية والاقتصادية، فعلى الصعيد الاجتماعي كانت العلاقة ترابطية بين القبائل في النّسب والمصاهرة.

كما كان وجود مكّة كمركز للحجّ وملتقى للشعراء والزعماء من كلّ قبيلة، وعلى الصّعيد الاقتصادي كانت التجارة بين الشمال والجنوب في رحلتي

الصيف والشتاء يشكّل احتكاك بين العرب من كلّ أرجاء المنطقة، لكن هذا لم يمنع القبائل في ذلك الوقت أن تشعل نيران الحرب مع قبائل أخرى وكانت في بعض الأحيان تدوم سنين كحرب داحس والغبراء وحرب البسوس...الخ.

أما على الصعيد الخارجي فقد ساعد موقع شبه الجزيرة العربية سكانها في تواصلها مع عدّة شعوب كانت تعتبر حينها من أقوى الدول كبلاد الفرس والرّوم والأحباش وكانت علاقتهم بها أساسا هي علاقة تجارية في الدرجة الأولى.

كلّ هذه العوامل ساهمت إلى حدّ كبير في تطور لهجات مختلفة في أنحاء المنطقة واعتبار قريش أفصح العرب دليل على تأثير العوامل في رقيها بما أنها كانت تعتبر مركز التقاء معظم القبائل العربية فيها في عدّة مواسم اقتصادية ثقافية أو دينية، ووصف إبراهيم أنيس[1] هذه العوامل في مايلي:

"فقبيل الإسلام استمسكت كل قبيلة بصفاتها الكلامية في حديثها العادي وفي لهجات التخاطب ولكن الخاصة من الناس في تلك القبائل (قد لجأوا إلى تلك النموذجية التي نشأت في مكّة، في شؤونهم الجدية يخطبون بها وينظّمون الشعر وينفرون من صفات اللّهجات في مثل هذا المجال فاتصال العرب ببعضهم البعض خلق هناك انتقال لغوي ولهجي حتى يتسنى فهم بعضهم البعض دون المساس بلهجتهم الأم ويؤكد هذا ابن جنّي حين قال: "فإن العرب بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة الواحدة في دار واحدة، وهذا الاتصال

1)- إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، ص41.

الوثيق يؤدّي إلى اتصال لهجاتهم بعضهما ببعض، فبعضهم يلاحظ صاحب ويراعي أمر لغته كما يراعي ذلك من يهمهم أمره"[1].

فيؤدّي هذا الاتّصال إلى ظهور ثلاثة حالات ممكنة وهي كما جاء بها عبد الغفار حامد هلال[2]:

- تمسكه بلهجته الأصلية.
- انتقال لهجته إلى لهجة جديدة.
- اجتماع لهجته مع لهجة غيره.

أو كما قال ابن جنّي: "أعلم أن العرب تختلف أحوالهم في تلقي الواحد منها لغة غيره، فمنهم من يخف ويسرع فيقول ما يسمعه، ومنهم من يستعصم فيقول على لغته البتة ومنهم من إذا طال تكرار لغة غيره لصقت به ووجدت في كلامه"[3].

ويرجع السبب حسب إبراهيم أنيس إلى أنه كان من باب العيب أن يخطب رؤساء هذه القبائل في سوق كسوق عكاظ بتلك اللّهجة الخاصة بهم كما كانوا يرون عيبا أن يتحدّثوا في قبائلهم بغير لهجاتهم الأصلية [4]؛ وبصفة عامة فقد كان هناك نوعين من اللّهجات:

---

1)- الموصلي أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، عالم الكتب للطباعة والنضر والتوزيع، 2006، 1/15-16.

2)- عبد الغفار حامد هلال: اللغة العربية نشأة وتطوّرا، مكتبة وهبة، 1993، ص77.

3)- ابن جني: الخصائص، ص383.

4)- إبراهيم أنيس: اللهجات العربية، ص41.

1- لهجة البادية: وتخص القبائل التي تنتقل من منطقة إلى أخرى لظروف معيشية معينة وهذا النوع اللغوي يطغى عليه عنصر المحافظة وعدم التغيير وخاصة إذا ما عرفوا بطريقة معينة في النطق فيتمسكون بها ويرفضون أي تغيير.

2- اللهجة الحضرية: وقد وجدت خاصة في مراكز معينة من شبه الجزيرة سواء أكانت أسواق أم مراكز دينية كمكة والمدينة (يثرب)، ويطغى هذا التنوع اللغوي عنصر إجبار الآخرين عن التكلم به واحترامه فمتكلموه يعتبرون أنفسهم من طبقة راقية معينة لكن هذا التنوع اللغوي لا يعرف التعصب إذ أنه منفتح على تنوعات (لهجات أخرى) وإذا بدى الأمر كأنه تناقض.

إلاّ أن له شرح منطقي إذ أن هذه المراكز الحضرية كانت تستقبل القبائل من كلّ مكان لأغراض تجارية ولا عيب أن يتقبلوا لهجاتهم لكسب المال أكثر وفقط، وبهذا فقد توصل الحضري بلهجته إلى تواصل مع كل القبائل التي تزوره ففهم من طرف الكل وأجبرهم في خطاباتهم وأشعارهم إلى استعمال لهجته ففهم وفُهم ومثال قريش هو الدليل على أن لهجتهم هي نتيجة تقاطع لهجات القبائل الأخرى إلى جانب لهجتهم بالإضافة إلى كونها منطقة حضرية.

وفي هذا المجال ينقل السيوطي في الاقتراح عن الفارابي قوله: "كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللّسان عند النطق وأحسنها سموعًا وأبْيَنها إبانة"[1].

1)- عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار الجيل بيروت، ط1، 1989، ص47.

أمّا في العصر الحديث فقد تمّ تصنيف وتحديد كل منطقة لهجية على حدى حسب عناصر معينة تكون مغايرة للمنطقة الأخرى، وقد حدد إبراهيم أنيس أول أوجه الاختلاف هو النطاق وسرده على حسب العناصر التالية[1]:

1- اختلاف في النطق بعض الأصوات الساكنة كالكاف والقاف، الطاء، الضاد، الجيم.

2- اختلاف في نطق بعض أصوات اللين Vowels.

3- اختلاف في موضع النبر من الكلمة.

كما يفسر أنيس فريحة[2] أن التفريق بين اللهجات واللغة راجع إلى مايلي:

1- تغيرات في لفظ الحروف المصوتة (الحركات).

2- تغيرات في لفظ الحروف الصامتة.

3- تغيرات في المفردات من حيث المبنى والمعنى.

4- تغيرات في التركيب.

وهذه التغيرات هي نتيجة لعدة عوامل أثرت في اللغة فتفرعت إلى لهجات متعددة ومن بين هذه العوامل هناك السياسية والفردية والاجتماعية وغيرها، لكن ماهو خاص بالعالم العربي هو كثرة اللّهجات وتعدّدها حيث ما ذكرناه من قبل في تعدّد اللهجات العربية لا يعتبر إلاّ ما يعد بلهجات جهوية فاللبنانية مثلا

---

1)- إبراهيم أنيس: اللهجات العربية، ص58.

2)- أنيس فريحة: اللهجات وأسلوب دراستهما، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1989، ص1.91 -

)Ferguson C. A: D

Pinguin Books, 197

هي عبارة عن مجموع من اللّهجات كاللّهجات البيروتية (حسب الأحياء مثل لهجة الأشرقية، لهجة البسطة...الخ)[1].

وقد قسمت اللهجات العربية الحديثة إلى مايلي:

اللهجات المشرقية:

أ- لهجات مصرية:

- ✓ اللهجة صعيدية.
- ✓ اللهجة الإسكندرية.

ب- اللهجات النيلية:

- ✓ اللهجة السودانية.
- ✓ اللهجة التشادية.
- ✓ لهجة بقارة.

ج- اللهجات المشارقية (الشامية):

- ✓ اللهجة اللبنانية.
- ✓ اللهجة السورية وتضم:

- اللهجة الدمشقية.
- اللهجة الشامية.
- اللهجة الحمصية
- اللهجة الحلبية.
- اللهجة الساحلية.

---

1)- Ferguson C. A

Pinguin Books, 197

✓ اللهجة الديرية المازونية القبرصية:

- اللهجة الفلسطينية.

- اللهجة الأردنية.

- اللهجة العراقية.

د- لهجات جزيرة العرب:

✓ لهجة خليجية.

✓ لهجة إماراتية.

✓ لهجة بحرينية.

✓ لهجة قطرية.

✓ لهجة كويتية.

✓ لهجة سعودية:

- لهجة نجدية.

- لهجة حجازية.

✓ لهجة يمنية:

- لهجة بحرانية.

- لهجة عمانية.

- لهجة شحية.

✓ لهجات مغاربية:

- لهجات مغاربية رئيسية.

- لهجة مغربية.

- لهجة جزائرية.

- لهجة تونسية.
- لهجة حسانية.
- لهجة أندلسية.

✓ قبل الهلالية:

- لهجة جبلية.
- لهجة جيجيلية.
- لهجة صقلية عربية (منقرضة).
- لهجة مالطية.

✓ اللهجات البدوية الرئيسة:

- لهجة ليبية.
- لهجة حسنية.
- لهجة خليجية.
- لهجة نجدية.
- لهجة صحراوية.

كما هو موضح في الخريطة الموالية[1]:

التوزيع الجغرافي للّهجات العربية الجهوية

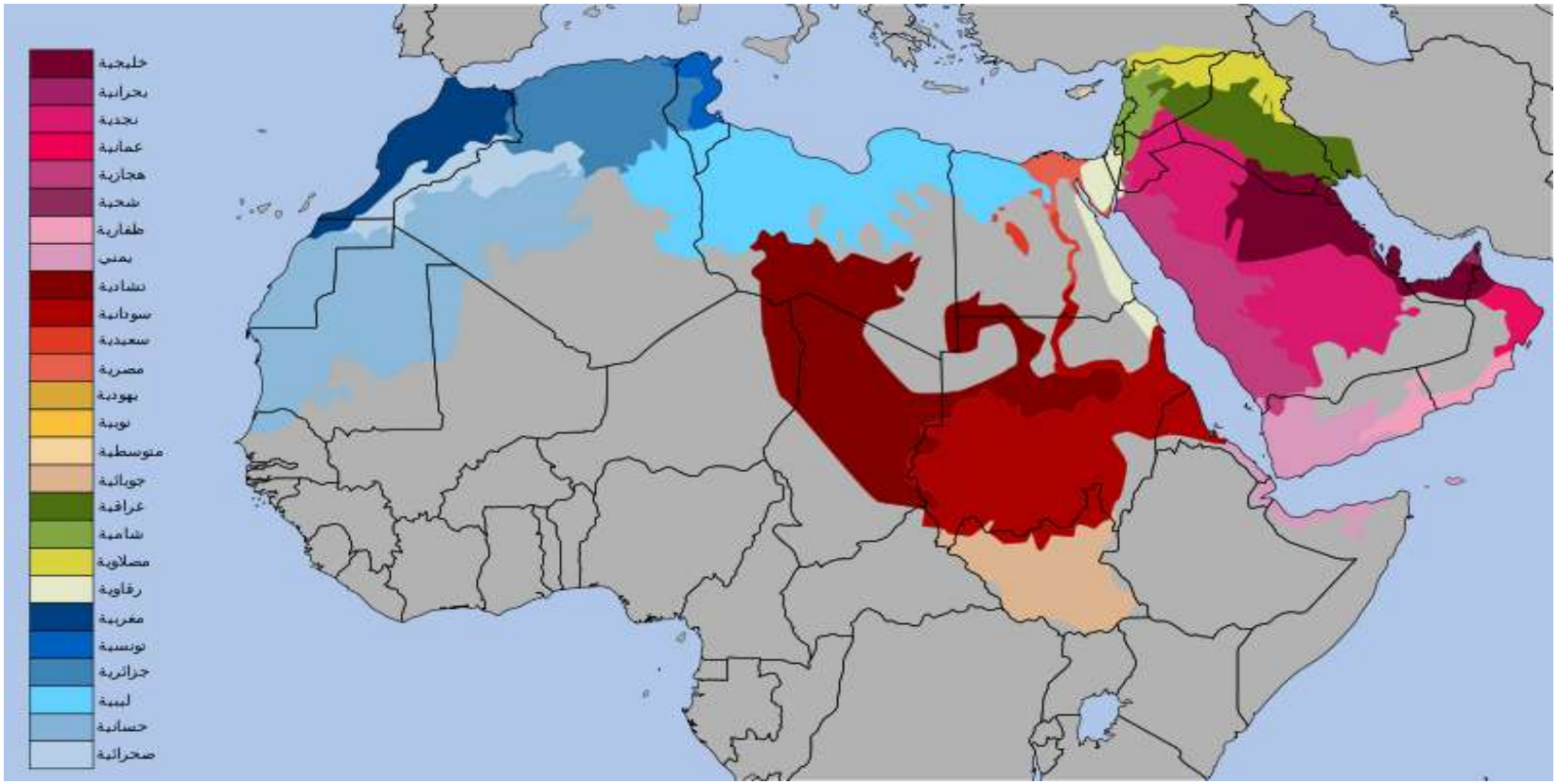

1)– www.wikipedia.org/wiki/arab_dialectal 2008.

ومنها الجدول التالي الّذي يبن أمثلة لأسئلة باللغة العربية الفصحى ومرادفها في بعض اللّهجات العربية مقارنة بين الأسئلة في اللهجات العربية المختلفة والعربية الفصحى[1]:

أسئلة بالعربية الفصحى	لماذا	كيف	متى	ماذا	هل	كم
العمانية	ليش	كيف	متى	إيش	/	كم
البحرينية	حقويش/لاو يش	شلون	مته	ويش/شنهو	هـــ[...]	جم
الحسانية (الموريتانية)	أعلاش	كيف آش	اسم وقت/ أينت	شَنهو	/	كم
الإماراتية	ليش	شقى/ شقايل	متى	شِنهو	/	كم/جم
الكويت	ليش	كيف/ شلون	متى	شنو/شنهو	/	كم/جم
تونس	علاش	كيفاش	وقتاش	واشنو/وشي	شـــ[...]	قداش
الجيزانية واليمنية	لَمّه	كيف	متى	ماهو	/	كم
الحجازية الحضر	ليه/ليش	كِيف	متى	إيش	/	كم/قدّ يش
االسودانية	ليه	كيف	متين	شنو/ايه	/	كم
العراقية	ليش/لشو/لوي ش	شلون	إشوكت	شنو	/	إشكد

1)- www.wikipedia.org/wiki/arab_dialectal2008.

الشامية	ليش	كيف/ ششلون	إيمتى/أمّيت	شو/ايش	شيـــ[...]	قديش
الأردن وفلسطين	ليش	كيف	وينتا/ايمتى	شو	/	قديش
مصر	ليه	إزاي	إمته	إيه	الضمير[...]	كام
الجزائر	علاش	كيفاش	وقتاش	واشنو/وشي /شتاهو	واش/واشنو	شحال /قداش
المغرب	علاش	كيفاش	فوقاش/إيمتى/و قتاش	آش/شنو	واش/وشنو	آش حال
ليبيا	وعلاش/علي ش	كيف	أمته	شني/شنو	هل	قداش/ ابكم
السعودية	ليش/وشوله	كيف/ وشلون	متى	وشهو/ وشو/إيش	/	بكم

II-2- اللغة العربية ومكانتها في الجزائر:

عرفت الجزائر منذ القدم تفاعلا لغويا كبيرا وهذا نظرا لموقعها الجغرافي الّذي يعتبر بوابة للقارة الإفريقية بأكملها، فكانت محطّ أنظار وأطماع العديد من الحضارات في حوض البحر المتوسط فنتج عن ذلك مراحل استعمارية في تاريخها، فمن الرومان إلى الوندال مرورا بالبرنطيين كل منهم حاول محو حضارة وثقافة شعب سمى نفسه بالأمازيغ أو الرجال الأحرار ولا نحتاج إلى بحوث معمّقة في المجال اللغوي، حتى نستشفّ درجة تصدي هذا الشعب لكل هذه الغزوات للحفاظ على هويته وثقافته الأصلية، إن ما وصلنا من الثقافة الأمازيغية وعلى رأسها التنوعات اللغوية سواء سميت بلغات أو لهجات لدليل على مدى حرص هؤلاء على ثقافتهم عند الزوال والنسيان، ومع أن هناك جدال كبير

وخاصة في مجال اللغوي بين من يعتبر اللغة الأمازيغية لغة بائدة وميتة ومن يعتبرها لغة تعرضت لمحاولة المسح لكنها مازالت حية نستطيع أن نقول أنّه بغض النّظر عن القرارات السياسية والشعارات الزائفة التي تزعم الدفاع عن هذه الثقافة في سبيل أهداف شخصيته فإن الثقافة الأمازيغية تبقى رمز وإرث وطني يدلّ على تاريخ الجزائر العريق في الحضارة الإنسانية الّذي يجب أن تعتز به.

وبهذا تصبح الأمازيغية مصدر توحيد وعنصر حافظ للوطنية وحب الوطن بدلاً من أن تكون عنصر تفرقة بين أفراد المجتمع الجزائري، والتاريخ هو أول معلم لهذه الوحدة والتعايش بين ثقافات عدّة وخاصة بين لغات مختلفة، فحين تفحص مسيرة اللغة العربية في جزائر من الفتح الإسلامي إلى يومنا هذا لدليل على هذا التعايش الثقافي واللغوي إلى جانب أنّه حافز مهم ضد أي تيار يتنبّأ بزوال الثقافة واللغة العربية.

يمتد تاريخ الجزائر إلى أعرق العقود القديمة حيث أثبتت الحفريات على وجود أول سكان لها في العصر الحجري الأخير أي ما بين 6000 و2500 سنة قبل الميلاد[1] الّذين عرفوا بالأمازيغ فيما بعد نسبة إلى جدهم مازيغ بمعنى الرجال الأحرار في روايات أخرى.

كما أنهم لقّبوا بالبربر من طرف الرومان والإغريق وهذه التسمية أعطيت لكل من لا ينتسب إلى هاتين الحضارتين، لغتهم الأمازيغية هي وليدة اللغات

1)- مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي: مبارك أحمد الميلي، الطبعة الثانية، ص21.

الحامية- السامية[1] وكتابتهم تعرف بالتيفيناغ وهي عبارة عن رموز أو رسوم بسيطة أكثر مما هي كتابة[2]،

ورغم تعاقب الأجناس المستعمرة في هذه المنطقة إلاّ أن الأمازيغ تصدوا لهذه الغزوات بالمحافظة على هويتهم وشخصيتهم فهم يستحقون لقب الرجال الأحرار "أمازيغ" أكثر من غيرهم.

لغويا، كانت تأثير لغات المستعمرين على اللغة الأمازيغية غير كبير بدليل ما وصلنا لحد الآن ما عدا بعض الألفاظ التي تقبلها الأمازيغ وأصبحت في تواصلهم اليومي[3] إلى أن جاء الإسلام بلسانه العربي.

ثمّ الفتح الإسلامي كان يعرف بإفريقية سنة 50هـ/669م ولي عقبة بن نافع واليا لها تحت إمرة معاوية بن أبي سفيان[4] و لم تكن ولايته في بادئ الأمر سهلة لكون طبيعة وثقافة الأمازيغ الّذين ظنّوا أن ما جاء به الإسلام والمسلمين ماهو إلى نسخة لما جاء به القرطاجيون والرومان والوندال والبزنطيين من قبل، فكانت العلاقة بين الجنسين علاقة تأثير وتأثّر.

---

1)- انظر الرسم البياني.

2)- انظر الجدول.

3)- انظر الجدول رقم 3.

4)- المغرب الكبير- العصر الإسلامي: عبد العزيز سالم، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، ص195.

III- العلاقة الاجتماعية اللغوية بين الأمازيغية والعربية:

تعد اللغة العربية أكثر اللغات الرسمية انتشارا في شمال إفريقيا. وإذا كانت قد نشأت في آسيا وانتشرت في غربها بعد الفتح الإسلامي، فانتشارها زاد مع مرور الزمن بصورة سريعة حتى أصبح أبناء العربية في المغرب العربي كثيرين[1].

وكانت درجة انتشار العربية متفاوتة من مكان إلى آخر، وهذا راجع إلى اختلاف ظروف التعريب التي مرت بها كل منطقة من مناطق شمال إفريقيا الذي يتميز بشساعة موقعه الجغرافي والذي عرف تعاقب الأمم العديدة بلغاتهم المختلفة والتي لم تجد مكانتها على لسان الأمازيغي وعلى عكس الأوائل، قد تم قبول العرب من البربر بسهولة وأبدوا لهم رغبتهم في التعايش معهم وتعلم لغتهم؛ إذن:

- ماهي الأسباب والعوامل التي جعلت الأمازيغ يعتنون باللغة العربية منذ الفتوحات الإسلامية الأولى إلى يومنا هذا ؟ .

- وما هي العلاقة الاجتماعية اللغوية بين البربر والعرب ؟

III-1- العلاقة الاجتماعية:

أ)- العامل الديني:

إذا ما تصفحنا الكتب التي قامت بدراسة تاريخ البربر، سواء كانت أوربية أو عربية أو مغاربية، يمكننا استخلاص أنها تتفق على أن سبب سرعة انتشار اللغة العربية يعود بالدرجة الأولى إلى علاقتها الوطيدة بالدين الإسلامي الذي اعتنقه الأمازيغ بفضل الفتوحات الإسلامية، إذ "امتزج العرب بالبربر في

---

1)- محمد فهمي حجازي: علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، الكويت، 1973، ص271.

امة واحدة"[1]، وانتهجوا سياسة السلم والمحبة والمودة والتآخي بينهم تجسيما لقوله جل جلاله: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2].

لقد أقبل البربر على الإسلام جمة عندما أدركوا أنه يرفع عنهم ظلم المستعمر البيزنطي[3]، وكان هذا منذ الوهلة الأولى لأن الاستعمار البيزنطي قد فرض عليهم الجزية وضريبة العقار، فزادت "رغبتهم في مزايا هذا الدين" [4]، واندمجوا فيه بسرعة وهذا منذ أن شرع في إرسال البعثات العلمية إلى شمال إفريقيا لخدمة الإسلام، لأن معتنقيه لا يفهمون شريعة هذا الدين إلا بتعلم لغة القرآن الذي نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[5] وقوله جل جلاله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[6].

وهذا لنشر الثقافة الدينية، وتعليم الناس الفرائض، والحلال والحرام.

فساهم البربر بدورهم في الفكر الإسلامي بتراثهم الذي كتب باللغة العربية الفصحى بحيث لأدركوا بوعيهم الإسلامي لا إسلام بدون قرآن ولا قرآن يدرك

---

1)- لقبال موسى: المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، سياسة ونظم، قسنطينة، 1969، ص125.

2)- سورة الحجرات، الآية: 13.

3)- لقبال موسى: المرجع السابق، ص138.

4)- المرجع نفسه، ص 179.

5)- سورة الشعراء، الآية: 3.

6)- سورة الزخرف، الآية: 3.

ويفهم جوهره بدون لغة عربية فصيحة[1]؛ دون أن يهملوا اللغة الأم والاعتزاز بها وعدم تعصبهم لها.

وهناك جماعة من البربر ذهبت إلى حد بعيد في إسلامها فاعتمدت الاباضية مذهبا لها؛ فمثلا إن منطقة وادي ميزاب منذ القديم، قد انطلقت من الواقعة القرآنية الثابتة وعلومها لأن القرآن الكريم هو الأصل فلا يمكن فهمه وإدراك أسرار علومه وبلاغته إلا بتعلم اللغة العربية الفصحى الخالية من اللحن، فمن هنا يتضح أثر اللغة العربية في المؤسسات الثقافية، لاسيما في المساجد التي جسمت هذه الحقيقة في كتاتيب الأطفال الصغار.

وفي هذا الشأن يقول محمد علي دبوز (إن الميزابي يعتني بحفظ القرآن كل الاعتناء، إنه أساس العربية والدين، ويعتني كذلك بتعلم العربية اعتناء كاملا، فمن لا يعرف العربية الفصحى من العلماء لا يحض في ميزاب بأي احترام...)[2].

إذن إن تعليم القرآن والشريعة والفقه لا يمكن أن يستوعب بدون تعلم اللغة العربية وهذا ما جعل البربر يتعربون، ومن بعض الكلمات العربية الدينية و التي انتقلت إلى اللغة الربرية:

- الَّهْ | ellah | بمعنى الله
- رَّبِي | rrebi | بمعنى ربي
- تَامَجِدَ | tameggeda | بمعنى المسجد

1)- بكير بن سعيد أعوشت: ميزاب يتكلم تاريخيا -عقائديا- اجتماعيا، ط. غرداية، 1993، ص 44.

2)- محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 1، ط1 المطبعة التعاونية، دمشق 1965، ص125.

- لَحْرَامْ | lehram | بمعنى الحرام
- لَحْلاَلْ | lehlal | بمعنى الحلال
- اَلْقَبْلَ | elqbla | بمعنى القبلة

ب)- العامل الإنساني السلوكي:

قد اعتبر العرب في بداية الأمر غزاة دخلاء فقاومتهم قبائل البربر مقاومة عنيفة، ثم انقلب الحال وإذا بالعرب ينظر إليهم كمحررين لشعب الجزائر من الاضطهاد البيزنطي[1]، الذي لم يترتب عنه إلا التأخر والانحطاط لأهل هذه المنطقة، فزرعوا فيهم الاستقامة والمساواة والعدالة الاجتماعية التي لم تكن موجودة إبان الاحتلال الفينيقي والروماني...

فرأوا فيهم "المنقذ الوحيد مما هم فيه من الميز العنصري والجور السياسي والفوضى الشاملة"[2].

وكذلك هناك أحداث أخرى جعلت البربر يذوبون في الكيان العربي، ومنها كما يرى أبو القاسم سعد الله[3]في مقارنته بين "الإنسان العربي" و"الإنسان الأمازيغي" التشابه الكبير في الأوصاف والسمات الخَلقية والخُلقية.

وأكد عبد الرحمن محمد الجيلالي [4] هذا التطابق في ملاحظته أن زناتة وبرغواطة ونفوسة ولواتة وهوارة... كلها قبائل ذات تشابه كبير مع العرب في

---

1)- علي الشلقاني: ثورة الجزائر، ط. القاهرة، ص 95.

2)- Gautier, E.F : Le Passé de l'Afrique du Nord, Op. cit, p 244.

3)- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ش.و.ن.ت، الجزائر، 1978، ص07.

4)- عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ص 140.

حياتهم وميولاتهم واتجاهاتهم، فمثلا كلاهما العربي والبربري يكره السلطة والتسلط وكلاهما محب للحرية إلى حد كبير.

ومن الأسباب الأخرى حسب اعتقاد وليام لبوف ساعدت في تعريب البربر هي السلوكات الذاتية التي تُحفز الإنسان لفهم لغة الغير. يقول ويليام لبوف (W.Labov) في هذا الصدد: "علم الاجتماع اللغوي يبحث في تفاعل السلوك الإنساني، في استعمال اللغة والتنظيم الاجتماعي لسلوك اللغة والسلوكيات الصريحة تجاه اللغة وتجاه مستعملي اللغة"[1].

وتعقيبا على المقولة فإن الإنسان شغوف بحب المعرفة وخاصة حين تلتقط آذانه كلمة أو لفظة فهو يتساءل ذاتيا: لماذا يتكلم هذا الإنسان بلغة لا افهمها؟ وماذا يقول؟؛ إذن هذا السلوك التساؤلي حافز لفهم وتعلم لغة الآخرين.

III-2- العلاقة اللغوية:

وعلى هذا المستوى تجمعت العوامل كلها لتصنع من العامل اللغوي عنصرا أساسيا في التواصل اللغوي اليومي بين العرب والأمازيغ، وهذا ما زاد في تدعيم الأواصر اللغوية بين الفئتين بحيث استطاع الأمازيغ أن يتقبلوا اللغة العربية لأنهم لم يكونوا مجموعة لغوية متميزة[2].

لم تكن لغة الأمازيغ لغة راقية ذات ثقافة وحضارة في المستوى الذي يمكنها أن تقف في وجه أية لغة، لقد كانت لغة التخاطب و لم يكن لديها تراث مكتوب يحفظها؛ وهذا ما زاد في انتشار تعريب البربر الأوائل لأنه لم يكن يوجد

---

1)– Labov (W), The Study of Language in its Social Contexte, Stadium Generals, 1970, p :180

2)– A.HANOUTEAU : Essai de Grammaire Kabyle, 2ème édition, Ajourdan, Alger, 1906, p 03.

لديهم يومئذ مدنية سالفة تتركز على لغة متينة وآداب متأصلة راسخة الجذور، أو فلسفة عريقة ذات مقومات تستطيع أن تقف في وجه الفاتح ولغته فتقاومها[1].

فلهذا حافظ البربر على لغتهم في الوقت الّذي بادروا بتعلّم اللغة العربية حتى طغت على لغتهم وأوضح برهان على هذا هو معجزات البيان على لسان القائد البربري طارق بن زياد النفزي[2] في تلك الخطبة المؤثرة البليغة التي سجلها التاريخ، وهي خطبته أمام جيشه المغوار يوم تقدم به لفتح الأندلس.

وكانت الموجة الثانية من نزوح العرب على المغرب العربي عامة و الجزائر بالأخص بمثابة الخطوة الجبارة لتعريب الأهالي، وكان هذا في القرن 11م عن طريق القدوم الهلاليين الذين كانوا يتكلمون بلهجات عربية بدوية، حيث توغلوا في القرى والأرياف وخاصة الجنوبية منها فساعدوا البربر في تعريبهم.

ويرى عبد الرحمن الجيلالي[3] أن

هذا المنطلق التاريخي هو البداية الجديدة لفساد اللسان الأمازيغي وحتى العربي، وهذا عن طريق تداخل الألفاظ بين اللهجات الأمازيغية والعربية من جهة، وبسبب اقتباس وتداخل الأصوات اللغوية بينهم من جهة أخرى وبالتالي ظهور التغير اللغوي تدريجيا.

---

1)– HANOTEAU. A : La Kabylie et Les Coutumes, 2ème Edition. Challamel, Paris, 1893, P :380.

2)– إحسان حقي: الجزائر العربية، ج2، ط. بيروت، 1961، ص 18.

3)– Bousquet. G.H : Les Berbères, Coll «Que sais-je ?» N° 718, 3ème Ed. P.U.F, Parais, 1967, P 83.

أوضح فليب مارسيه (Philipe Marçais) هذا الخلط اللغوي الذي أنتجته التواصلات اللهجية العديدة والتي كانت سائدة خاصة ما بين فترة الفتوحات الإسلامية والهجرة الهلالية بـــ"الدلالة التاريخية القاطعة في حدث الجماعة اللغوية"[1].

وأما عرب الأندلس الذين جاءوا فارين من اسبانيا واستقروا في سواحل المغرب العربي فقد كان لهم تأثير قوي في تعريب بربر الشمال المتمركزين في السواحل.

وحتى الوجود العثماني والاحتلال الفرنسي كان سببا في تمتين العلاقة بين العرب والبربر الذين أزيحوا من أراضيهم الخصبة ليحلوا محلهم، وهذا ما جعل البربر ينحازون أكثر للعرب وللغتهم.

لاحظ العديد من الباحثين أوجه تشابه اللغة الأمازيغية واللغة العربية، في النطق ومخارج الحروف، حتى أن جميع الحروف العربية موجودة في اللغة البربرية بما فيها حرف الضاد الذي تتميز به اللغة العربية عن سواها من لغات العالم[2].

يضاف إلى ذلك أن ما يقل عن ثلث المفردات الموجودة في بعض اللهجات البربرية تحمل نفس الدلالات التي تحملها نظيرتها في العربية.

ومن بعض الأمثلة التي أتى بها هانوطو (HANOTEAU) في كتابه "القبائل والعادات القبائلية"[3]:

---

1)- إحسان حقي: الجزائر العربية، ص 18.

2)- A.HANOTEAU : Essai de grammaire Kabyle, Op. cit, P 03.

3)- HANOTEAU. A : La Kabylie et les coutumes, Op. cit, P :378.

- Esri بمعنى يسير (يمشي ليلا)
- Lekedeb بمعنى الكذب
- Sousem بمعنى الصمت
- Roumi بمعنى الرومي (المسيحي)
- Aàzab بمعنى العربي
- Imi بمعنى الفم
- Idrimen بمعنى الدراهم (النقود)
- Elmouth بمعنى الموت
- Akhkham بمعنى البيت (أصل الكلمة الخيمة)

وأكد أبو قاسم سعد الله [1] وجود الكثير من الألفاظ العربية في لهجات الأمازيغ قبل إسلام البربر وبعده، ولكن ما افترضه هذا الباحث التاريخي يفتقر إلى الحجة المادية، لأنه أولى اهتمامه إلى الأصل اللغوي الذي ينهي اللغتين إلى نفس الفصيلة اللغوية، ولكن لا يمكننا أن ننفي هذا التشابه في الأصوات بل له دور ايجابي إلى حد كبير في الفهم والاستيعاب، فالمستمع يحاول أن يستخلص الرسالة الصوتية التي صدرت عن المتكلم، مستفيدا من التقارب النطقي واللفظي وهذا ما "يزود المستمع بتوقعات معينة تجعله يدرك نسبيا معنى الكلام"[2].

وفي نفس السياق يؤكد كذلك بكير بن أعوشت[3] بدوره على أن هناك جذورا بين ألفاظ العربية والأمازيغية، وبرر ذلك بقوله "لو أخذنا الكلمات

---

1)- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 07.

2)- نايف خرما: "أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة"، ط2، الكويت، 1979، ص 201-202.

3)- بكير بن سعيد أعوشت: وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية، ص 63.

التالية: نبش، خزر، كب لوجدنا أن هذه الألفاظ لها دلالتها الموحدة في العربية والبربرية معا"[1].

III-3- العلاقة اللغوية الاجتماعية:

وصل التنوع اللهجي البربري إلى حد وجود صعوبات في عملية التفاهم الكامل بين الأفراد المتكلمين بالبربرية والذين ليسوا من نفس المنطقة [2] فكل لهجة لها صوت مميز لها[3]، فمثلا كلمة "الرجل" تستعمل بصوت (أرقاز) |Argaz| بمنطقة زواوة و(أريان) |Aryaz| باللهجة الشلحية بمنطقة بني بوسعيد (تلمسان) و(أردجاز) |Argaz| بلهجة وادي ميزاب.

إن الأصوات الثلاثة متقاربة في الصفات و المخارج، فالقاف [G] صوت شائع في معظم اللغات الحامية – السامية، نسمعها في العربية و السريانية وتعرف عند العرب بـــ "الجيم المصرية المعطشة"[4].

- القاف [G] والجيم [J] والياء [Y]: أصوات مجهورة.
- [J] و[G]: أصوات شديدة انفجارية.
- [Y] يشدد في مواقع ويخفف في مواقع أخرى.

---

1)- نقلا عن:

T.G. Bever : The Cognitive Basis For Linguistic Structure in Hayes, Cognition and the Development of Language (N.Y. Miley), 1970, P :88.

2)- Bousquet, G. H Op. Cit, P 29.

3)- AMAT Charles : Le M'zab et les M'zabites, Ed Challamel et Cite Editeurs, Paris, 1888, P : 254.

4)- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، الطبعة الرابعة، القاهرة، 1971، ص 85.

وهذا الاختلاف نجده حتى في المستوى اللفظي والمجال الصرفي، فالفعل "فتح" في القبائلية يلفظ (ألدي) | Eldi | وبالترقية (أر) | Ar | وبالميزابية (أرزم) | Erzem | ومن الفعل (أر) | ar | عند التوارق اشتقت كلمة | Tasaruts | التي تعني المفتاح[1]، ويختلف كذلك النظام الصرفي كما يتضح في التعبير التالي:

"من هو؟" تصاغ على النحو التالي:

(أنوا؟)	| Anwa |	بالقبائلية
(مي؟)	| Mi |	بالترقية
(مانايو؟)	| Man-ay-u |	بالميزابية

وأمام هذا العائق اللغوي بدأت اللهجات الأمازيغية تنحو منحى التهميش والتقليص في نسبة وجودها في المغرب العربي، وحتى ملوك البربر الذين حاولوا توحيد البلاد سياسيا كـــ (MASSINISSA) في العصور القديمة و ابن تومرت في العصور الوسطى لم يتخذوا اللغة البربرية كلغة رسمية لهم [2]. فسادت اللغة البونيقية في بادئ الأمر ثم تلتها العربية بداية من حكم ابن تومرت إلى يومنا هذا.

ويلاحظ من خلال سياق التطور اللغوي للمغرب العربي أن الترقية هي اللهجية الوحيدة من ضمن اللهجات البربرية التي حافظت على أبجديتها

1)– GALAND, L : Signe Arbitraire et Signe Motive en berbère, Ed, Mouton, 1974. P95.

2)– Gsell, S, Op, P 93.

وأنتجت ما يدعى بالتيفيناغ (Tifinagh) حاليا[1] والذي هو المرجع الرئيسي للأبجديات البربرية. واستعمال هذه اللهجة شائع بمنطقة الهقار بالجنوب الجزائري، وحتى بعض المناطق بالتشاد، ويتميز أصل النظام الخطي أو الكتابي للتوارق بطابع صامت (Consonantique) مع وجود نقطة (.) في آخر الكلمة تدل على صائت (Voyelle) [i] أو[u][2].

وتكون هذه الكتابة بشكل عمودي تصاعدي، من الأسفل إلى الأعلى ومن اليمين إلى اليسار ولا يوجد تقطيع أو فضاء أو بعد بين الكلمات كما سيتضح بيانيا في الشكل التالي:

نهاية الكتابة

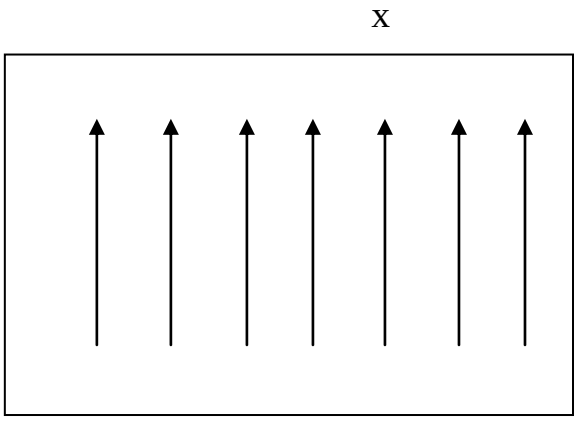

بداية الكتابة

ويكون الوصل أو الربط بين الكلمات أو الجمل بالرموز التالية: bt - ft gt - ... والتي يختلف استعمالها من جماعة لهجية إلى أخرى، زيادة عن منطقة التوارق هناك العديد من البربر باختلاف فصائلهم تعاملوا مع التيفيناغ وتبنوه

1)– Bousquet, G. H, Op. cit, P :22

2)– Bousquet, G. H, Ibid. P :22

كنظام شكلي كتابي وحجتهم في ذلك العودة إلى الأصل بحثا عن لغة مكتوبة يختلف نظامها الأبجدي عن الفرنسية والعربية. إضافة إلى هذا، هناك التيار المعاصر المتشبع بالثقافة الغربية و الذي يهدف إلى كتابة اللغة الأمازيغية بالأبجدية اللاتينية (الفرنسية). أما التيار السلفي التقليدي فقد تشبث بالحروف العربية، وكل تيار له اهتمامه الخاص به[1].

وأنتجت العلاقات الاجتماعية اللغوية بين العربية الفصحى والأمازيغية، عامية عربية مغاربية ذات خصائص ومميزات جعلتها توازي العامية في المشرق؛ إذن هل تحققت هذه العلاقة بفعل عملية التأثر والتأثير اللغوي بين العربية والأمازيغية.

لقد كان التجانس بين العرب والأمازيغ هي نقطة انطلاق لعصر لعبت فيه الجزائر دورا مهما في بلاد المغرب العربي خاصة في المجال الفكري الثقافي، وقد عرف نوابغ عديدة خاصة في دراسة اللغاة كما هو مبيّن في الجدول التالي:

الدولـــة	اسم العالم	إنجازاتـــه
- الدولة الرستمية	- أبو السهل	- هو أكبر المؤلفين باللغة البربرية
	- بَهوْدين قريش التَاهرتي	- باحث في المقارنة بين اللّغات.
	- بكر بن حامد التاهرتي	أديب وشاعر ما زالت آثره إلى يومنا هذا

1)- بلعيد صالح: المرجع سبق ذكره، ص 121.

– الدولة الحمادية	– يحيى بن معطي الزواوي	– الدرّة الألف في علم العربية.
	– ابن رمامة	– تولى القضاء والتدريس والتقى بابن رشد في الأندلس.
	– الحسن بن علي التهرتي	– كان لغويا نحويا تعلّم على يده العديد من العلماء.
– الدولة المرابطية والموحدية.	– عبد الله الحضرمي – عبد الله التميمي – عبد الله القرشي الصقلي	راويا مدرّسا عالم في اللغة اهتم بمقامات. – الحريري

ولعل هذا الازدهار الفكري الثقافي، جاء نتيجة الاختلاط والاندماج بين هذه الشعوب مما فتح المجال على آفاق عديدة كانت اللغة لها دورًا في جمع الشمل بين أفراد المجتمع فتجلت عملية التأثير والتأثر في درجة استعمال كل تنوع من مجاله الخاص به، فنتج عن ذلك ظهور لهجات عديدة تختلف حسب المحيط وطبيعة المنطقة جغرافيا اجتماعيا وثقافيا.

فزادت في ثراء وغنى اللغة العربية و لم يُحصى أن هُدّدت اللغة العربية بالزوال في هذه المنطقة بل أن هذه اللهجات كانت عاملا أساسيا في المحافظة على مقومات اللغة العربية وخاصة بعد مجيء الاستعمار الفرنسي في 1830

والّذي سعى بكل الطرق محو الشخصية الوطنية من خلال نشر اللغة الفرنسية في الاستعمالات اليومية وتدريسه إجباريا في المدارس للجزائريين.

ولربما كانت هذه الفترة هي بمثابة امتحان صعب وعسير على الشعب الجزائري في المحافظة على هويته، كما أنها تجربة لابدّ أن يعمل بها في عصرنا الحالي أين التنبّؤ بموت اللغة العربية في ظل العولمة وتطوّر وسائل الإعلام.

الفصل الثالث

السلوك اللغوي

مقدمة:

إن سلوك الإنسان في اللغة أهمية بالغة في تطورها أو تراجعها، تحطيمها أو بنائها. فوضعية أيّة لغة في المجتمع عند أي شخص متعلقة بسلوك متبني أو مكتسب.

إن السلوك اللغوي هو شخصي مرتبط ارتباطا وثيقًا بالمجتمع فهو إذًا استجابة الشخص لمواقف اجتماعية عن طريق اللغة، فاستعمال تنوع لغوي لشخص في بيئة معينة مرتبط أساسًا باستجابته لموقف (منبه) معين، ومع أن هناك دراسات اختصت في السلوك الّذي يخص اللغة نفسها إلاّ أن الدراسات اللهجية لا يمكنها أن تبتعد عن مستعملي اللهجة أو اللهجات (تنوع لغوي آخر) لأنها أولا وقبل كل شيء تتعامل مع المتكلم؛ فالتفريق بين تنوع لغوي معياري (Standard) أو غير معياري (Non Standard) متعلق بمكانة وقوة متكلميه أو مستعمليه، كما أن الحكم على لغة أنها راقية أو منحطّة لا يمكنه أن يكون بدون قرار أفراد المجتمع.

سنحاول في هذا الفصل إعطاء لمحة سريعة عن تعريف السّلوك اللغوي ثم نمر إلى دراسة أهم النظريات التي اختصت في هذا المجال والتي أنتجت طرق معينة في الدراسات الميدانية التي استوحينا منها دراستنا الميدانية هادفين بذلك إلى إعطاء صيغة علمية موضوعية لدراستنا.

I- السلوك لغة واصطلاحا:

I-1- السلوك لغة:

السّلوك من سلك يسلك أي ذهب أو اتخذ طريقا، كما جاء في معجم المحيط: السِّلْكُ: الحيوط الواحدة سلكة وجمعه سلوك، والسلوك، مصدر سَلَك طريقا، والمسلك الطريق، والسَّلكُ إدخال شيءٍ في شيءٍ تسلكه فيه[1].

I-2- السلوك اصطلاحا:

السلوك علما: هو كل ما يصدر عن الفرد من استجابات مختلفة إزاء موقف يواجهه ويقصد بالاستجابة (Response) كل نشاط يثير مُنبهه.

وللاستجابة خمسة أنواع[2]: استجابة حركية لفظية، فيسيولوجية، انفعالية، معرفية، الاستجابة بالكفّ:

- الاستجابة الحركية: المشي، الركض، الهرب.
- الاستجابة اللفظية: كالرد على سؤال.
- الاستجابة الفيسيولوجية: كارتفاع ضغط الدم أو تقلص عضلات المعدة.
- الاستجابة الانفعالية: الغضب، الحزن.
- الاستجابة بالكف (التوقف): كتوقف عن الكلام أو السير أو الأكل...الخ.

أما المنبه أو المثير: فهو أي عامل خارجي أو داخلي يثير نشاط الكائن الحي ككل، أو عضو من أعضاءه.

---

1)- فيروز الأبادي: القاموس المحيط، مكتبة المشكاة الإسلامية الإلكترونية في باب "السين".

2)- الصاحب بن عباد: معجم المحيط، مكتبة المشكاة الإلكترونية، 2008، ص335.

كما أنه قد يكون مصدر توقف وتعطيل النشاط، ومن هنا فإن السلوك يتلخص في كون أنه كل ما يفعله الإنسان ويقوله، كما أنه كل ما يصدر عنه من نشاط عقلي وفكري، إلى جانب أنه كل ما يستشعر من أحاسيس وجدانية (الغضب، الخوف، الضيق، اللذّة....).

II- السلوك اللغوي:

إن السلوك اللغوي هو قبل كل شيء الجمع بين السلوك سواء فردي شخصي أو جماعي اجتماعي واللغة. وهو يعتبر أحد أساسيات الدراسات اللغوية الحديثة كما أنها استطاعت أن تضع صلة بين الدراسات النفسية الاجتماعية واللغوية.

يقول "أبل موسكن" Appel Musken[1] والحقيقة أن اللّغات ليست فقط هدفها هو النقل المحايد للمعنى ولكن ترتبط حتى مع هويات الفئات الاجتماعية أو العرقية، لها دور في القيم الاجتماعية، ومواقف نحو اللغات الأخرى.

ومن هنا فدراسة أي سلوك لغوي لابدّ أن يبنى على أساس اجتماعي بما أنّه يعتبر رمز من رموز الهوية والشخصية الاجتماعية ولا يمكن الفصل بينهما، كما أنه يلعب دور تقييمي للتطور الاجتماعي بمحيطه وتغيراته[2].

وعلى هذا الأساس وبهدف دراسة السلوك اللغوي لأي مجتمع ظهرت هناك نظريات تعتمد على نهجين أساسيين وهما: نهج السلوكي (Behaviourists) والعقلي (Mentalist) فالنهج السلوكي الّذي ظهر قبل الستينات كان يرى

---

1)- Appel Musken : Language Contact and Bilingualism, Edward Arnold, London, 1987, P : 16.

2)- Idem.

السلوك اللغوي كظاهرة شخصية في وسط المجتمع؛ أي الشخص يتبنى سلوك معين في الكلام حسب ما يمليه عليه محيطه الاجتماعي، فلا يمكن للعربي مثلا أن يتكلم إلاّ اللغة العربية إذا كان يعيش في محيط اجتماعي عربي يتواصل إلاّ بالعربية لكنه قادر على التكلم بلغة أخرى إذا ما كان في محيطٍ يتكلم بلغة مغايرة، فاستعمال اللغة هو مرتبط أساسًا بالمحيط الاجتماعي، ومن هنا فإن اكتساب اللغة مرتبط أساسا بما يؤثر المجتمع فيه، وهذا ما يؤكده فاسولد (Fasold)[1] أن السلوك اللغوي هو استجابة الأشخاص لمواقف اجتماعية.

كما يؤكده فيشمن Fishman أن سلوك لغوي معين لا يصل مبلغ الاهتمام إذا ما شرح بطريقة عقلانية، أي أن لا يمكن لأي باحث أن يفسر سلوك لغوي لأي شخص دون مقارنته مع أفراد آخرين من المجتمع، وهذا لا يمكن رؤيته بمنهج العقلي، ويذهب إلى حدّ تفسيره أن "اللغة هي نفسها مرجع لتحالفات وعداوات ومؤشر للأوضاع الاجتماعية والعلاقات الشخصية ومعلمٌ للحالات والموضوعات، بالإضافة إلى الأهداف الاجتماعية الواسعة النطاق، وساحات تقييمية للتفاعل التي تتميّز بها لغة المجتمع"[2].

لكن رأي المنهج العقلاني يرى أن اللغة أوّلا وقبل كلّ شيء هي فعل فردي عقلاني قبل أن يكون جماعي.

---

1)- Fasold. R : The Sociolinguistics of Society, Oxford Blackwell, 1984, P : 147-148.

2)- Aghieyisi R. N and Fishman, J. A. Language Attitudes Studies A. Brief Survey of Methodological Approaches, Anthropological Linguistics, 1970, P: 12, 137-157.

يقول Lambert[1]: معتمدا على مبدأ السلوك العقلاني أنّه سلوك مبني على المعرفة، الأحاسيس، والتجربة: المعرفة هي دالة على القدرات الشخصية، الأحاسيس هي دالة على ردود الفعل المبنية على المشاعر، أمّا التجربة فهي القدرة على فهم كيفية التعامل مع السّلوك.

ويشرح Baker[2]: أنّ السلوك اللغوي مبني على ظروف نفسية معيّنة التي تؤدّي إلى ردّ فعل إيجابي أو غير إيجابي لحالات خاصة، فتغيّر طريقة الكلام أو اللّغة.

فالسّلوك اللغوي في الأصل هو خاصّية بسيطة ومستقرّة لا تتغيّر، لكن إذا ما تغيّرت أصبحت معقّدة، وإذا تواصل هذا التغيير انبثق منها سلوك لغوي جديد، مثلا: إنّ التواصل بين أفراد مجتمع واحد قد يحتاج إلى تنوّع لغويّ واحد فقط. لكن إذا ما تواصل فرد من هذا المجتمع بغريب قد يستعمل تنوّعا لغوي آخر مغاير، فيصبح سلوكه اللّغوي أكثر تعقيدا كالانتقال اللّغوي (Code Switching)، وإذا تكرّر هذا التواصل بدون انقطاع نتج عنه ما يعرف بالثنائية اللغوية (Bilinguism).

اللغة في نواة المجتمع أي أنها أحد الدعائم الأساسية للمجتمع ولا يمكن فصلها منه بل أكثر من هذا لا يمكن دراسة اللغة أو بالخروج بحكم على أي لغة دون دراستها في وسط المجتمع وهذا من خلال دراسة السلوك اللغوي لأفراد

---

1)– Lambert in Fishman, The Relationship Between Micro and Macro Sociolinguistics, in Janet Bride and Janet Holmes : Sociolinguistics Penguin Books, 1979, P : 165.

2)– Baker Colin : Bilingualism and Bilingual Education, Cleveland Edition, 1988, P:112.

المجتمع، وهذا ما فسره "فاسولد" أيضا حين قال: "بعض الأبحاث في السلوك اللغوي محدودة إلاّ في اللغة نفسها، فأشخاص في هذه البحوث سئلوا عن لغةٍ معينة (تنوع لغوي) إذا كانت (غنية) (فقيرة) (جميلة) (وسخة) (مسمعها عذب) (شديد) وما إلى ذلك، لكن تحديد السلوك اللغوي دراسته في أغلب الأحيان تتوسع لتشمل السلوك تجاه المتكلم معين للغة أو اللهجة"[1].

ويهذا فهو بنفي دراسة السلوك اللغوي لأيّ لغة دون الرجوع إلى مستعملي هذه الأخيرة، لكن المدرسة السلوكية لم تلم بقدرات الشخصية مقتنعة أن اللغة (تنوع لغوي) هي عبارة عن تواصل بين أفراد مجموعة معينة من المجتمع أو المجتمع كله.

وبصفة عامة فإنّ السلوك ودراسته له أهمية كبيرة في دراسات التغيرات اللغوية التي تحدث بين أفراد المجتمع الواحد أو بين مجتمع ومجتمع آخر، كما أن البحث والتنقيب عنها قد يجيب عن تساؤلات عديدة حول تطور أي تنوع لغوي في منطقة معينة، كما أنه يساعد بشكل واضحٍ وجدري في مسألة سياسة تعميم وتعليم اللّغات في الوطن، فهو قد يجيب إلى تساؤلات التي تدور حول مشكلة اللغة العربية، هل هي تعيش فترة قوة وتطورٍ أو ضعفٍ وانحطاط؟ ولا يمكن أي باحث، ماعدا ذلك الّذي له علاقة بمستعملي هذه اللّغة، أن يحكم في هذا الموضوع بما فيها النحاة واللسانيون لأنه كما قال شِيفْمَنْ (Schifman): رأيي في السلوك اللغوي أنها تشكل جزءًا من ثقافة لغوية ولا غرابة أن في سبيل شرح الدعامة الأساسية للازدواجية أو التلاهج أن نمر بدراسة السلوك اللغوي

1)– Fasold. R : The Sociolinguistics of Society, P : 148.

لأفراد المجتمع ودراسة العوامل المؤثرة فيه قبل دراسة التغيرات الطارئة على المستوى الصوتي الصرفي...الخ، لأنّ دراستها هي بمثابة التركيز على الفرع أو النتيجة دون البحث في الأصل، فالمهم هو من يحدث هذا التغيير وكيف، قبل أن يبحث عن التغيير نفسه[1].

فيرى "بلومفيلد" (Bloomfield) في دراسة اللغة أن: "كل المسلمات التي تأتي وراء كل إنتاج لرمز لغوي عملية غير مادية: فكرة، مفهوما، صورة، إحساسا، عملاً إراديا...الخ.

كما يرى أن مثل هذه المعايير التي تشير إلى الفكرة والوعي والمفاهيم لا تقدم أي خير للدراسة اللغوية انطلاقا من قضايا التي يمكن ملاحظتها، لأن اللغة هي ظاهرة إنسانية ولذلك يرى السلوكيون أن اللغة هي سلوك إنساني، ومصطلحات مثل: الإرادة والشعور والانفعال ينبغي ترجمتها عندهم إلى لغة تتضمن حالة فسيولوجية أو فيزيقية أو هما معا[2].

لكن هذا السلوك مرتبط أساسا بدوافع تجعل من الشخص يبني استجابته لحالة معينة، هذه الدوافع متعلقة بعوامل شخصية وغير شخصية تؤثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على استعمال تنوعٍ لغوي معين أو تساهم في خلق رد فعلٍ في التكلم والتواصل.

---

1)– Harold. F. Schiffman : Linguistic Culture and Language Policy, Routldge, New York, 1998, P: 36.

2)– Bloomfield : Language, in, John Lyons : Language and Linguistics, Cambridge, University Press, UK, 1981, P : 230.

فالسلوك اللغوي يهدف إلى وصف أهم الدوافع والعوامل المؤثرة والتي تتحكم في اختيار المتكلم لتنوع لغوي، إلى جانب محاولة تحديد وإظهار آلية الانتقال من لغة إلى أخرى أو من لهجة إلى أخرى، أو الاثنين معا من لغة إلى لهجة ومن اللهجة إلى اللغة، وقد قسمت الدوافع إلى نوعين: الدافع الإدماجي وهو استعمال اللغة للاندماج في مجموعة أو مجتمع معين.

أمّا الدافع الثاني وهو الدافع الوسيلي وهو استعمال تنوع لغوي معين لهدف معين؛ أي استعماله كوسيلة أو أداة كالسائح لبلد معين فهو يستعمل لغة المضيف للتواصل وتسهيل مهمته السياحية أو الباحث لاستعماله للغة معينة قصد الترجمة وإلى آخره.

أمّا العوامل فقد حاولنا حصرها في أهمها وهي العامل الفيسيولوجي العامل اللغوي والعامل الاجتماعي.

II-1- دوافع السلوك اللغوي:

لقد حصر علماء علم الاجتماع اللغوي وعلم النّفس اللغوي الدوافع في نوعين: الأول؛ بهدف الاندماج "الدافع الاندماجي" (Integrative Motivation)، والثاني؛ "الدافع الوسيلي" (Instrumental Motivation).

أ– الدافع الاندماجي: يصف Gardner, R.C الدافع الاندماجي أنه: "إذا أراد المتعلم أن يصبح فردًا من مجتمع هدف (Target Community) فهذا الدافع يدعى بالدافع الاندماجي، فيتعلّم لغة وثقافة متحدثي هذه اللغة حتى يصبح فردا من هذه المجموعة الدافع يدعى الاندماج..."[1].

1)– Gardner, R.C: Social Psychology and Second Language Learning, The Role of Attitudes Motivation, Edward Amold Publishers, London, .1985, P : 45.

عموما فإنّ الأبحاث اللغوية قد برهنت أنّ الدافع الاندماجي هو مفيد جدّا لتعلم لغة أخرى، كما بينه "فالك" (Falk): "إن الطلبة الناجحين في تعلم لغة ثانية هم الّذين يحبّون الناس الّذين يتكلّمونها مهتمين بثقافتها ولهم الرغبة في الاطّلاع أو حتى الاندماج في المجتمع الذي تستعمل فيه هذه اللغة"[1].

أمّا فاينجن (Finegan) فيقول: "الدافع الاندماجي عادة ما يحدّد نجاح تعلّم مجموعة واسعة من المفردات ونطق مطابق للمتكلّم الأصلي"[2].

ب– الدافع الوسيلي " Instrumental": ويسمى أيضا بالدافع الغرضي أو الذّرائعي وهو استعمال لغة لغرض معيّن وهو الدافع الّذي يحرّك الدارس للغة ثانية لتحقيق أهداف قصيرة المدى مثل: الشغل، وظيفة، سياحة، ...الخ، فالدافع الوسيلي يحقّق أهداف مستعملها قصد التواصل مع أفراد مجتمع معيّن دون البحث عن الاندماج فيه.

ويخصّص علماء اللّغة كلا الدافعين سواء الوسيلي أو الاندماجي في نطاق تعلّم لغة ثانية (Second Language Aquisition) لكن هذا لا يمنع من تطبيق هذين الدافعين في دراسة الانتقال اللغوي من لغة إلى لهجة (ازدواجية) أو من فلهجة إلى لهجة أخرى (التلاهج).

---

1)– Falk. J : Linguistics and Language a Survey of Basic Concepts and Implication 2nd Edition, John Wiley and Sons, London, 1978, P195.

2)– Fingan : Language Its Structure and Use, Thomson Whadsworth, 6th Edition, New York Usa, 1999, P: 502.

II-2- العوامل المؤثرة في السلوك اللغوي:

أ- العامل الفسيولوجي: إن المخ هو أساس العلميات المعرفية وهو المحرّك الأول للسلوك اللغوي قبل أن تُنتج هذا الأخير على شكل تخاطب مع الآخرين، كما أنّه المخزن الأول للإدراك، التذكر، التفكير، الذكاء...الخ، ويتم ذلك من خلال الوظيفة المركبة مكتملة التنظيم التي تقوم بها اثنا عشر مليار من الخلايا العصبية بالمخ البشري[1].

وينقسم المخ البشري إلى شقين: الشق الأيمن (Right Hemisphere) والشق الأيسر (Left Hemisphere) وكان يعتقد أن الشقين متماثلان أحدهما صورة طبق الأصل للآخر، غير أن البحوث التشريحية الدقيقة كشفت عن الفروق الموجودة بين الشقين.

من بين هذه الفروق هو منطقة الفص الصدغي (Temporal Lobe) منطقة هامة في السلوك اللغوي، وهي أكبر في الشق الأيسر منها في الشق الأيمن، وهذا التباين التركيبي مهم للانتظام الوظيفي في السلوك اللغوي المعروف "بالسيادة الصفية (Cerebral dominance)؛ أي أن أحد الشقين أكثر من الآخر وبالتالي فإن المسلمات الأساسية (وحسب آخر البحوث) في التنظيم الدماغي حدوث نوع من عدم التناظر الوظيفي، فإذا كان الشق الأيسر يحتوي على مناطق اللغة فإن الشق الثاني أي الأيمن يحتوي على توظيف أو القدرة الوظيفية للّغة.

ومن هنا قد اتّضح للعلماء أن الجزء المسؤول عن برمجة الكلام أو النطق بشكل خاص يسمى بمنطقة بروكا (Broca's area) والمنطقة المسؤولة عن القدرة

---

1)- Laurence Ris : Nous Communiquons Nos Neurones Aussi, Université de Mons, 2009.

اللغوية تسمى بمنطقة "ورنيك" (Wernich's area)، أما مجموعة الألياف التي تصل بين منطقتي المخ اليمنى واليسرى والتي تسمى الجسم الجاسئ (Corpus callosum) لها أهمية خاصة بالنسبة للغة، هذه المناطق هي بمثابة المراكز الأساسية للغة حيث برهن العلماء أن الإصابة في إحدى هذه المناطق يؤدّي إلى الاختلال في النطق أو إلى فقدان الذاكرة اللغوية أو الأفازيا (Aphasia) (الملحق رقم: 01)، لكن هاتين المنطقتين لا تكفيان لإنتاج الكلام أو لغة معينة لأن هناك مناطق أخرى تلعب دورا مهمًا في إنتاج أي تنوع لغوي.

فهناك مثلاً مراكز حساسة (سمعية، بصرية، لمسية) التي تصل بكلمات ترادفها، وأخرى تعمل على تشغيل محرك التلفظ باللغة، فمنطقة اللحاء الراوي التي تهتم بتشغيل (الحنجرة واللّسان) ثم المنطقة السمعية الأولى والثانية.

فعملية التكلم أو تأثير الفسيولوجي على السلوك اللغوي تبدأ من التقاء المعلومة عن طريق إحدى الحواس الخمس، هذه المعلومة تترجم (تحوّل إلى) نشاط كهربائي أو إشارة كهربائية (Activité électrique) هذا النشاط والإشارة تنتقل من خلية عصبية إلى أخرى داخل الشبكة الدماغية معقدة كشبكة التفكير الذاكرة ثم اللغة.

فبعد تحليل المعلومات يقرر الفعل تنقل المعلومة مرة ثانية وهنا إلى لحاء الزاوية أي المنطقة المخصصة لتحريك العضل والمفاصل لتمكينها من استعمال الحركة الملائمة (نطق، استعمال، الرأس مثلا، اليد، الأصابع...).

ومهما كانت الدوافع والاستجابات التي تدفع الشخص إلى أي سلوكٍ لغوي معين فإنها لا يمكن أن تحدث دون آلية المخ والخلايا العصبية المتصلة ببعضها البعض والتي تحقق عملية التكلم واستعمال تنوع لغوٍ معين، فالذاكرة

تخزن المعلومات (تنوع لغوي واحد أو أكثر) ثم يبدأ دور مركز بروكا وفرنيك والألياف التي بينهما ثم لحاء المحرك، وإذ فصلنا أحد هذه المراكز عن بعضها فإنّه ينتج خلل قد يكون خارج نطاق المحيط الّذي هو فيه الشخص لنأخذ مثال شخص في محيط أجنبي أين لا يجيد لغته فهو لا يستطيع الاستجابة إلى من يسأله لأن منطقة اللغة معزولة فهو لا يمتلك المعلومة اللازمة وبهذا فهو لا يفهم لكنه يستطيع أن يردد ما يسمعه.

مثال: (Isolement de la zone du langage)(الملحق رقم: 01).

نستنتج من هذا أن العامل الفيسيولوجي يلعب دورًا مهما في السلوك اللغوي كنقطة بداية لاستعمال أي تنوع لغوي في التواصل اللغوي سواء كان هذا بدافع الاندماج أو بدافع الوسيلي، ومن هذا المبدأ تطرّق العديد من العلماء إلى العلاقة الموجودة بين المخّ أو الأعصاب واللغة ومنها انبثق علم لقّب علم اللغة العصبي (Neurolinguistics)، فلا يمكن دراسة أيّ لغة في عصرنا الحالي دون الرّجوع إلى هذا العلم[1].

ب– العامل اللغوي: إن العامل اللغوي يلعب هنا دور المقياس الّذي يقاس به المرأ في استعماله لنوع من اللغة أو تنوع لغوي، فالعامل اللغوي يؤثر على قدرات الشخص المعرفي لغوي معين، فقد نجد أحيانا شخص يتصنع في اللغة معينة بهدف تبيان مدى قدرته على التكلم بلباقة، فنجد الكثير من الزعماء مثلا في العالم العربي يتصنعون في خطاباتهم باستعمالهم لغة فصحى راقية تبهر

1)– William Orr Dingwall : The Biology of Human Communicative Behavior, Blackwell, New York, 2006, P : 73.

السامعين مع أنهم قد يكون هذا الخطاب البليغ هو إنتاج مجموعة من لغويين الّذي حضّروه.

وإذا ما دعي إلى استعمال نفس اللغة موقف آخر لا يستطيع لأنّه ربما لم يحضّر من قبل، فهناك استعمال التنوع اللغوي في موقفين:

الأول إرادي متعمد: وهنا يتطلب من الشخص تحضير واختيار الألفاظ المناسبة حتى يتسنّى له إنتاج كلام سليم صافي، وفي معظم الأحيان يستعمل هذا الإنتاج اللغوي لمواقف رسمية أو مواقف المتكلم على الخروج عن طبيعته الكلامية؛ في هذه الحالة يُوجب على المتكلم أن يحضّر نفسه إلى درجة أحيانا أن يقوم ببحوث في أرقى الخطابات حتى لا يخذل نفسه أمام السامعين.

أما الموقف الثاني: فهو عفوي لا إرادي فهو استعمال اللغة أو لهجة كما تعلّمها وترعرع بها، وهذا الموقف لا يعني أنه يستعملها إلاّ لمواقف يومية أو كما يصفها "فيرغوسون" باللغة المنحطة بالمقارنة مع اللغة الراقية (High Variety) بل أنه يستطيع استعمال لغة صافية راقية دون اللّجوء إلى بحوث أو تحضيرات مسبقة، كما هو موضّح في الرسم التالي:

تنوع الاستعمال اللّغوي

1- خطاب سياسي رسمي
⇓
لغة فصحى رسمية
⇓
استعمال إرادي محضّر اللّغة

2- استجواب لأديب مشهور
⇓
لغة فصحى راقية
⇓
استعمال لا إرادي للغة متعلّق بأسئلة الاستجواب

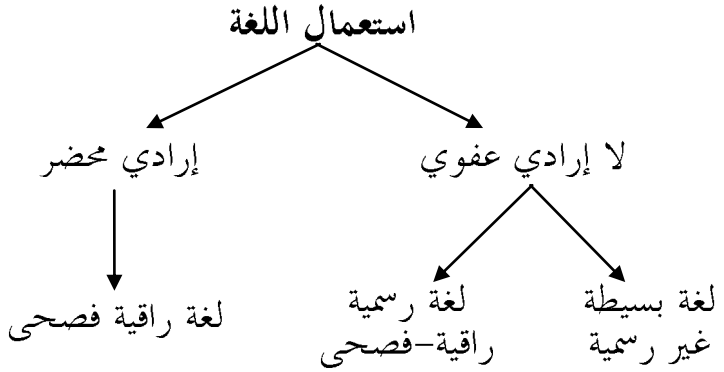

لكن أي استعمال للغة سواء أكان إرادي أو غير إرادي فهو متعلق أولاً وقبل كل شيء بمدى استيعاب المتكلم للتنوع اللغوي، فلا يستطيع أي متكلم استعمال لهجة أو لغة معينة دون دراية وتعلم مسبق، ومن هنا ظهرت نظريتين متضاربتين في مجال اللسانيات وهي: الكفاءة التواصلية Communicative Competence والكفاءة اللغوية Linguistic Competence، وهما نظريتان متضاربتان مبنيتان على أساس أنّ لإنتاج أيّ لغة معيّنة من طرف أيّ فرد في

وسط أيّ مجتمع لابدّ أن تتحقّق كفاءة سواء تواصلية أم لغوية؛ أي أنّ كلّ فرد لابدّ أن يكون قادر على استعمال لغة صحيحة خالية من الأخطاء[1].

ج- العامل الاجتماعي: لعل هذا العامل يعتبر ذا خاصية تنفرد عن العوامل الأخرى إذ أنه أحضي بدراسات عديدة إذا ما اعتبرت الدراسات في علم اللسانيات الاجتماعية أو علم اللغة الاجتماعي، تقوم أساسا على دراسة المحيط الاجتماعي وعلاقته باللغة، أو دراسة اللغة كظاهرة اجتماعية شأنها في ذلك شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى التي تساهم في تطور المجتمع أو تميزه عن سائر المجتمعات الأخرى.

ومنذ القدم حاول العديد من العلماء والمؤرخين وضع علاقة بين مجتمع معين ولغتهم، فكانت الدراسات الأولى هي وصفية تاريخية يتحدد من خلالها المناطق التي تستعمل فيها لغات معينة، أما في العصر الحديث فقد تطورت مجالات هذه الدراسات لتسلك مسالك أخرى أثبتت أهميتها وفعاليتها.

ومن هنا فإن الموضوعات التي يعالجها العلماء والدارسون في هذا المجال هي من أمثال: الصراعات اللغوية والأقليات اللغوية والازدواجية اللغوية، الانتقال اللغوي...الخ، وبهذا انبثق علم اللغة الاجتماعي (Sociolinguistics) وتفرّع منه علوم شتى كعلم اللهجات مثلا.

إن السلوك اللغوي مرتبط أساسا بتأثير المجتمع في طريقة واختيار التنوع اللغوي المناسب للتواصل؛ فهو إذن من أهم العوامل المؤثرة بما أنه متعلق بالمحيط

---

1)- عد إلى أعمال نعوم شومسكي (Noam Chomsky) في Linguistic Competence، وأعمال دال هايمس (Del Hymes) في الكفاءة التواصلية (Communicative Competence).

الّذي يعيش فيه الإنسان وكيفية التكلم مع الآخرين وهل هناك تجاوب معه أم لا.

فالتنوّع اللغوي المختار مرتبط بشكل أو بآخر مع المُستَمع ودرجة استجابته، فإذا عدنا إلى تعريف اللغة البسيط على أنها أداة إنسانية تواصلية فإنها بالدرجة الأولى تستعمل من طرف المتكلم لكنها لا تكمل مهمّتها إلاّ إذا أثارت ردّ فعل المستمع فبهذا هي نتيجة علاقة تكاملية بين المتكلّم والمستمع وبما أنّ عدد مستقبلي اللّغة غير محددا فإنّ المجتمع هو أساسًا المُستَقبِل للغة؛ واللّغة هنا بمعناها الوظيفي أي أن اللّغة " Le langage" هي مبدأ أو منطلق المفاهيم التي تعني بالدراسات اللسانية واللّسانية الاجتماعية؛ أي أنها كالآتي حسب ما قسّمه فاردیناد دي سوسور[1] في الشكل التالي:

التصوّر السوسوري اللّغوي

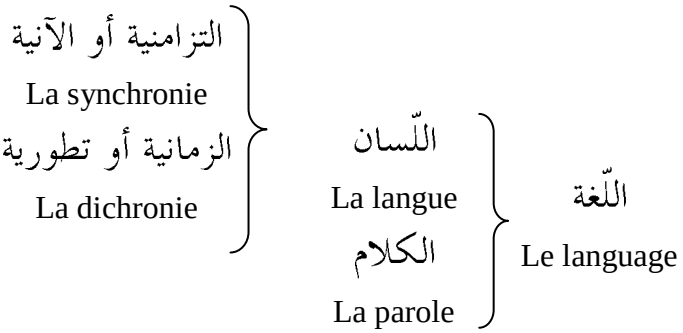

فسواء أكانت لغة Le langage، لسان Langue أو كلام Parole فإنّ اللغة هي أولا وقبل كل شيء أداة تستعمل لتعبير عن حاجات الإنسان في مجتمع معيّن، سواء أكان في نطاق ضيّق حسب المنطقة والجنس، العمر...، أو نطاق

1)– عبد الجليل مرتاض: اللّغة والتواصل، ص26.

واسع حسب عدد مستعملي نفس التنوع اللغوي (المعيارية التراكيب)، وهذا ما يعرف عند الباحثين في علم الاجتماع اللغوي بعلم الاجتماع اللغوي المصغّر أو Micro socio linguistics وعلم اجتماع اللغة الكلي Macro socio linguistics.

إنّ الهدف من التركيز على العامل الاجتماعي كمؤثر على السلوك اللغوي للمتكلم هو محاولة استئصال آلية التغير أو التحول من تنوع لغوي إلى آخر بالنسبة للمتكلم في وسط اجتماعي معين وهو مرتبط أساسا بعدّة خلفيات أساسية ومهمّة تدفع بالمتكلّم بتغيير طريقة كلامه أو اختياره لتنوع لغوي معين.

يقول فشمن[1] في وصفه لحالة اختيار التنوع اللغوي آخذا مَثل البلجيكي: "يخرج موظف الدولة ليصل إلى بيته في طريقه، يتوقّف في النادي لملاقاة أصدقائه، يتكلّم في معظم الأحيان باللغة الفرنسية في مكان عمله، اللّغة الهولندية في النادي واللّهجة المحلية في البيت".

في كلّ حالة من هذه الحالات يحاول أن يضع نفسه في شبكة لغوية هو ينتمي إليها أو يريد أن ينتمي إليها ومنها يبحث عن القبول (Acceptance)، ومن هنا نحاول التركيز على نقطتين مهمّتين في هذه الحالة وهي التحوّل اللغوي (Language shift) والشبكة اللّغوية (Language networks) وهي أحد الشروط التي يجب أن تتوفر في المجتمع حتى يمكن للمتكلّم الاختيار؛ أي أن بوجود أكثر من تنوع لغوي واحد في المجتمع يسمح للمتكلّم بخلق شبكة اللغوية وبهذا يتم التحول من تنوع إلى آخر.

1)– J. Bride and J. Holmes : Sociolinguistics Penguin Books, P : 16.

أمّا الشبكة اللغوية فهي لا تتم إلاّ في مجتمع متعدد اللّغات (Plurilingue)، ومن هنا سنحاول دراسة المجتمع كعامل مؤثّر في السلوك اللغوي وليس دراسة وصفية للوجود اللغوية في مجتمع ما.

وبهذا نعطي نظرة من زاوية مختلفة أي كيف أن المجتمع يجبر المتكلم الاختيار بين تنوعات لغوية مختلفة.

يفسر أبر ومويسكن[1] أن اختيار تنوع لغوي معين في وسط معين من المجتمع هو أساسا تحول لغوي Language shift الّذي قد يؤدّي أيضا إلى فقدان اللغة أو صيانة اللغة.

حالتان للتحوّل اللّغوي

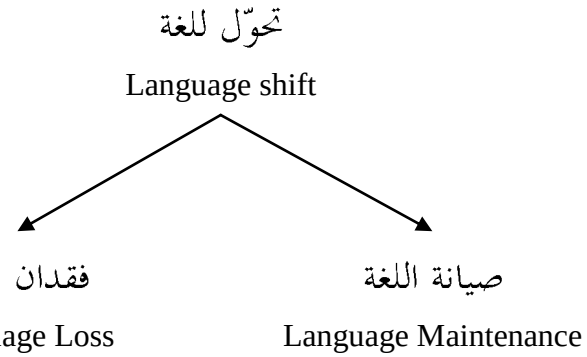

وهو راجع أساسا إلى ثلاثة عوامل أساسية، وهي المكانة Status، الديمغرافيا، تأثير المؤسسات، ومنها تنبثق أنواع مختلفة من هذه العوامل منها المكانة الاقتصادية والاجتماعية، والتاريخية أو كيف أنّه تخلق علاقة تَحَوُّلِيَّة من مجموعة إلى أخرى من لغة إلى أخرى، سواء من الأقلية إلى الأغلبية أو العكس.

1)- Appel Muysken :Language Contact and Bilingualism, Op. cit, P : 32-38.

وفي هذا النطاق يمكن أخذ مثال المهاجرين في أوروبا، فنأخذ مهاجر في فرنسا فهو مجبر على التكلّم باللغة الفرنسية في أغلبية الأوقات باستثناء ربّما إذا ما التقى بأصدقائه مهاجرين مثله، فهم يتكلّمون باللغة أو اللهجات العربية محافظين على هويتهم في الغربة، والغريب في الأمر أنّ معظم المهاجرين إذا حدث أن زاروا وطنهم الأمّ في العطلة، فإنّهم يستعملون الفرنسية مع أنهم في وطنهم الّذي يسمح لهم بالتكلّم باللغة أو العامية العربية، ومن هنا نستشف تفسيرين أساسيين:

1- المكانة الاقتصادية والاجتماعية للمهاجرين في الغربة: تعتبر أقل أو أقلية بالنّسبة للأغلبية الأجنبية، مما يحتّم عليهم استعمال اللغة الفرنسية ويجبرهم على استعمال لغتهم في مواضع محدّدة.

2- مكانتهم في وطنهم الأصلي: أين هناك استعمال اختياري للغة المهجر في التواصل مع أقاربهم ومحيطهم، فهو يتكلّم باللغة الفرنسية في الجزائر مثلاً لا لنفس الأسباب التي يتعرّض إليها في فرنسا بل أن استعمال لغة المهجر دليل على نجاح المهاجر في الغربة، واستعماله للغة مُجتمعٍ يعتبر أرقى وأكثر تطوّرا من مجتمع الوطن الأم، ففي الحالة الأول اختياره لتنوع لغوي معين هو إجباري لكن في الحالة الثانية فهو إرادي اختياري.

فالمحيط الاجتماعي هو حافز يتم من خلاله استعمال نوع معيّن من طريقة الكلام واستعمال هو متعلق بحالة معيّنة، وليس بالمستمع نفسه، فأحيانا

هناك طرق يتكلم بها الشخص يهدف بها أكثر لإبراز شخصيته ومكانته من تواصله بالآخرين[1].

د- العامل الثقافي: إذا أخذنا أبسط مفهوم للثقافة وهو كل إنتاج إنساني سواء حسي أو معنوي يهدف به تغيير وتحكم في محيطه، فإن اللغة هي أول عمل إنساني يقوم به لتغيير محيطه، فهي إذن كما قال لاندار (Landar) "وبمعنى من المعاني، فإن شبكة الأنماط الثقافية لحضارة ما مفهرسة في اللغة التي تعبر عن تلك الحضارة"[2].

ومن هنا فقد اهتم العلماء خاصة الأنثروبولوجيون مجال اللغة الّذي يعكس سلوك الفرد والمجتمع وأنتجوا فرعا يدعى بـــ"لغويات الأنثروبولوجية" Anthropological Linguistics وكان من روادها أنثروبولوجيون بارزون مثل بوس Boas وسابير Sapir أو كروبير Kroeber مركزين على العلاقة الموجودة بين الثقافة والمجتمع، فيقول أدامس ووار Adams and Ware: بعض العلماء يرون اللغة أنها انعكاس المجتمع والثقافة فحين يرون آخرون أن اللغة تؤثر وتقوي الثقافة، وفي رأيي كلا الرأيين صحيح[3].

---

1)- R. C. Gardner: Integrative Motivation: Past, Present and Future, Department of Psychology, University of Western Ontario, 1998, P : 15.

2)- Lander Herbert: Language and culture Oxford University Press, New York, 1966, P:216.

3)- Adams K. and Ware N: Sexism and the English Language: The Linguistic Implications of being a Woman. In Jo Freeman (Ed.), Women: Feminist Perspective. 3rd edition Palo Alto: Mayfield Publishers, 1982, P: 247-266.

وإذا كانت لغة أي مجتمع تعكس ثقافته فهي أيضا تعكس تاريخ ثقافته ومحيطه فإذا رجعنا إلى فصل تاريخ اللغة العربية نجد أن العرب قبل الإسلام كانوا ينتقلون من تنوع لغوي لآخر حسب تنقلهم والتقائهم بألسنة أخرى نظرا لعمل الأول وهو التجارة من مكان إلى آخر، وكانت قريش هي بمثابة السوق الأول لا كسوقٍ اقتصادي تجاري أو ديني، فحسب بل سوق لغوي تلتقي كل القبائل هناك بألسنتهم المختلفة، فنتج عن هذا ثقافة الانتقال من لسانٍ قبلي معين إلى لسان معياري قريشي وهذا ما ساعد أول المسلمين في فتوحاتهم الإسلامية في تواصلهم بأقوام أخرى؛ فاللغة إذن هي مرآة ثقافة المجتمع بمعنى أن أشكال التواصل (تغييرات لغوية علامات مرسومة، إيماءات، العروض الحية) هي ناقلة للممارسات الثقافية[1].

وبهذا فاستعمال أي لغة أو تنوع لغوي معين هو بالدرجة الأولى تغيير عن ثقافة معينة ولا يمكن فصل الأول من الثاني، فالعامل الثقافي له تأثير كبير في السلوك اللغوي للفرد والمجتمع، وهذا ما نجده جليا في مجتمعنا الجزائري أين فسيفساء العامية تدل على تواجد أقوام عديدة جاءت لغروها أو العيش فيها وهذا من خلال الألفاظ والعبارات التي بقيت إلى يومنا هذا، كما أنها تدل على مدى تصدي السكان الأصليون لأي غزوٍ ثقافي لغوي عبر التاريخ والدليل على هذه المقاومة بقاء اللهجات البربرية مستعملة في كل أنحاء الوطن، كما أن العامية هي الشاهد الأول لتعايش اللغة العربية مع البربرية وهذا رغم الغزوات

1)– Alessandro Duranti : Linguistic Anthropology Cambridge University Press, 1997, P:38.

الثقافية والمستعمرة التي جاءت بعد الفتح الإسلامي مثل التركية والتي بقي منها بعض الألفاظ في العامية الجزائرية[1].

أما الفرنسية ورغم كل محاولات محو الثقافة الجزائرية الإسلامية من خلال محو تدريس اللغة العربية إلاّ أن عامل الدفاع عن الهوية الجزائرية كان أكبر ولربما كان الأصعب والأطول من الثورة الجزائرية نفسها، ومن هنا نستطيع أن نستنتج أن ثقافة الجزائري ومن خلال لغته وعاميته أنّه قد ورث سهولة الانتقال من تنوع لغوي إلى آخر من العرب والعربية ومقاومة لأي تنوع لغوي لا يقبله من البربر إلى جانب ثقافة الحماية والمحافظة على لغته الأصلية من العرب والبربر، فالازدواجية والتلاهج (اللّذان هما محور دراستنا) ما هما إلاّ نتاج هذه الثقافة.

1)– لقد بحث بن شانس محمد في دراسته عن وجود الألفاظ التركية والفارسية في العامية الجزائرية في إطار بحثه الموسوم بـــ:

Mohammed Ben Chenes: Mots Turks et Persans Conserves Dans Le Parler Algérien, Alger Ancienne Maison Bastide- Jourdan Jules Carbonel Imprimeur- Librairie- Editeur, 1922.

الباب الثاني

الدراسة الميدانية

الفصل الأول

تحليل منهجية البحث الميداني في علم اللهجات

مقدمة:

إن أساس البحوث في علم اللهجات هو الاعتماد على جمع المعطيات للهجة أو لهجات معينة في مناطق معينة من خلال تسجيلات أو طرح الأسئلة سواء شفهية أو كتـــابية لنموذج من أفراد المجتمع، وهذا ما يعرف بالدراسة الميدانية وجمع المادة، لكن ما يعانيه الباحث قبل كل شيء هو صعوبة جمع هذه المادة الأولية، فما هي المنهجية المناسبة التي يتّبعها الباحث في جمـــع وتحليل المعلومات؟

سنتطرّق في هذا البحث إلى ثلاثة طرق يعتمد الواحد منها على طريقة خاصة في جمع المادة ذاكرين في نفس الوقت إيجابياتها وسلبياتها في مجال البحث العلمي اللهجي.

I- طريقة الملاحظ المشارك Participant Observation:

وهي منهجية تستعمل أكثر في علم الأنتروبولوجيا حيث تعتمد على تقرّب الباحث من العينة المراد بحثها دون التدخل فيها، مراقبة من بعيد أو كما يصفها علمـــاء النفس بطريقـــة ذوبـــان الباحث في المحيط وهذا أثنـــاء مراقبتهم لتحركـــات وسلوك الأطفال.

لقد أشارت ميلوري[1] Millroy إلى هذه المنهجية مشيرتا إلى محاسنها ومساوئها فحددتها فيمايلي:

---

1)- Milroy, L: Language and Social Networks. Language in Society 2, Blackwell Publishers Ltd, 1980, P: 4

I-1- الإيجابيات:

أ- من خلالها نستطيع أن تتحصل على عينة من اللغة اليومية.

ب- يمكن أن تعطي نظرة دقيقة على الأعراف الاجتماعية والتواصلية للمجتمع.

ج-يمكن أن تفسر مدى أهمية لغة المتكلم في وسط مجتمعه.

I-2- السلبيات:

أ- إن المعطيات مهما كانت جيدة، لا يمكن أن تقع ضمن سياق اجتماعي لغوي أوسع إذا لم تكملها بيانات سياقية من دراسات ذات نطاق أوسع.

ب- تتطلب هذه الطريقة موارد فردية كبيرة من طاقة ومثابرة ووقت طويل.

ج- مسرفة في مجال البيانات إذ أن كمية البيانات المحصل عليها أكبر من كمية البيانات القابلة للتحليل أي أن الباحث يستلزم عليه جمع أكبر كمية من البيانات للحصول على كمية صغيرة بعد التحليل.

د- صعوبة العثور على عدد كافي ومتنوع من المشاركين الذين تتوفر فيهم الصفات والمعايير المطلوبة لعينة سليمة مع كل هذا فإن "ترود قل" [1] نجح من خلال هذه المنهجية في وصف ودراسة لعينة محددة للغة الإنجليزية في النرويج بينما لم تنجح كثيرا (ملروي) في دراستها للطبقة العاملة ببل فاست بتقديم نفسها كصديقة لصديقة حتى تتوطد علاقتها مع هذه الفئة.

---

1)- Trudgill P: The Social Differentiation of English in Norwich, Cambridge, University Press, 1974, P: 20.

II- طريقة التطابق اللّامرئي أو« Matched-Guise- Technique »:

هي طريقـــة تعتمـــد أصلا في مجال علم النفس الاجتماعي وهي تعتمد أساسا على ملاحظة مدى تأثير سلوك بعض أفراد المجتمع على الآخرين بتسجيل بعض السلوكيات عن طريق شريط الفيديو أو صوتي لبعض الأفراد وعرضها على الآخرين من نفس المجتمع لملاحظة رد الفعل.

استخدمت هذه الطريقة في علم اللغة الاجتماعي وخاصة في علم اللهجات لملاحظة مدى قبول أو رفض بعض أفراد المجتمع للآخرين في مجال العلاقة بين اللهجة واللغة واللكنة بتسجيل محادثة أو قراءة نص بطريقة أو لهجة معينة من طرف بعض أفراد المجتمع وعرضها على أفراد آخرين.

فيلاحظ مدى تقبلهم أو رفضهم لهذه اللغة بالإدلاء برأيهم باللهجة أو اللغة أو اللكنة التي يريدونها، ففي نفس الوقت يتحصل الباحث على قدر كبير من عينات التنوع اللغوي المراد تحليله إلى جانب تحديد مدى العلاقة بالتنوعات اللغوية الأخرى، إلا أن هذه الطريقة تستحسن إلا في الدراسات التي يتسم بالعلاقة الموجودة بين اللغة واللهجة أو اللهجات أو بين لغات ولغات أخرى، إلى جانب أنها تعتمد أكثر على عينة صغيرة من أفراد المجتمع فهي أكثـــر شخصية وبعيدة نوعا ما عن الموضوعية.

ومع أن ستيا بلتش Stieblich[1] نجح في تطبيقها على بعض أفراد المجتمع الكندي إلا أن هذه الطريقة تبقى ناقصة شأنها شأن الطريقة الأولى.

---

1)- Stieblich, C: Interpersonal Accommodation in a Bilingual Setting, International Journal of the Sociology of Language, 1986,P: 158-176.

III- طريقة المقابلة والاستبيان Interview and Questioner:

من بين المناهج الأكثر شيوعا في علم اللهجات هي طريقة المقابلة والاستبيان هي في نفس الوقت طريقتين لكن أساسها واحد.

III-1- المقابلة:

وهي تعتمد على لقاء بين العينة سواء فرد أو جماعة بالباحث يتم من خلاله جمع معلومات شفوية مباشرة من العينة ومن شروطها أن تكون موضوعية هادفة محددة ومن مزاياها:

- الكمّ الهائل للمعلومات التي يجمعها الباحث والتي تسمح له بأن يحللها.
- تمكين الباحث بتسجيل انفعالات وسلوكيات المبحوث مباشرة حسب الموضوع.
- تعفي المبحوثين من الإدلاء بآرائهم كتابيا إذا لم تكن رغبتهم خشية تسجيل أرائهم خطأ .

أما من عيوبها:

- تكلفتها مرتفعة بالمقارنة مع الاستبيان.
- التحيز من قبل الباحث أو المبحوث.
- إعطاء بيانات خاطئة للباحث نظرا للعلاقة الغير وطيدة الموجودة بين الباحث والمبحوث.

III-2- الاستبيان:

هي عملية استجواب يتم من خلالها طرح الباحث عدد معين من الأسئلة على المبحوث وهذا من خلال استمارة أسئلة يجيب عنها المبحوث، وهي كما فسرها فرانسيس FRANCIS[1] نوعان مباشرة وغير مباشرة؛ فالغير مباشرة يعتمد فيها الباحث على إرسال الاستمارة عن طريق البريد أو توزيعها للمبحوثين على أن ينتظر ردهم، أو بطريقة مباشرة وهي طريقة قريبة من المقابلة حيث يسأل الباحث المبحوث ويسجـــل في الاستمارة مباشرة ومن عيوبها:

- كتابة الأجوبة غير لائقة خاصة إذا كانت استمارة الأجوبة لا تتطلب بيانات شخصية للمستجوب.

- أجوبة غير موضوعية حيث في بعض الأحيان يحاول المستجوب من خلال أجوبته إرضاء الباحث.

- تأثير الباحث على المستجوب سواء بطريقة طرح الأسئلة أو مثلا بمنظره وفي هذا المجال يقول أوبنهايم Oppenheim[2]: كل محـــــاور يجب أن يتعلم كيف يواجه التحيزات والتشوهات التي تخلف هذه المشاكل.

---

1)- Francis, W. N:. Dialectology: An Introduction, Longman Group Ltd, 1983, P: 130.

2)- Oppenheim, A, N: Questionnaire Design and Attitude Measurement, Edition. Heinemann Educational Books Ltd, 1966, P: 66.

أما من عيوب طريقة المقابلة والاستبيان:

– عدم توازن العلاقة بين الباحث والمبحوث فسواء كانت المقابلة حرة أو مقيدة، وسواء كان الاستبيان مباشر أو غير مباشر فإن هناك علاقة سائل ومستجوب، وهنا في بعض الأحيان يجد المبحوث نفسه وكأنه في امتحان شفوي أو كتابي، فيرتبك أحيانا أو يحاول إنهاء هذه العملية في أقل وقت ممكن.

– طريقة إلقاء الأسئلة: خاصة في علم اللهجات حيث أن المقابلة أو الاستبيان المباشر لابد أن يكون بطريقة لا تؤثر على المستجوب، ففي بعض الأحيان يتبع المستجوب طريقة كلام الباحث وإذا تكلم الباحث باللغة العربية فطريقة الجواب تكون غالبا بنفس اللغة إذا كانت بلهجة معينة تكون الأجوبة بنفس اللهجة أو ما يقاربها وهذا حتى وإن لم يكن المستجوب يحسن هذه اللغة أو اللهجة ولا ربما ما نراه غالبا في المقابلات التلفزيونية لأكبر دليل على ذلك.

ومن هنا نستخلص أنه لا توجد منهجية مثلى في جمع المادة ولكل منهم نقائص وعيوب مما يجعل للباحث مشكلة تدقيق في معلومات أكبر شغله من تحليلها، ولهذا فالطريقة المثلى للباحث في علم اللهجات هو استعمال هذه المناهج الثلاثة في آن واحد أو بالترتيب؛ إذ يستعمل الباحث طريقة المشاركة والمراقبة كمرحلة أولى، وبهذا يستهدف عينة من الأفراد وفي نفس الوقت يتسنى له الدخول في توطيد علاقة تسمح له بأن يتعدى الحواجز الموجودة بين المستجوب والباحث، ليتسنى له بعد ذلك القيام سواء بالمقابلة أو الاستبيان لكن يشترط في هذه الحالة أن يعطي الوقت الكافي لتوطيد العلاقة أكثر من الوقت للمقابلة أو الاستبيان، وإذا نجح في تطبيق هاتان الطريقتان فإن الطريقة الثالثة تكون أسهل

إلى جانب أن لابد للباحث أن يطبق نفس العينة لثلاثة طرق حتى يتسنى له جمع المواد الثلاثة كل واحدة على حدا ثم في الأخير يقارن بين كل البيانات المجمع في نقطة التشابه بين هذه الطرق الثلاثة، هي الخلاصة التي يستطيع أن يستنتجها.

ولا ربما العيب الوحيد في هذه المنهجية هي الوقت الطويل المستغرق لهذه التجربة لكن إذا اعتبرنا المجتمع مخبر للتجارب العلمية، فإن الوقت لا قيمة له بالمقارنة مع النتيجة الموضوعية المحصل عليها إلى جانب أنها المنهجية الوحيدة التي تستطيع أن تعطي تكافؤ كبير بين الكمية أو الكم the Quantity والنوعية أو الكيف the Quality في مجال البحث اللهجي.

الفصل الثاني

ظاهرة الازدواجية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

1- ظاهرة الازدواجية:

إن أول مشكلة يواجهها الباحث في ظاهرة الازدواجية هي تحديد المصطلحات، فبعض الباحثين يتكلّمون عن الازدواجية على أنها دايغلوسيا Diglossia ويلقّبون الثنائية على أنها Biligualism وآخرون يعتبرون العكس، فمعظم كتب اللسانيات باللغة العربية لم تحدد أي مصطلح لأي ظاهرة هو وبين الازدواجية والثنائية تاه الباحث في بحوثه متمسكا بالمصطلح دايغلوسيا Diglossia أو Diglossie الّذي أصبح الوسيلة الوحيدة لتحديد البحث، لكن إذا رجعنا إلى أبسط قاموس في اللغة العربية نجد أن المصطلح محدد ولا يحتاج إلى جدال، فإذا رجعنا إلى المصدر "زَوَجَ" أو "زوجٌ" نجد معناه وحدتين من فصيلة واحدة فنقول زوج من الناس، زوج من الأحدية.

كما أنه محدد في علوم النفس حين نتكلّم عن ازدواج الشخصية ومعناها حالة الفرد إذا كان له نوعان من السلوك أحدهما سويٌّ وثانيهما مَرَضي لا إرادي.

فمصطلح الازدواجية هو اسم مؤنّث منسوب إلى ازدواج ويعني وجود نوعين متميّزين من نفس الفصيلة يختلف أحدهما عن الآخر بعدّة خصائص منها الشكل والمضمون.

ازدواجية اللغة هي استعمال اللغة الفصيحة واللغة الدارجة (اللهجة) في مواقف معيّنة تقتضي استعمال أحدهما أو كلاهما، وهو خلاف الثنائية أي استعمال لغتين مختلفتين كالعربية والانجليزية[1].

1)- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصر عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص223.

وبهذا فإن الازدواجية كمصطلح هو الأقرب إلى الظاهرة التي تتميّز بها بعض المجتمعات وخاصة العربية التي تتمتع بها بعض المجتمعات وخاصة العربية التي تتمتع بلهجات متنوعة وكثيرة.

ظهر مصطلح العلمي "الازدواجية اللغوية" أو ازدواجية اللغة في أواخر الخمسينات من القرن العشرين كترجمة للمصطلح العلمي الذي حدده اللساني الأمريكي شالزفرغوسون "Diglossia" وهو مصطلح هدف سريع إلى إعطاء صفة دقيقة من وظيفة لظاهرة تتماشى وما كان يعوق في ذلك الوقت بالثنائية اللغوية "Bilingualism"فهو يحدد إذا حالة وجود تنوعين لغويين في محيط واحد، الأولى وصفها بأنها راقية والثانية منحطّة.

High Veriety Low Veriety وهو مصطلح مركب ذا أصل يوناني "Di" بمعنى اثنان و"Gloss" من "Isoglass" أي تكلم وفي هذا الإطار يشرح فرغوسون هذه الظاهرة كما يلي:

"دايغلوسيا هي حالة مستقرة للغة التي بالإضافة إلى وجود اللهجات الأصلية للغة (بما فيها المعيارية والمعيارية الجهوية هناك إخلاف كبير، راق (في معظم الأحيان أكثر تعقيدا وتركيبا)، لتنوع هو أسمى، يعتبر كوسيلة أكثر انتشارا واحترامًا لنقل الأدب المكتوبة...)، وقد سعى فرغوسون بهذا إلى تحديد العلاقات الموجودة بين مختلف التنوعات اللغوية معتمدا على أربعة حالات بارزة في هذا المجال:

1- الحالة اليونانية: تناوب الكاتاريفوزا وديموتيك.

2- الحالة السويسرية: تناوب الألمانية والألمانية السويسرية (لهجات).

3- الحالة العربية: تعايش العربية الأدبية واللهجات.

4- الحالة الهايتية: استعمال الكريبول والفرنسية.

وعلى العموم فإنّ الدراسة التي قدّمها فرغوسون تعتمد أساسا على وجود نوعيين من التنوعات اللغوية أحدهما راقٍ يستعمل في المراسيم الرسمية والدين وكلّ ما يتعلق بما هو مكتوب بما أنه مبني على أساسا قوانين نحوية، صرفية، معترف بها ويفهمها كل أفراد المجتمع إلى جانب التنوع المستعمل في المدارس والجامعات كوسيلة لنقل المعرفة.

أمّا التنوع الثاني فهو منحط قليل الأهمية بالمقارنة مع الأول ولا يدرس في المدارس والجامعات كما أنه لا يستعمل في الرسميات وهو مفهوم من طرف فئة معينة من المجتمع، كما أنه يأتي عفويا بما أنه يستعمل في الحياة اليومية، ومن خصوصيات الازدواجية من استعمال تنوع لغوي (راق، منحط) كلّ منهما في موضع معين ومن هنا حدّد فرغوسون مبدأ الحكم أو التفريق بين استعمال التنوعات اللغوية، في مجتمعات العالم.

ومع أنه لم يكتشف شيئا جديدا في علم اللسانيات إلاّ أنه كان الأول الذي وضع اسما لهذه الظاهرة، فإذا حللنا الدراسات التي سبقته في هذا المجال فإننا نجد أن هناك علماء كثيرون وصفوا هذه الظاهرة بتدقيق وتمعن وخاصة العلماء العرب وهذا نظرا لخاصّة العالم العربي تاريخه وموقعه الجغرافي إلى جانب طبيعة المجتمع، فاستعمال اللغة العربية في الجانب الديني أي تلاوة ثم استعمال لهجة معينة في التواصل اليومي أمر ظهر منذ فجر الإسلام فدونه ووصفه العديد من العلماء المسلمين الذين كان همهم الأول هو المحافظة على اللغة العربية التي

تعتبر رمز الوحدة العربية والإسلامية، كما أنّ خوفهم على ضعف إقبال الناس على القرآن والسنة، وبذلك الإسلام بصفة عامّة، بدخول الألفاظ الغريبة في اللغة العربية حولهم إلى حرّاس لهذا الإرث العظيم.

فما فعله أبو أسود الدؤلي وسيبويه ودراسات ابن جني وابن خلدون في هذا المجال ما هو إلا دليل على تطور هذه الدراسات في ذلك الوقت في العالم الإسلامي.

أما في العالم الغربي فمنذ تنويه ج. بسكاري في بحوثه حول تواصل بين اللغاة توالى العديد من العلماء في الأنثروبولوجيا اللسانية ثمّ اللسانيات واللسانيات الإجتماعية دراستهم في هذا الموضوع ولعلّ وليام مارسي كل من الأوائل الذين درس هذه الظاهرة من خلال اللغة العربية ولهجاتها حيث قال : "إن اللغة العربية تتقدّم إلينا تحت مظهرين مختلفين –لغة أدبية، – تعابير كلامية".

ثمّ تبع الفرغوسون في دراساته عدد كبير من اللسانيون كون ظاهرة الازدواجية هي رمز من رموز المجتمعات المتعدد اللّغات (plurilinguistes) إلى درجة أنّه أصبح تصوّر فرغوسون يعد تقليدي كما أشار إليه ع.عبد الرحمان بن سبيع حين شرح أنّ ما جاء به فرغوسون لا يمكنه تطبيقه على كلّ المجتمعات كما أنّ نظرته تعتمد على الدراسة التاريخية.

في هذا النطاق يقترح جوشوا فيشمان ثلاثة أنواع من التنوعات اللغوية : لغة رئيسية أو أساسية (Major Language) لغة بسيطة ولغة ذات حالة خاصّة (Language special status) ويضاف إليها خمسة أنواع من التنوعات اللغوية : العامية، المعيارية، الكلاسيكية، لغة المجين والكريول.وسبعة وظائف وهي

فطيمي، رسمية، عامية، تعليم الدّين، لغة دولية، لغة أداة للتعليم. وتبع فيشيان لسانيون في محاولاتهم لتحديد رسم أو نمط دقيق للازدواجية ومكانتها كفاسولد Fasold أو شاودوسون Chandenson أو بايلون Baylon وغيرهم لكن يبقى النموذج المثالي للازدواجية بعيد التحديد وهذا لسبب بسيط وهو أنّ الازدواجية تختلف من مجتمع إلى آخر بصفة عامّة ومن فرد إلى آخر بوجهة خاصّة.

كما أنّها متأثّرة بمحيط معين يجعلها خاصّية غير مستقرّة والجزائر هو مثال لهذه الخاصية التي تتسم بعدم الاستقرار وهذا نظرا لوجود نوع من فسيفساء اللغة في وسط المجتمع الجزائري، فموقعها وتاريخها وثقافتها يحددون درجة الازدواجية المستعملة فنجد مثلا العديد من سكان الشرق الجزائري وخاصّة في عنّابة مثلا أنّ هناك العديد من أفراد الذين بالإضافة إلى إيجادهم للّغات المعروفة العربية، الفرنسية فهم يتقنون اللّغة الإيطالية ونفسر الحال نجد في المناطق الساحلية بالنسبة للغرب أين يتقنون الإسبانية وهذا ناتج للموقع الجغرافي للمنطقتين بالنسبة للقارّة الأوروبية.

I-1- السلوك الإزدواجي اللّغوي في الجزائر:

كما رأينا فإنّ أي سلوك لغوي هو نتاج دوافع وتأثيرات تلعب دور محرّك آلة التكلّم عند الإنسان العاقل، كما أنها تحدد له اختيار للتنوع اللغوي المستعمل في المكان والزمان المعينين دون غيرها وهذا لا يحدث إلا إذا كان الفرد يتقن تنوعين (لغة، لهجة) أو أكثر (لغات لهجات).

إن أول ما يلاحظ في الجزائر في هذا المجال هو أنّ الجزائري لا يحب إبدال لغة بأخرى أو يتعلّم لغة بهدف إرضاء قرارات كيف ما كانت طبيعتها والدليل على ذلك فشل قانون التعريب الذي بات مفعوله إلا في الأوراق الإدارية ونفس الحال أصبح في تعليم اللغة البربرية في الجزائر بعدما اعترف بها كلغة وطنية وواجهت مشاكل نشر هذه اللغة التي هي رمز من رموز التراث والشخصية الجزائرية حتى في مناطق التي تأوي سكانا من أصل بربري كالقبائل وغرداية... ومن هنا فإنه يبدوا أنّ الجزائريون يستطيعون التكلم بلغة لا يستطيعون كتابتها ويكتبون بلغة لا يستطيعون التكلم بها".

وفي غياب دراسات موحدة بين جميع الباحثين في الجزائر وخارجها حول تفاعل اللغات واللهجات في الجزائر تضاربت الآراء والنتائج فمنهم من وكز الأسباب إلى الحالة الاجتماعية والآخرون إلى جغرافية البلاد وموقعها إلى جانب تاريخها الحافل بتواصل الجزائر بشعوب أخرى سواء كرها مثل الحضارات التي غزتها في التاريخ أو طوعا كما هو الحال مع الفتح الإسلامي.

وعلى العموم فإنّ هناك ثلاثة مجموعات متكلمة في الجزائر إلى جانب البربر:

أ- دعاة اللغة الفرنسية أو كما يعرفون بالفرنكفونيون : وهم مشجّعي اللغة الفرنسية والتكلم بها كوسيلة متطورة ومتحضّرة للتواصل بين المجتمعات في العالم مستشهدين أنّ المجتمع الجزائري هو مجتمع ثنائي اللغة (العربية والفرنسية) وأنه يستعمل أكثر اللغة الفرنسية في حياته اليومية من اللغة العربية التي هي

مستعملة إلاّ كوسيلة دينية وسياسية وحسب هذه المجموعة فإنّ العربية لا تفي بكل متطلبات التواصل بين الناس وخاصّة ما يسمونه بالتابوهات في العربية.

اللغة العربية هي سجينة الإسلام لابدّ من إبعادها منه حتى تتزح منها هذه الذاكرة التي تمنعها من الاستمتاع والمرح كما يمرح روائي أو مبدع.

ب- دعاة اللغة العربية: وهي الشريحة الأولى من المثقفين وعدد من أفراد المجتمع متشبعين بالثقافة الجزائرية العربية ومقتنعين بأن اللغة العربية هي رمز لشخصية الجزائرية، وهم يهاجمون الفرنكوفنيون بأفهم على أنهم بايعوا لغة المستعمر التقليدي في القديم والمستعمر الغازي للعقول في الحاضر، ولصد أي تغلغل في اللغة والثقافة العربية الجزائرية من أي غزو أجنبي يحاول العديد من اللسانيين تطوير بحوث ودراسات قصد جعل اللغة العربية في الواجهة التطور العلمي والإعلامي العالمي، وهذا ما يحاوله المجلس الأعلى للغة العربية بجمع هذه الدراسات عبر مختلف المنشورات العلمية[1].

ج- المجموعة الثالثة: وهي مجموعة الوسط أي أن أفرادها هم بين ا لعربية والفرنسية فهم يستقبلون أي لهجة مفيدة لهم وتساعدهم لبلوغ مبتغاهم فهم يعتبرون اللغة وسيلة وليست غاية مما يسمح لهم فتح للغات أخرى كالانجليزية والاسبانية...إلخ.

ومن هنا فإنّ المجموعات الثلاث قد بنيت على أساس ثقافتهم ودراساتهم إلى جانب محيطهم الذي اثروا بشكل مباشر في شخصيتهم وآرائهم وبين هذا وذاك هناك قاسم مشترك بين هاته المجموعات وهي ظاهرة الازدواجية فكل فرد

1)- المجلس الأعلى للغة العربية: مستقبل اللغة العربية في سوق اللغات، 2009.

من هذه الأفراد يستعمل على الأقل تنوعين لغويين في حياته اليومية وتواصله مع الآخرين، فالفروكونفوني والمعرّب والحيادي يستعملون العامية ولغة أخرى دون تكلف أو تضاد ومن هنا نستنتج أنّ ظاهرة الازدواجية ليست محددة بلغات معينة بل أنها محددة باستعمال هذه اللغات فعلى الباحث أن لا يحاول هذه الظاهرة بل تحليلها وحراستها من خلال بحوث ميدانية مستمرّة غير منقطعة طالما أفراد المجتمع يستعملونها ولربّما يأتي يوم أين مستجدات البحوث تعطينا أشياء ونتائج جديدة تمحوا كل ما جاء به كبار اللسانيون في العالم. وهي فرصة للباحثين العرب بصفة عامّة والجزائريين على وجه الخصوص بأن يتألّقوا في هذا المجال بما أنّ الازدواجية هي عنصر من حياتهم اليومية

I-2- ظاهرة الازدواجية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية:

إنّ الهدف من اختيار الجامعة الجزائرية في الدراسة الميدانية للازدواجية هو طبيعة الميدان نفسه إذ أنه مخبر واسع لهذه التجربة كونه محدد وأفراد المجتمع مختارين (طلبة، أساتذة، عمال) فهذا يسهل بكثير عملية الملاحظة وطرح الأسئلة وفي الأخير تحليل المعطيات والشرط الوحيد والأول هو اختيار عينة واحدة اعتبرناها نموذجا لكل الجامعات الازدواجية في كلية الآداب جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.

تقوم الدراسة الميدانية أولا وقبل كل شيء على إحصاء عدد الطلبة في الكلية وهي تعتبر من أكبر الكليات في جامعة تلمسان بنحو 11704 طالبا في جميع الفروع (إحصاء 2007-2008) أخذت عينات الطلبة حسب درجة الأهمية

حيث أن أول قسم ركزت عليه الدراسة هو قسم اللغة العربية أين هناك العدد الأكبر من الطلاب 3575 طالبا في أقسامه الأربعة: السنة الأولى 1014، السنة الثانية1026، السنة الثالثة685، السنة الرابعة850 طالبا.

ثم انتشرت الدراسة لتشمل في المرحلة الثانية الأقسام المستعملة للغة العربية أكثر من اللغات الأجنبية أولها علاقة بالعربية ومصطلحات عربية منها باللغات الأجنبية، قسم الفلسفة 425 طالبا، قسم الشريعة 154 طالبا، قسم التاريخ949 طالبا، قسم علم الاجتماع 973 طالبا، قسم علم الآثار 356 طالبا، قسم علم النفس 1220 طالبا (انظر ملحق رقم: 02).

لقد كانت من أول الصعوبات التي واجهتنا هي الاختبار الأمثل لعدد الطلاب المراد دراسة سلوكهم، من هم؟

فوضعت أوصاف للطالب الأمثل وهي:

1- ثلث الطلبة يكونون من الأوائل.

- الثلث الثاني مستواهم متوسّط.

- الثلث الثالث مستواهم ضعيف حسب النقاط أو المعدلات.

2- أن يكونوا قادرين على التكلم والاستجابة وليس العكس فكلما كانوا ممن يشارك ويتكلم دون أي عقد نفسية كلما ساعدنا على الدراسة والتحليل.

3- الجنس لا يهم في هذه الدراسة لأن المشكل في هذا الاختيار هو وجود عدد البنات الطالبات أكثر من الطلاب فتقسيم العينة غلى نصف بنات ونصف أولاد لا يعكس الواقع 1/3 فقط من الطلبة هم طلاب.

4- لابد أن تكون فترة الملاحظة غير منحصرة على هؤلاء الطلبة بل على الطلبة جميعا ومن ثمة فإنّ العينة تظهر تلقائيا بعد التحادث معهم.

5- اجتناب أي حديث عن الميول السياسي أو الديني أو أي ميول أيا كان حتى لا يكون استجابة الطلبة بدافع معين بل لا بد أن يكون عفويا في كل درجات الدراسة.

6- محاولة الحديث مع الطلبة داخل وخارج الأقسام قصد خلق محيطين مختلفين أين يمكن استعمال تنوعين لغويين مختلفين.

مجموع الطلبة إذن الذين اختيروا كان حسب هذه الأوصاف و لم يكن محددا قبل ذلك فكل دفعة لها عددها الخاص بها دون اللجوء إلى وضع عدد متساوي لكل السنوات في كل الأقسام فالهدف من هذه الدراسة هو دراسة درجة الازدواجية المستعملة في الكلية وإلى أي مدى وصلت هذه الظاهرة في هذا المحيط وليس البحث في عدد مستعمليها.

كما أننا حاولنا تحليل ما إذا كانت هذه الظاهرة تشكل عائقا أو خطرا في الوسط الجامعي أم لا؟ ولهذا وضع عدد مسبق للطلاب المراد استجوابهم كان من المستحيل إذ أننا أردنا أن يكون هذا عفويا وليس إلزاميا كما أننا تفادينا أن يكون هذا البحث في إطار إلزامي إجباري فتسقط صحّة النتائج مسبقا لأن الموضوع ولو يبدو بسيطا إلا أن السؤال عليه إلزاميا قد يخلق نوع من الخوف في وسط الطلبة ولهذا كانت فترة الملاحظة (Observation) مهمة جدّا.

I-3- فترة الملاحظ المشارك (Participant Observation):

أ- فترة الملاحظ: لقد انحصرت فترة في المرحلة الأولى على ملاحظة طريقة التخاطب بين مختلف الطلبة بينهم دون الاقتراب أو الحديث معهم وهي مرحلة تأخذ وقتا معينا وفي معظم الأحيان هي أطول مرحلة في الدراسة بالمقارنة مع مرحلة الاستجواب (طرح الأسئلة) وبهدف تسهيل مهمّتنا كان علينا اختيار وقت معين في استعمال الزمن للقسم أين يمكن إيجاد إلاّ سنة واحدة من السنوات وبذلك يمكن الاستماع إلى طريقة الكلام على حدى إنها طريقة صعبة لكن في معظم الأحيان تكون في وقت انتهاء ساعة الدرس فخروجهم من الأقسام والمدرجات بعد الدروس يجعلهم أكثر إقداما على الحديث بعضهم ببعض هذا إلى جانب وجود أماكن خاصّة أين استطعنا أن نحصل على ملاحظات دقيقة دون المشاركة في الحديث كالمكتبة أو في الحافلة الناقلة للطلبة ومن هنا خرجنا بالنتائج التالية:

الموضوع	اللغة		اللهجة		لغة أخرى	
	داخل	خارج	داخل	خارج	داخل	خارج
موضوع له علاقة بالدرس	++	-+	--	++	+-	+-
الأستاذ والدرس	-+	+-	+	+	-+	-+
الحديث عن مواقف طريفة	-	-	++	++	-+	-+
الحديث عن التلفزيون	-	-	++	++	-+	-+

ومن هنا فمعظم الطلبة يستعملون أكثر اللهجة أكثر كلما ابتعدوا من مبنى القسم 70% من الطلبة يتكلمون أكثر باللهجة أو العامية في الحافلة أكثر من الأماكن الأخرى مثلا، وأوّل نتائج هذه الملاحظة الأولية هو كما يلي:

1- فرق في استعمال اللغة واللهجة (High vriety/Lowveriety) حسب المكان والزمان فكلما ابتعدنا من جدران القسم كلما كان استعمال للغة أقل، وهذا يعني أننا لاحظنا أنه هناك استعمال للغة العربية أكثر في القسم والمكتبات.

2- هناك استعمال طريقتين في استعمال اللهجة: ماهي مستعملة في المبنى سواء بين الطلبة والأساتذة، أو بين الأصدقاء والمقربين إلى حدّ يمكن القول أنها تقارب تنوعين لغويين فمثلا هناك بعض الألفاظ وطريقة استعمالها بين الطالب والأستاذ والطالب وصديقه

الطالب ⇐ الأستاذ ①	الطالب وصديقه ②
- صباح الخير الشيخ (السلام عليكم)	- وَاهْيَا/Salut/ سلام
- عَدْنَا حصّة دَرْوَكْ؟	- عَدْنَا كُورْ (Cour)؟
- دبَّت المعْتلْ/ أعْطِيتْنِي نُقْطَة مْلِيحَة الشيخ أستاذ؟	- بَلَّعْتْ؟
- شُكرا/صَحِّيتْ/بْقا على خير/الله يْعاوْنك	- صَحِّيتْ/ وَاهْيَا/ الله يْعَاوَنْ

هذه الأمثلة تدل على وجود فرق بين ① و② إن لم نقل أنه اختلاف كبير في استعمال تنوع لغوي واحد وهو العامية ففي الحالة ① هناك استعمال تنوع أكثر شرحا وتنظيما من الحالة ② وهي تعكس الصلة بين المتكلم والمستمع التي تؤثر مباشرة على طريقة التكلم والتواصل كما لاحظنا أنه هناك علامات الاحترام أكثر في الحالة ① أكثر من ② هناك اقتصاد في الحديث أكثر من الحالة ① وهذا النوع من الاستعمال لطريقة معينة في الحديث ① وجدت

كلما كانت درجة الصلة والقرابة أقل وهو عاملا اجتماعي يؤثر مباشرة على اختيار الطريقة الأنسب للتكلم.

3- لقد سمحت هذه الفترة (فترة الملاحظة) إلى انتفاء مجموع الطلاب الذين قد ندرجهم تحت المرحلة الثانية وهي ملاحظة المشارك (Participant Observation) وهي التي تهدف إلى التقرب من عينة من الطلاب والحديث معهم.

ب- فترة الملاحظ المشارك: ولربّما هي أصعب مرحلة إذ أنه من شروط هذه الدراسة الميدانية هو الحصول على معطيات حقيقية مبنية على أساس الحرية في التعبير والتلقائية في الأجوبة وهي مرحلة للتقرب من الطلاب وللتحدّث معهم مع اجتناب الحديث عن أي موضوع يشير إلى الازدواجية في الجامعة لكن كان لابدّ من عدم الابتعاد عن الموضوع ولهذا اخترت أن يكون التحدّث في موضوع استعمال التنوعات اللغوية في مواضيع وأماكن عديدة مستلهما من جدول جانيت هولمس وهو كمايلي:

1- جدول جانيت هولمس:

Domain	Addressee	Setting	Topic	Language
Family	Parent	Home	Planning a party	Guarani
Friendship	Friend	Cafe	Humorous ancedote	Guarani
Religion	Priest	Church	Choosing the Sunday liturgy	Spanish
Education	Teacher	Primary	Telling a story	Guarani
Education	Lecturer	University	Solving math problem	Spanish
Administration	Official	Office	Getting an important license	Spanish

مجال	المرسل إليه	المكان	الموضوع	اللغة

عائلي	الأبوين	البيت	تنظيم حفلة	قواراني
صداقة	أصدقاء	مقهى	سرد نكت	قواراني
ديني	قص	الكنيسة	اختيار القداس الأحد	الاسبانية
تربوي	المعلم	المدرسة	سرد قصة	قواراني
تربوي	الأستاذ	الجامعة	حل مشكلة رياضية	الاسبانية
إداري	رسمي	الإدارة	حصول على شهادة مهمة	الاسبانية

2- جدول المستعمل:

مجال	**المرسل إليه**	**المكان**	**الموضوع**	**اللغة/ اللهجة**
عائلي	الأبوين	البيت	تنظيم حفلة	لهجة
صداقة	أصدقاء	مقهى	سرد نكت	لهجة
ديني	إمام	المسجد	اختيار خطبة الجمعة	للغة
تربوي	المعلم	المدرسة	سرد قصة	للغة
تربوي	الأستاذ	الجامعة	حل مشكلة رياضية	لهجة
إداري	رسمي	الإدارة	حصول على شهادة مهمة	لهجة

إلى جانب استعمال بعض الأسئلة مثل ماهي اللغة المستعملة في هذه المواضيع بالنسبة لكم:

- سرد نكتة
- لقاء قصد الحصول على عمل
- خطاب
- خطاب
- المسجد

- مقهى

هذه المواضيع والمواقف قد اقترحت من طرف فرغوسون ثمّ جانيت هولمس على النحو التالي:

1- سرد نكتة Telling a Joke

2- لقاء للحصول على عمل Interviewinj for a Job

- إلقاء كلمة لحقل خيري Giving a Speech for a charity event

3- إلقاء خطاب في عيد ميلاد صديق Giving a speech for a freind's birthday

4- كنيسة Church

5- مقهى Cafeteria

الهدف هو محاولة التّعرّف على مدى اهتمامهم بهذا الموضوع إلى جانب جمع المعطيات الأولية عن العينة المراد اختبارها ومدى استعداها والمشاركة في مرحلة الاستبيان (questionner).

النتائج:

جواب الأول: اللهجة① 100%.

جواب الثاني: لهجة② 100%.

جواب الثالث: لغة العربية 80%.

لهجة① 05%.

مزيج بين اللغة العربية واللهجة① 15%.

الجواب الرابع: لغة العربية 100%.

الجواب الخامس: لغة عربية 60%.

لهجة①/ لغة عربية 40%.

الجواب السادس: لهجة 100%.

ومن هنا فإنّ 50% من الأجوبة هي بـــ 100% بالنسبة للهجة ① أو② فيما جاءت لاستعمال اللغة العربية جاءت بنسبة 16,66% من مجموع الإجابات.

عدد الإجابات التي تغلب اللغة العربية بنسبة 33,33% من مجموع الإجابات وهدا يؤكد ما جاءت به هولمس على أنّ اللغة الراقبة (High Veriety) لا تستعمل دائما إلا ببعض الاختلافات هي أن هناك بعض التغيرات (اللهجة①، اللهجة②).

إلى جانب أن بالنسبة لجدول هولمس فإنّ هناك بعض الاختلافات في بعض المواقف واستعمال التنوعات اللغوية جواب 3-6 .

ومن هنا فإن فترة الملاحظة أسفرت على النتائج التالية:

1- استعمال للغة العربية في الخطاب هو في مواقف معينة فقط.

2- استعمال اللهجة في جلّ المواقف اليومية.

3- وجود استعمال للهجة بطريقتين مختلفتين:

أ- لهجة تستعمل في مواقف أين تدعي إلى احترام.

ب- لهجة مقتصدة ترمز إلى خصوصية العلاقة بين المتكلم والمستمع أو مجموعة من المتكلمين، تعتمد على استعمال طريق ورموز معينة وهي لا تدعوا إلى جهد في الاحترام.

II- الاستبيان Questionnaire:

لقد تم جمع المعطيات عبر أسئلة الاستبيان من خلال انتفاء أجوبة الطلبة الدين تمّ اختيارهم من كل سنة وهم كالتالي:

نسبت الأولية التي اختيرت من كل قسم من أقسام الكلية هي 10% لكن هذا العدد غير متواز بين الأقسام فنجد في قسم الأدب العربي نسبة المختارين تعادل تقريبا 360 طالبا بينما لا يتجاوز عدد الطلبة في قسم العلوم الشرعية 16 طالبا إلى جانب أنه وجد في بعض الأقسام كل السنوات من الأولى إلى الرابعة (انظر الملحق رقم: 02).

بينما هناك أقسام لا تحتوي حتى على السنة الثانية، وبهذا وتفاديا لأي عدم التوازن بين النتائج الكمية (Quantitive) والنوعية (Qualitative) أخذت عينة تتألف من 15 طالب في كل سنة 60 طالبا في كل قسم مع الأخذ بعين الاعتبار عدد الطلبة المتزايد في بعض الأقسام.

إن عدم انتقاء أجوبة في قسم اللغات الأجنبية راجع إلى استعمال طلبة هذا الأخير إلى لغات مختلفة كالفرنسية والانجليزية، فحرصا على تفادي أيّ معطيات خاطئة قد تؤثّر في النتائج النّهائية، لم يتمّ توزيع استبيان في هذا القسم.

II-1- نتائج الاستبيان وتحليله:

السؤال الأول: إن الهدف منه هو تحديد درجة الصلة الموجودة بين اللغة ومستعملها وبهذا فهي تؤثر بصفة مباشرة على استعمالها ومن هنا فقد جاءت بالنتائج التالية:

(نتائج جدول السؤال الأول①)

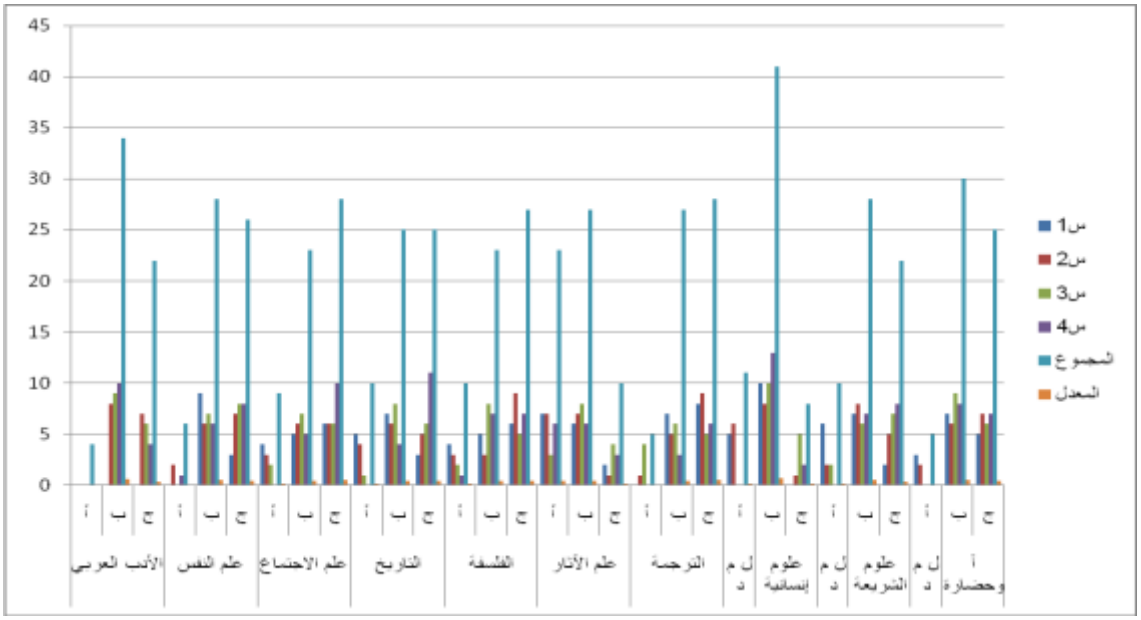

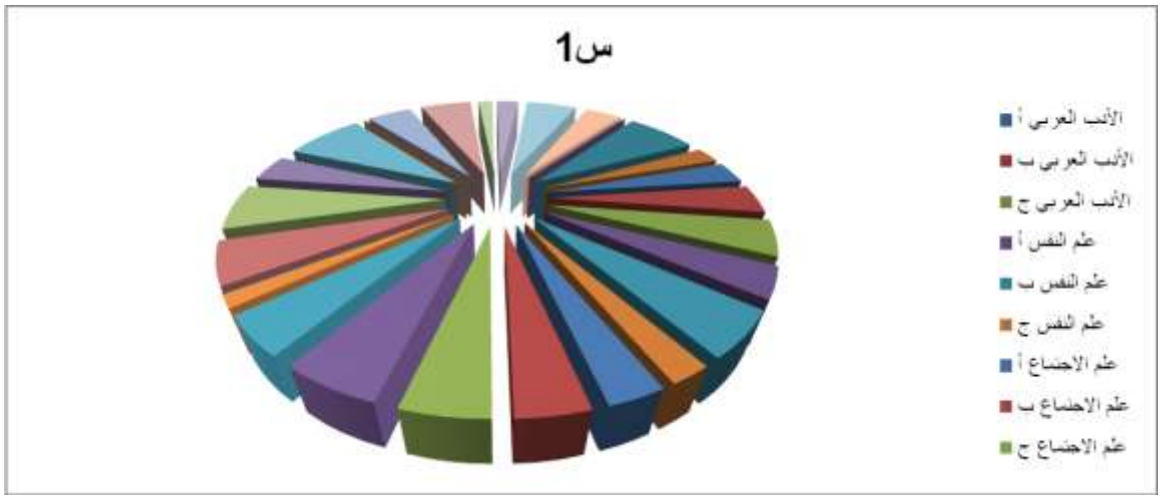

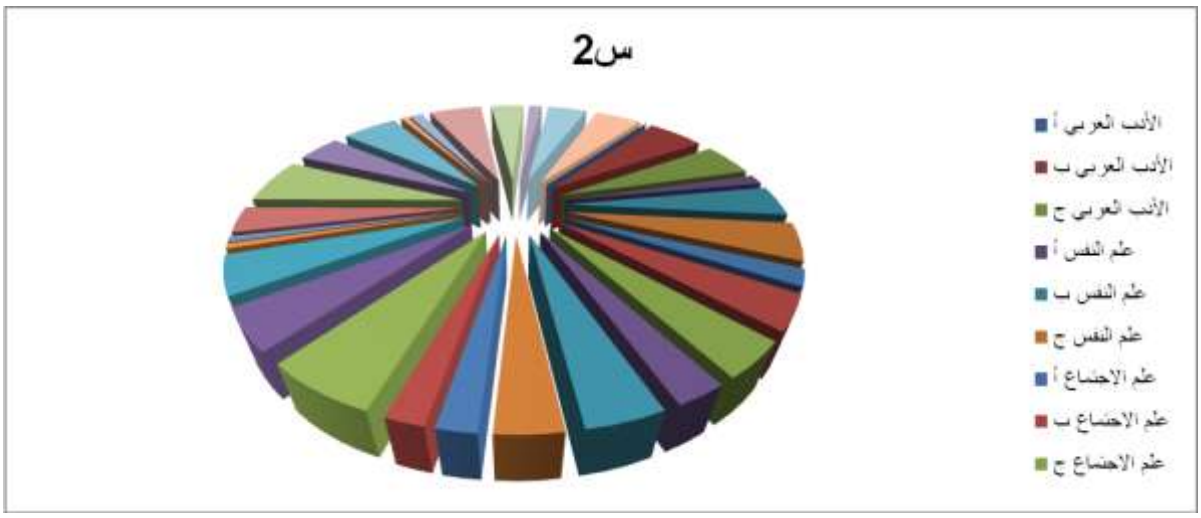
س2
الأدب العربي أ
الأدب العربي ب
الأدب العربي ج
علم النفس أ
علم النفس ب
علم النفس ج
علم الاجتماع أ
علم الاجتماع ب
علم الاجتماع ج

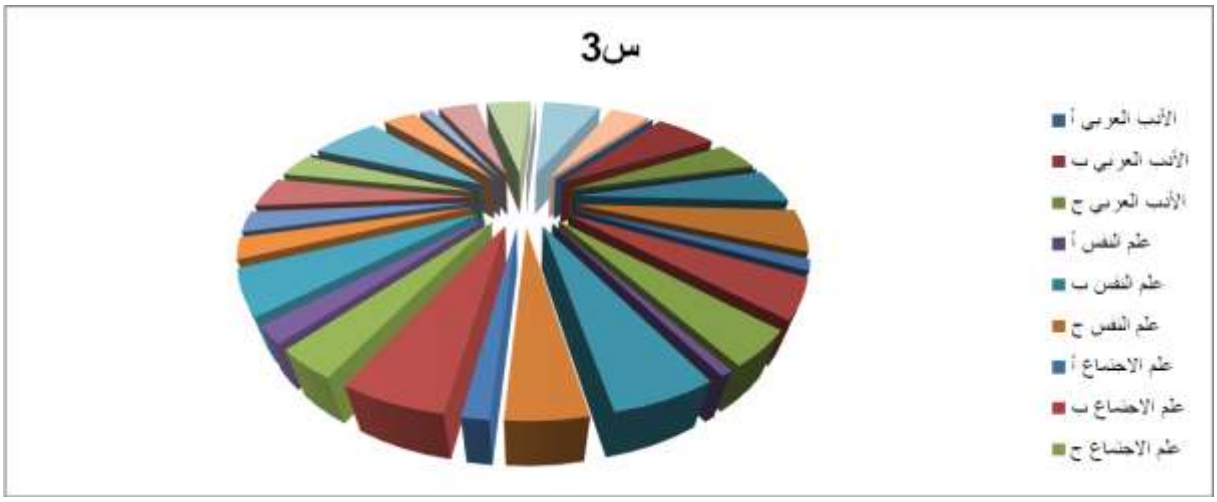
س3
الأدب العربي أ
الأدب العربي ب
الأدب العربي ج
علم النفس أ
علم النفس ب
علم النفس ج
علم الاجتماع أ
علم الاجتماع ب
علم الاجتماع ج

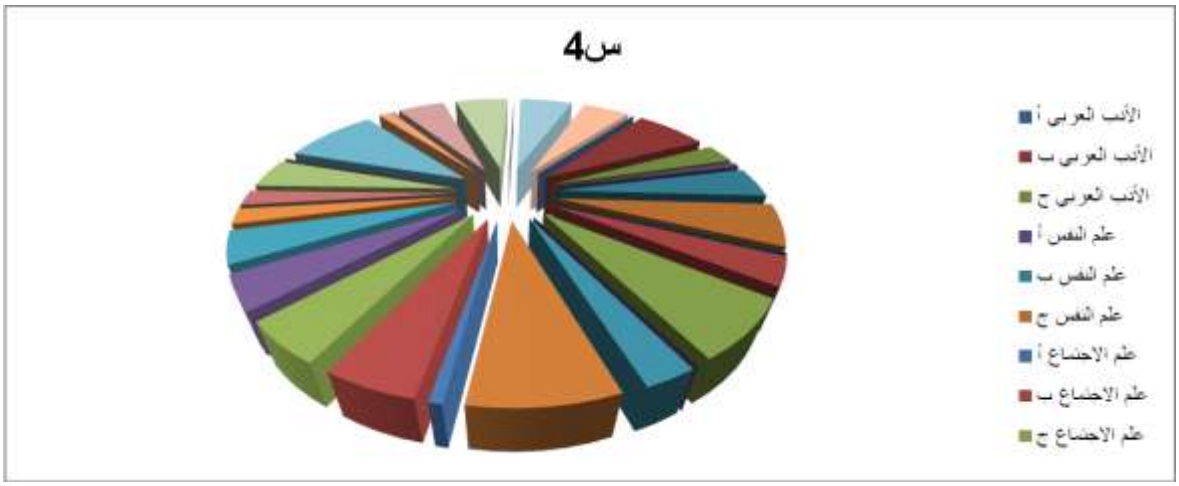
س4
الأدب العربي أ
الأدب العربي ب
الأدب العربي ج
علم النفس أ
علم النفس ب
علم النفس ج
علم الاجتماع أ
علم الاجتماع ب
علم الاجتماع ج

السؤال الثاني: إن الهدف من هذا السؤال هو محاولة تحديد مستوى الطلبة فمن غير الممكن أن نطلب من إنسان التكلم عن لغة هو أصلا لا يعرفها أو يستوعبها نظريا كلّما استوعبها أكثر كان استعمالها أكثر.

النتائج:

(نتائج السؤال الثاني②)

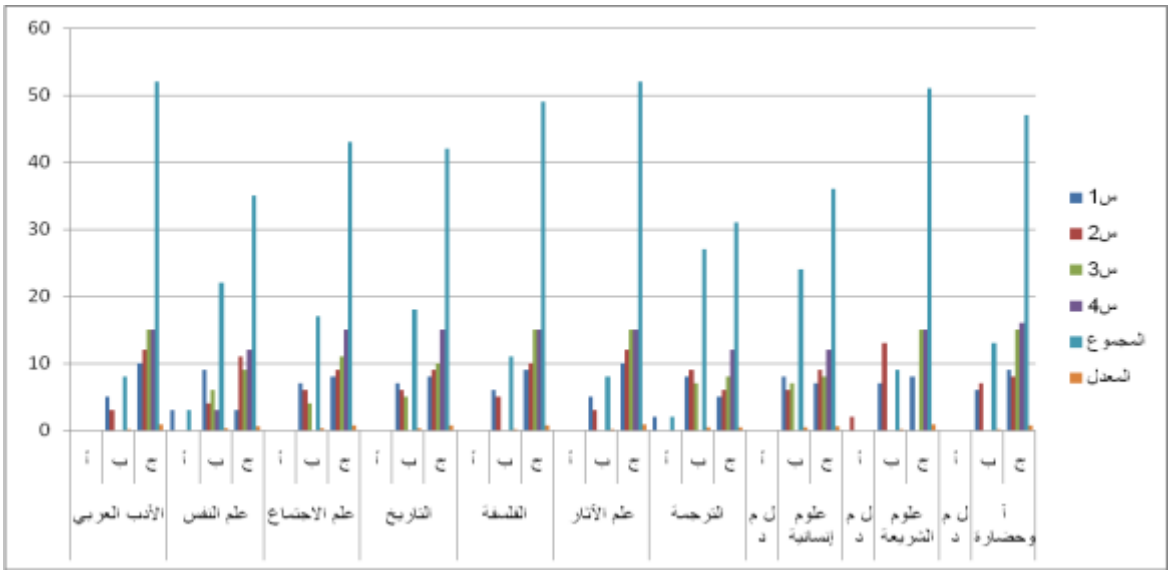

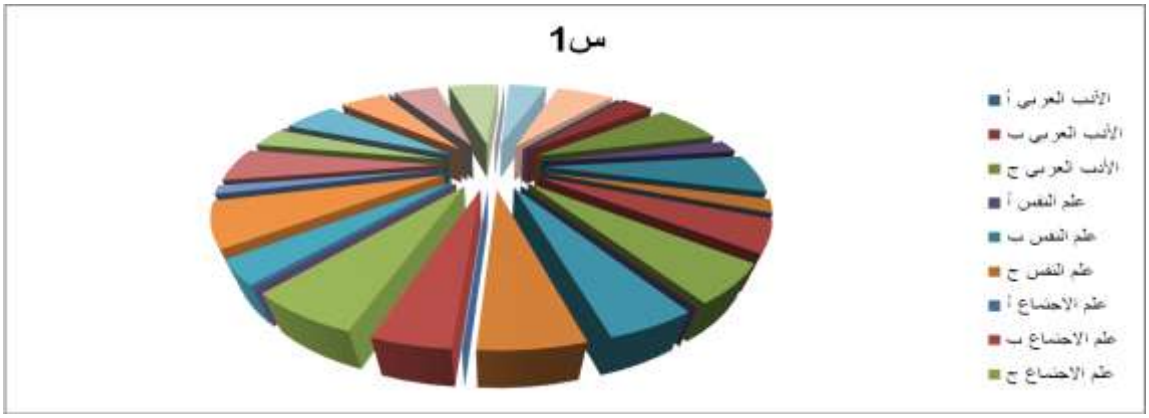

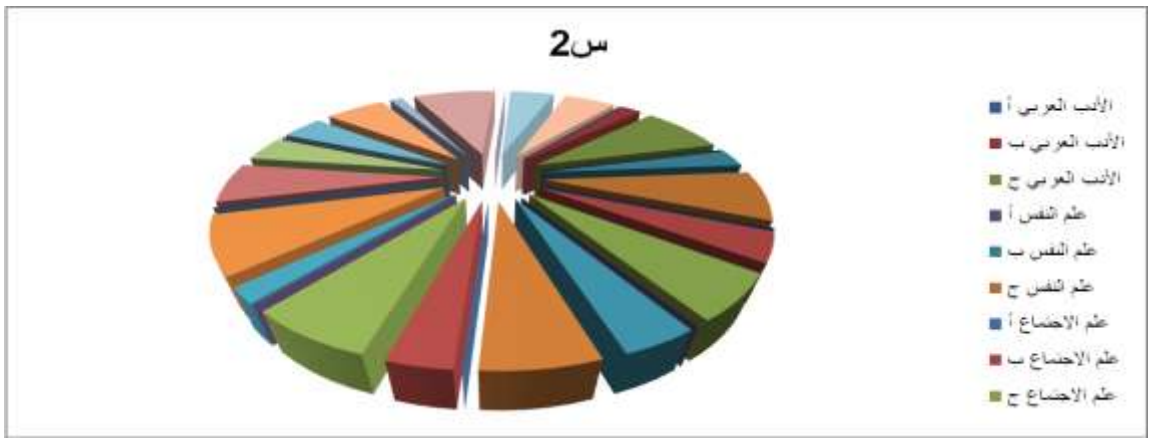
س2
الأدب العربي أ
الأدب العربي ب
الأدب العربي ج
علم النفس أ
علم النفس ب
علم النفس ج
علم الاجتماع أ
علم الاجتماع ب
علم الاجتماع ج

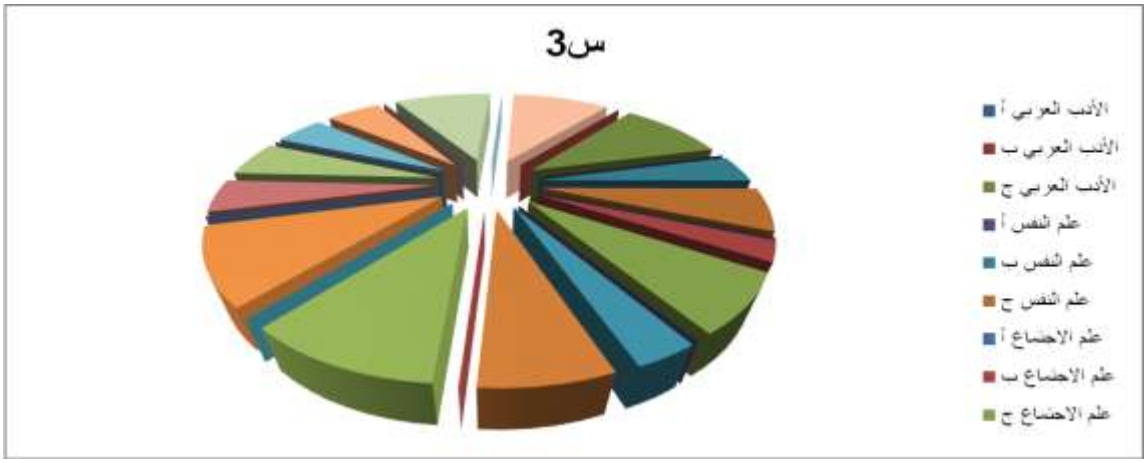
س3
الأدب العربي أ
الأدب العربي ب
الأدب العربي ج
علم النفس أ
علم النفس ب
علم النفس ج
علم الاجتماع أ
علم الاجتماع ب
علم الاجتماع ج

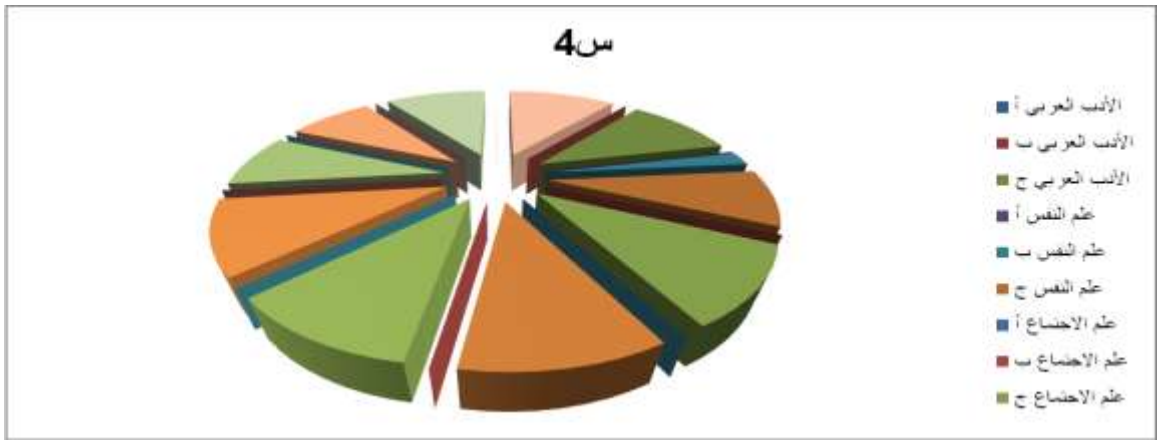
س4
الأدب العربي أ
الأدب العربي ب
الأدب العربي ج
علم النفس أ
علم النفس ب
علم النفس ج
علم الاجتماع أ
علم الاجتماع ب
علم الاجتماع ج

السؤال الثالث: الهدف من هذا السؤال هو تحديد مجالات وأماكن استعمال اللغة العربية وهو سؤال يعتبر كمقدّمة للسؤال الرابع.

(نتائج جدول السؤال الثالث)

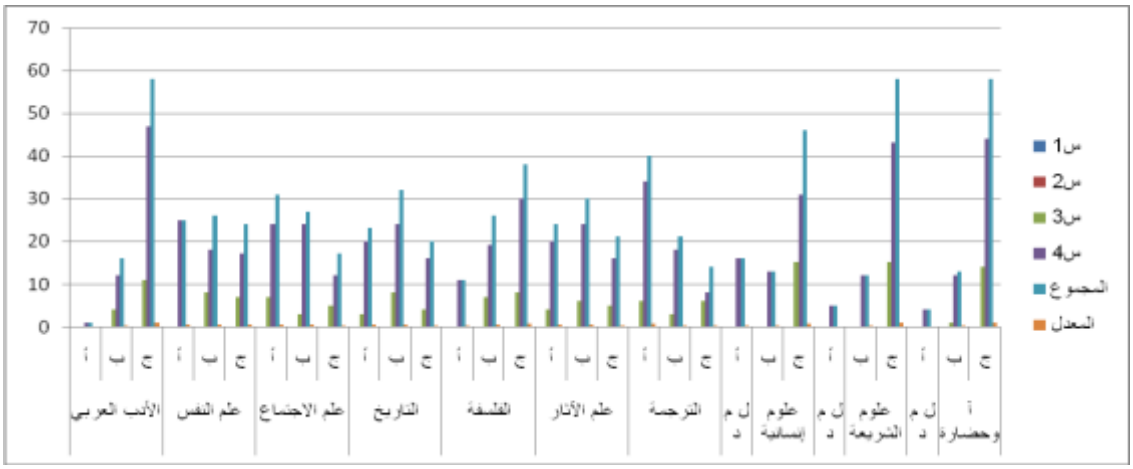

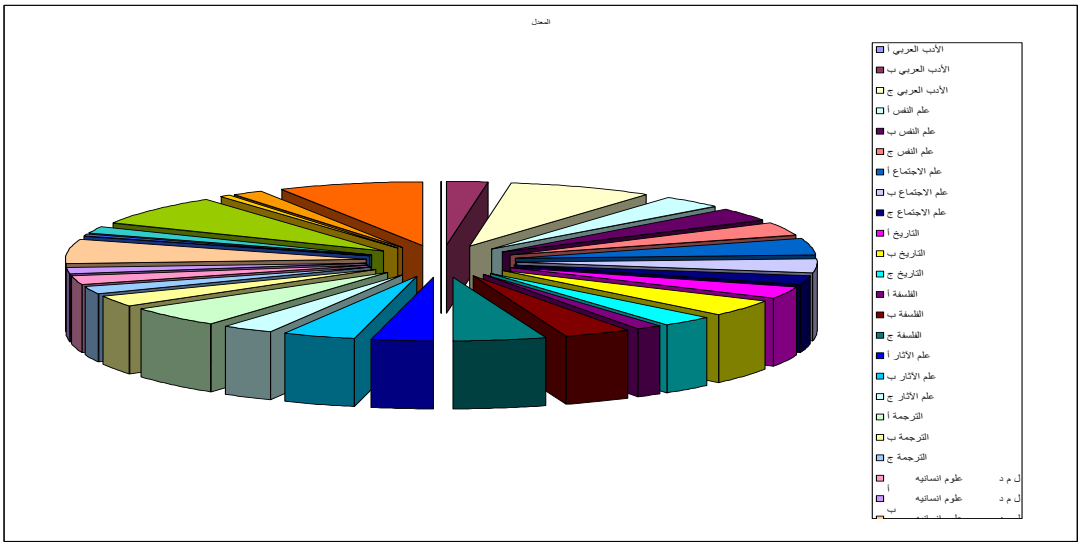

السؤال الرابع: إن الهدف من هذا السؤال هو محاولة معرفة ما إذا كان هناك حديث وحوار باللغة العربية فقط وبدون استعمال تنوع لغوي آخر.

(نتائج جدول السؤال الرابع)

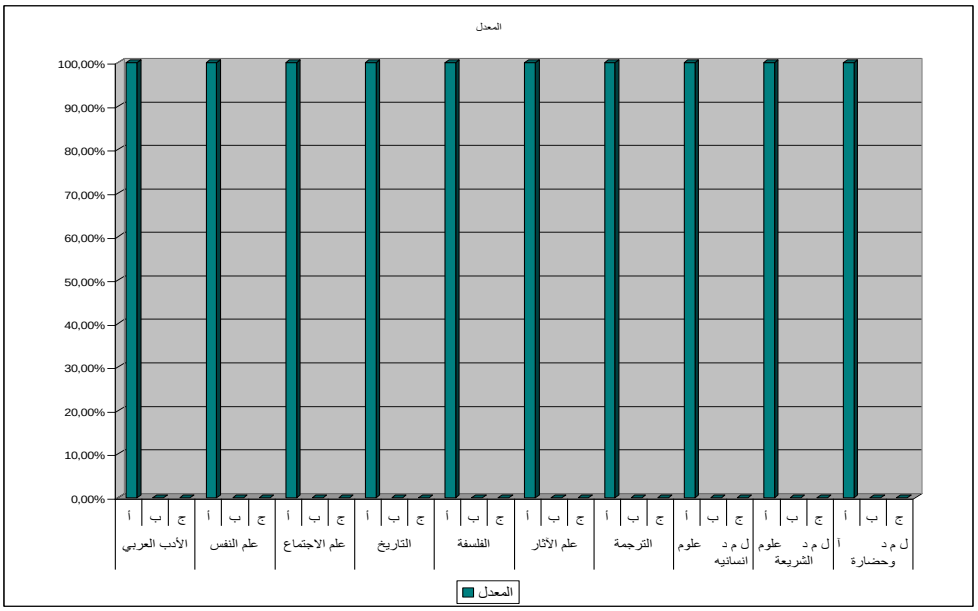

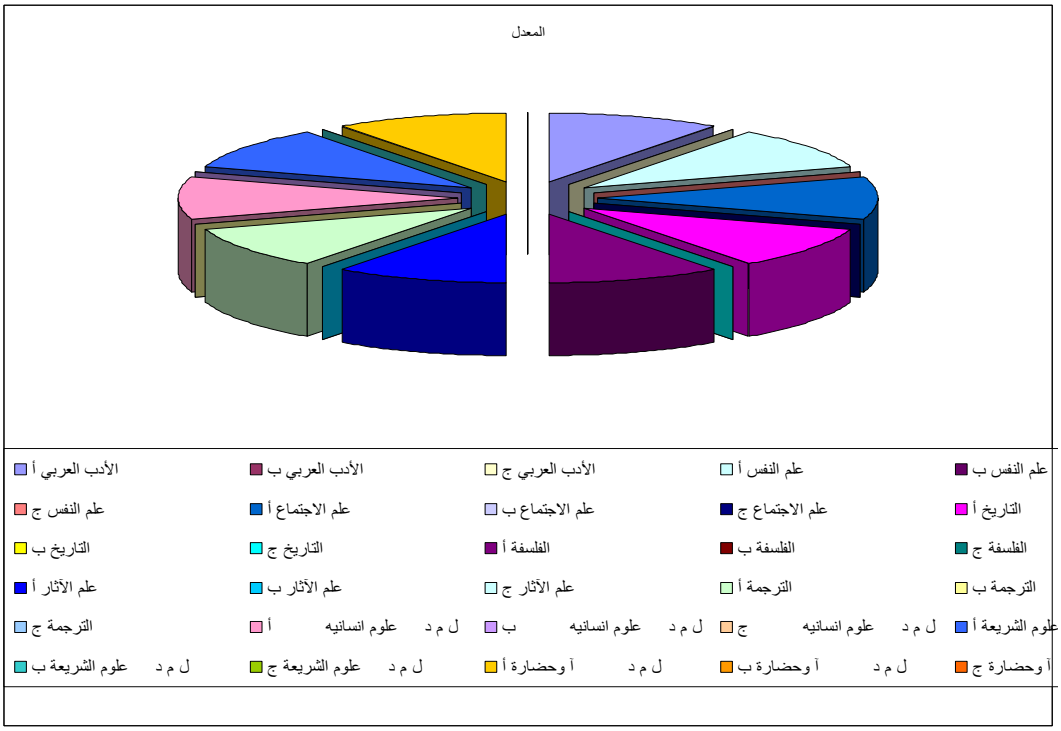

السؤال الخامس: هو محاولة استدراك السؤال الرابع إذا كانت الإجابة بلا وهو تكملة لهذا السؤال وفي نفس الوقت فتح لباب الازدواجية.

(نتائج جدول السؤال الخامس)

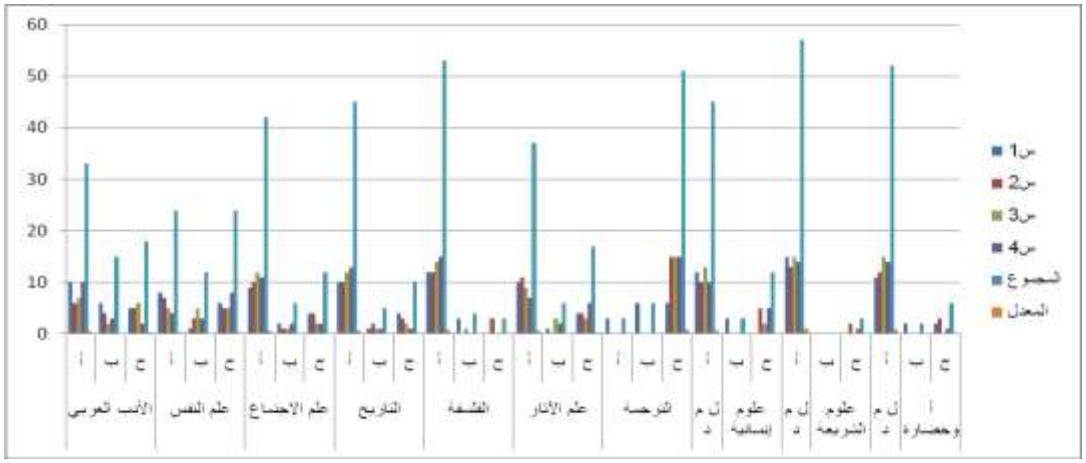

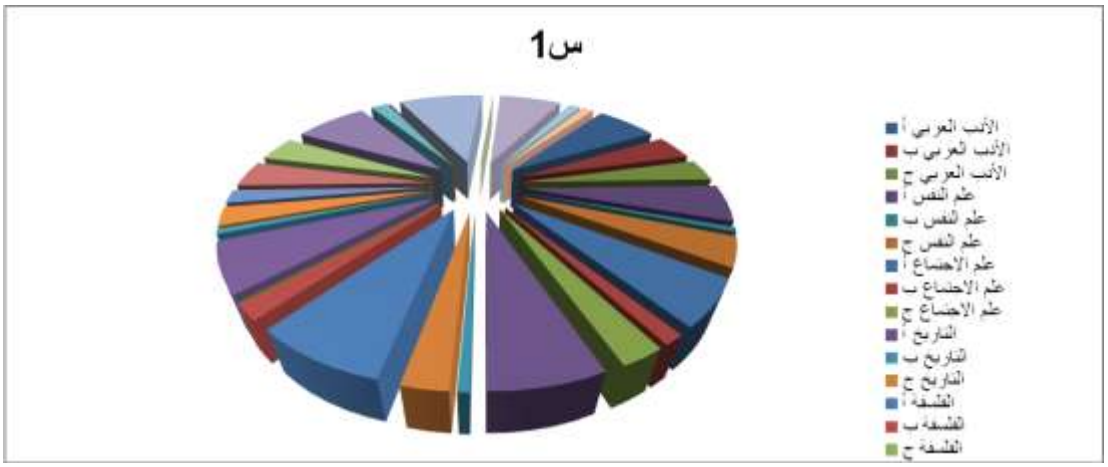

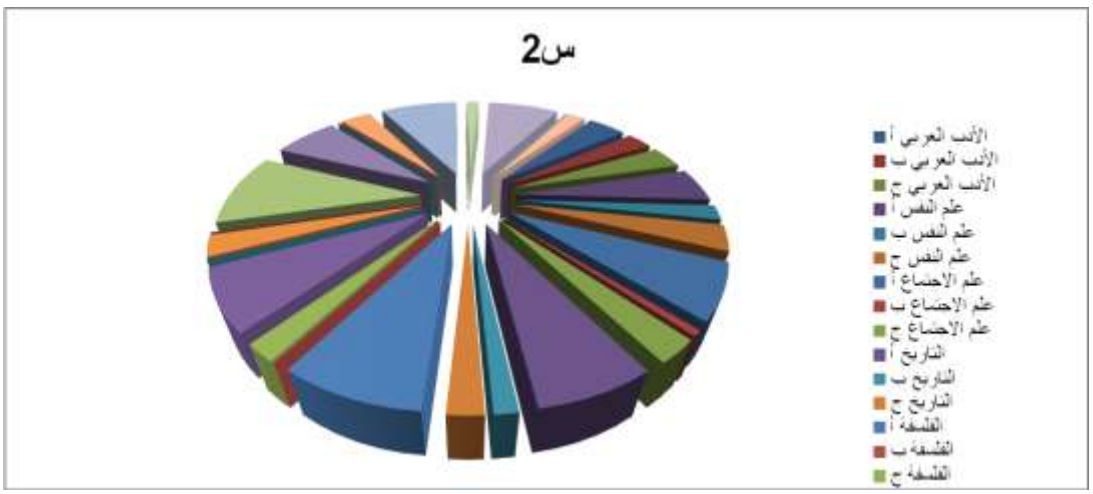

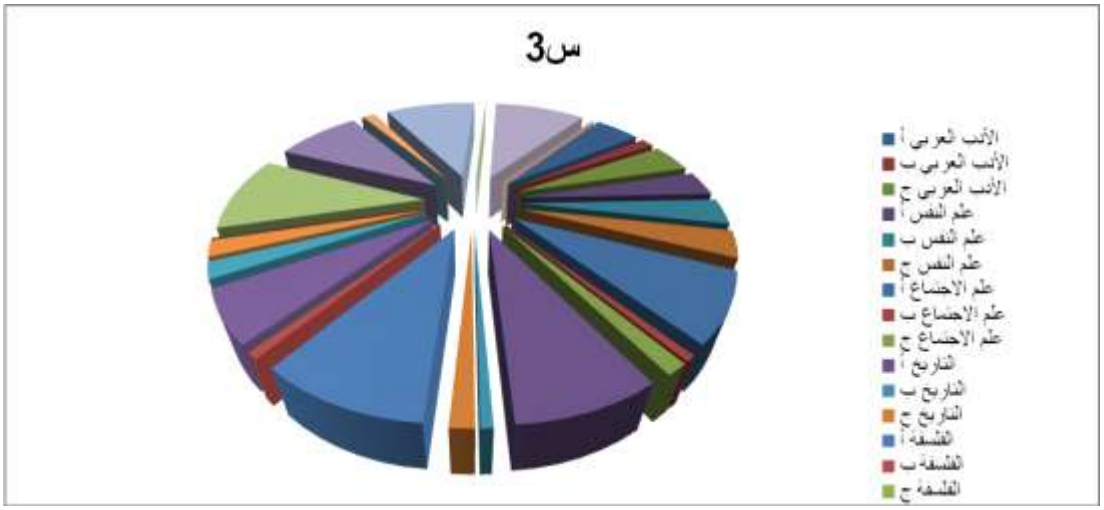

السؤال السادس: فالهدف منه هو معرفة الأولويات عند الطلبة هل هو الدرس نفسه أم طريقة الدرس.

(نتائج جدول السؤال السادس)

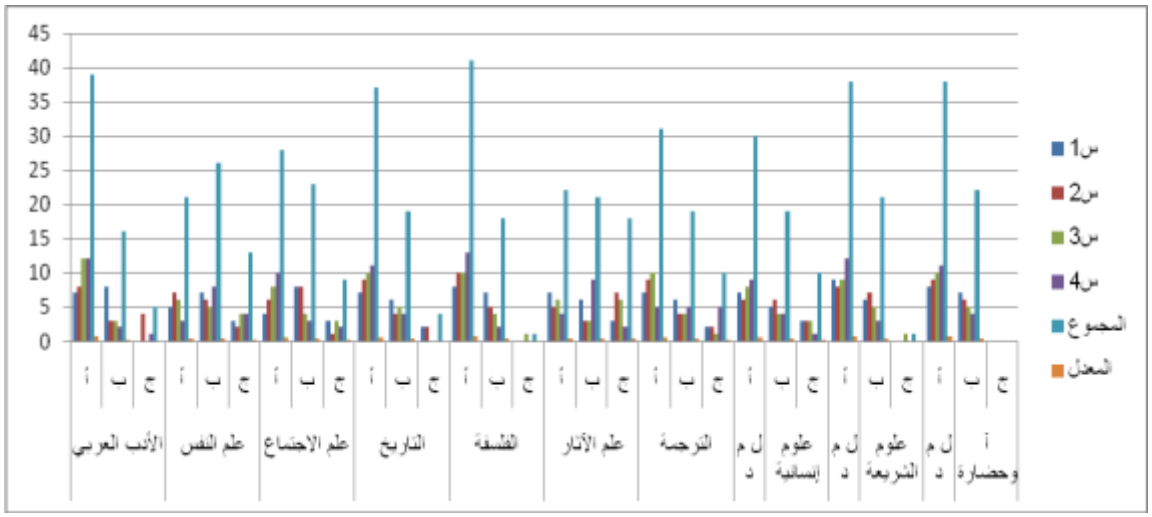

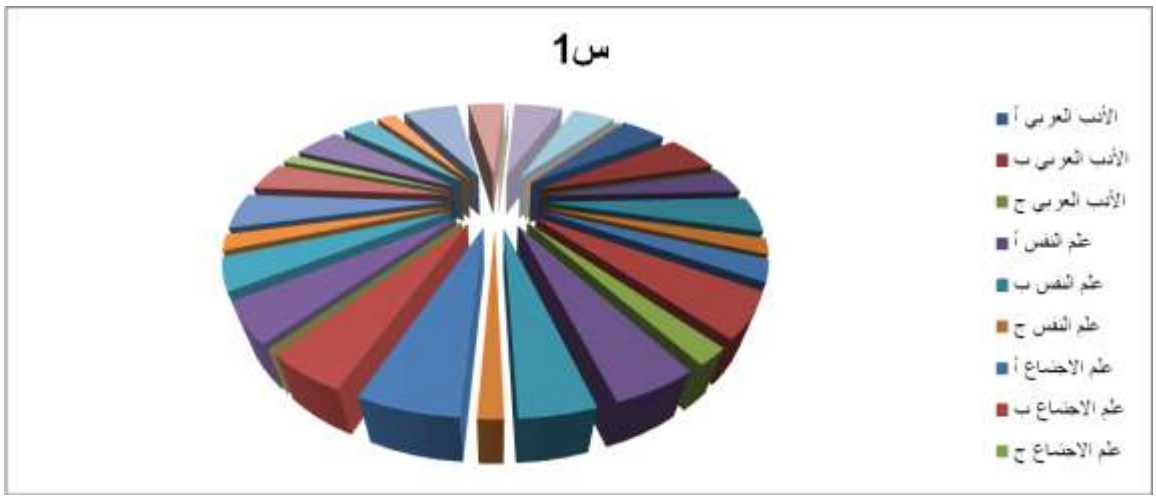
س1
الأدب العربي أ
الأدب العربي ب
الأدب العربي ج
علم النفس أ
علم النفس ب
علم النفس ج
علم الاجتماع أ
علم الاجتماع ب
علم الاجتماع ج

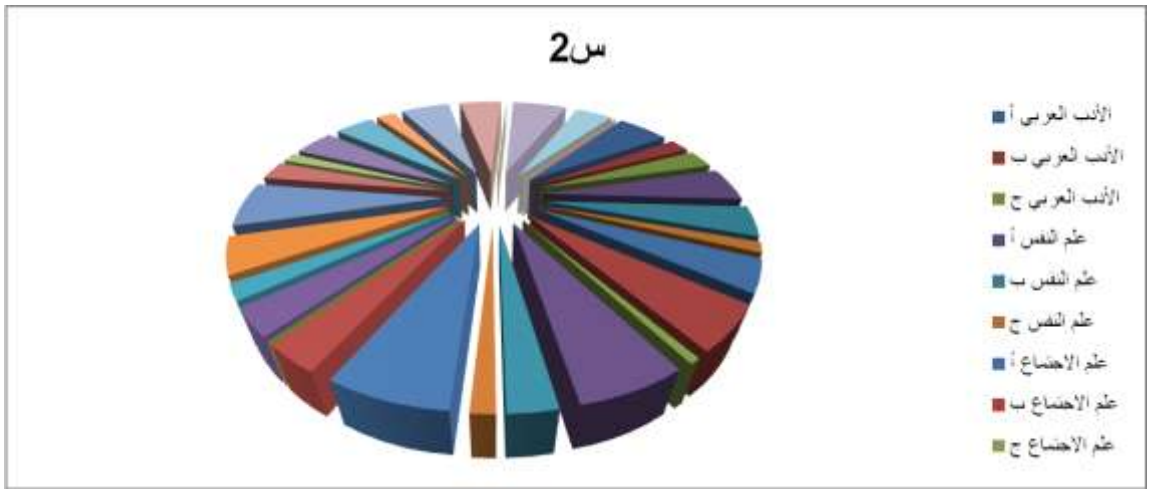
س2
الأدب العربي أ
الأدب العربي ب
الأدب العربي ج
علم النفس أ
علم النفس ب
علم النفس ج
علم الاجتماع أ
علم الاجتماع ب
علم الاجتماع ج

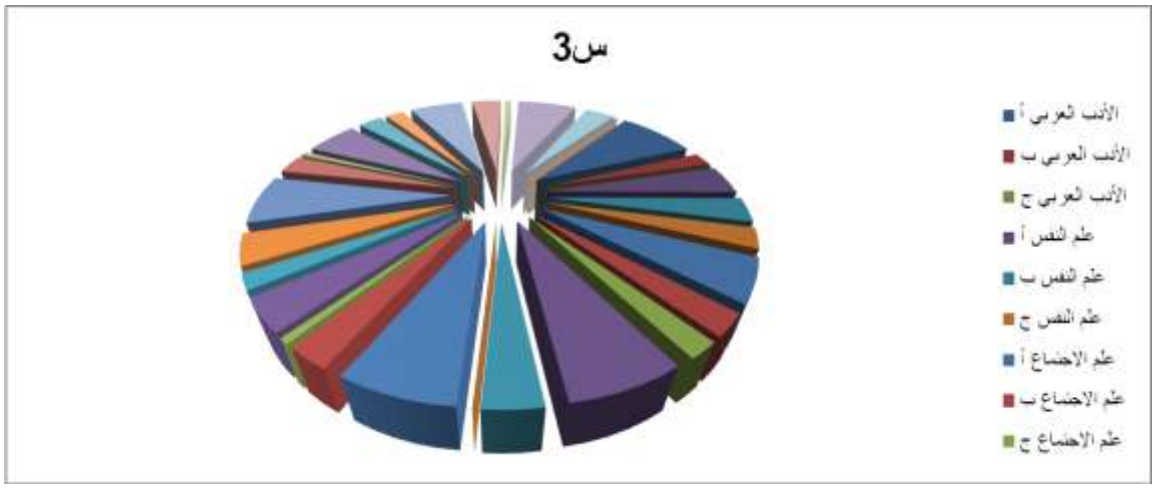
س3
الأدب العربي أ
الأدب العربي ب
الأدب العربي ج
علم النفس أ
علم النفس ب
علم النفس ج
علم الاجتماع أ
علم الاجتماع ب
علم الاجتماع ج

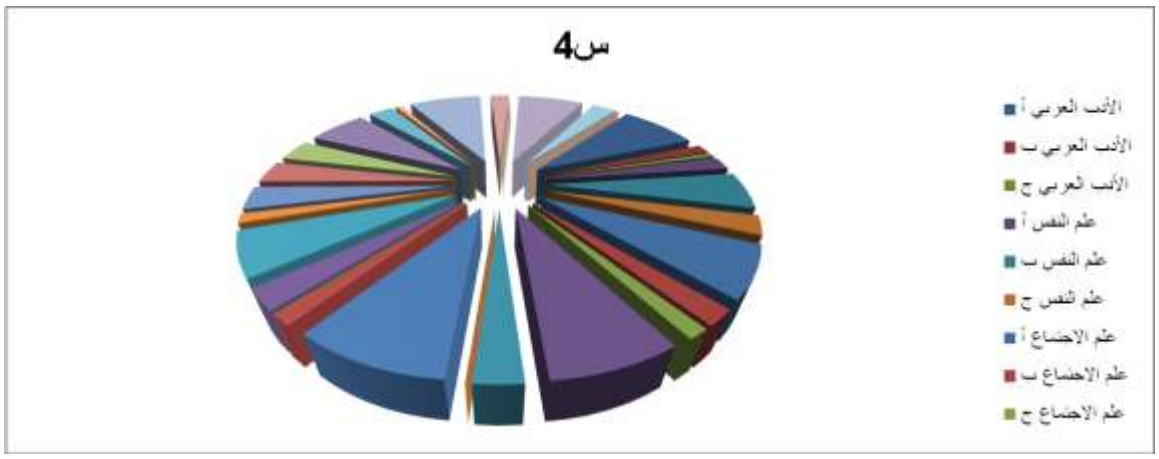

السؤال السابع: هو معرفة درجة استيعاب الدرس طلبة سواء باللغة العربية أم بخليط من التنوعين اللغويين.

(نتائج جدول السؤال السابع)

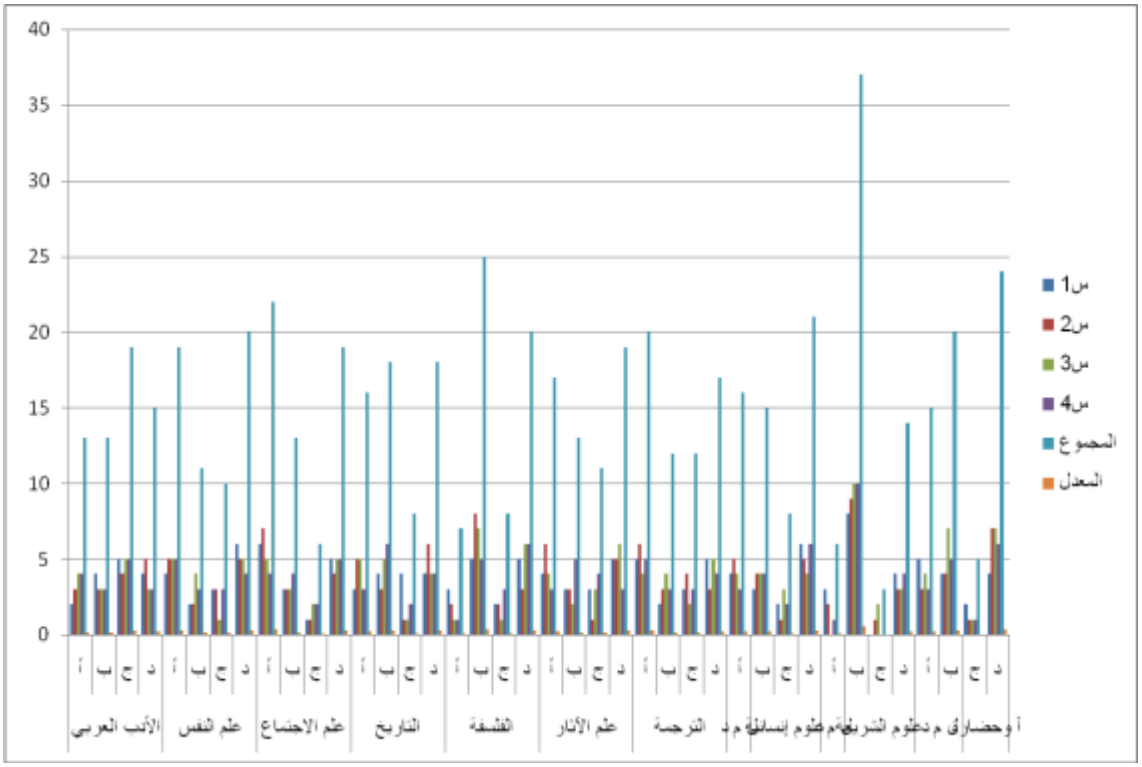

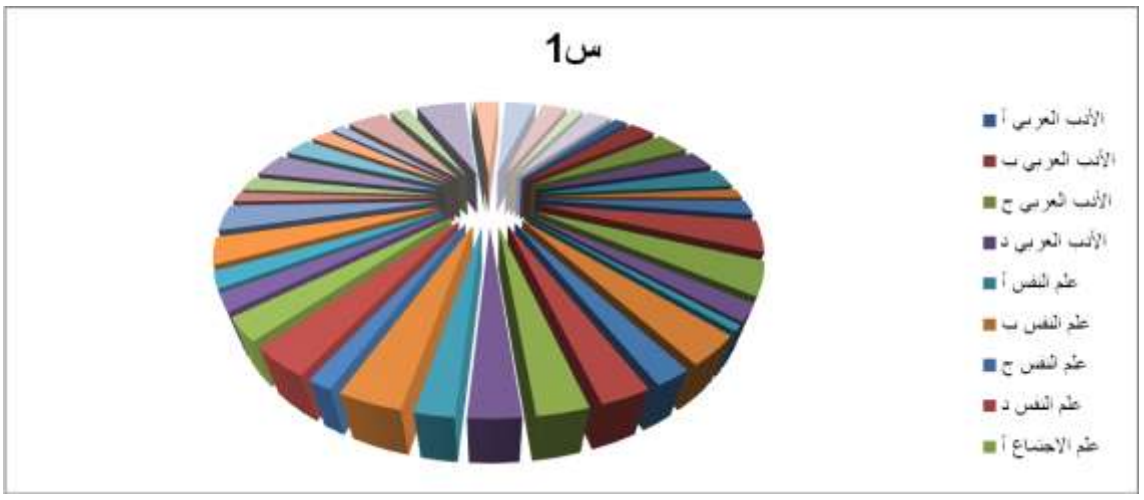
س1
الأدب العربي أ
الأدب العربي ب
الأدب العربي ج
الأدب العربي د
علم النفس أ
علم النفس ب
علم النفس ج
علم النفس د
علم الاجتماع أ

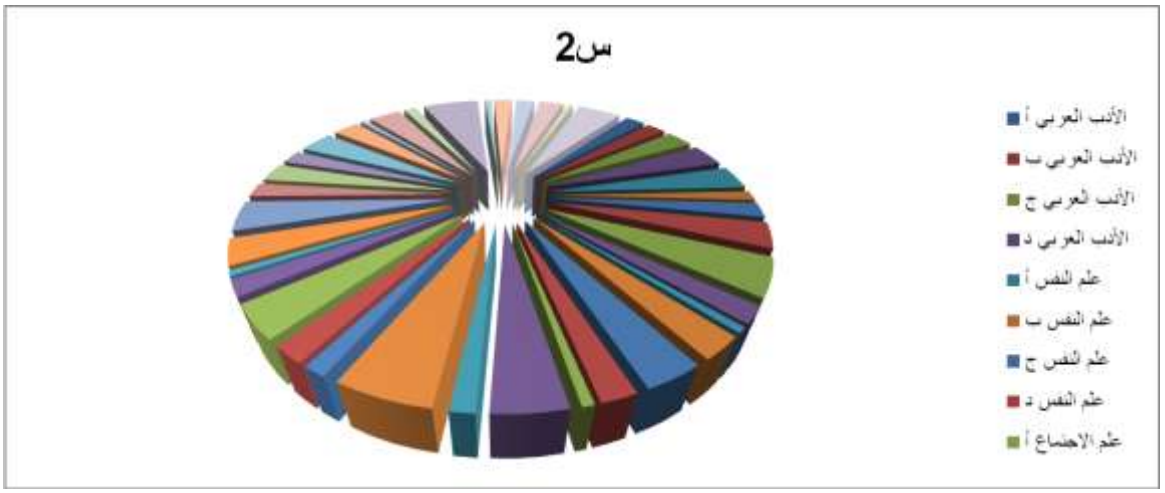
س2
الأدب العربي أ
الأدب العربي ب
الأدب العربي ج
الأدب العربي د
علم النفس أ
علم النفس ب
علم النفس ج
علم النفس د
علم الاجتماع أ

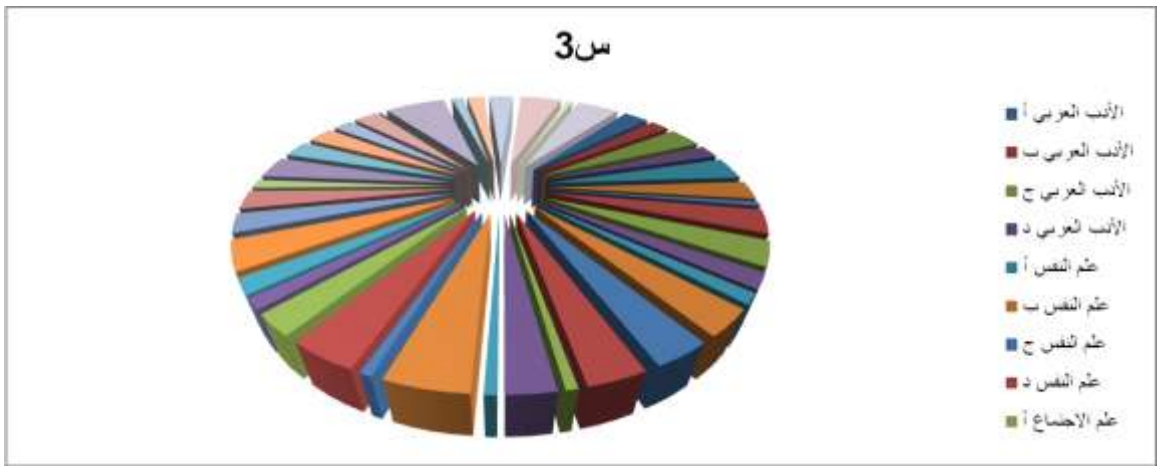
س3
الأدب العربي أ
الأدب العربي ب
الأدب العربي ج
الأدب العربي د
علم النفس أ
علم النفس ب
علم النفس ج
علم النفس د
علم الاجتماع أ

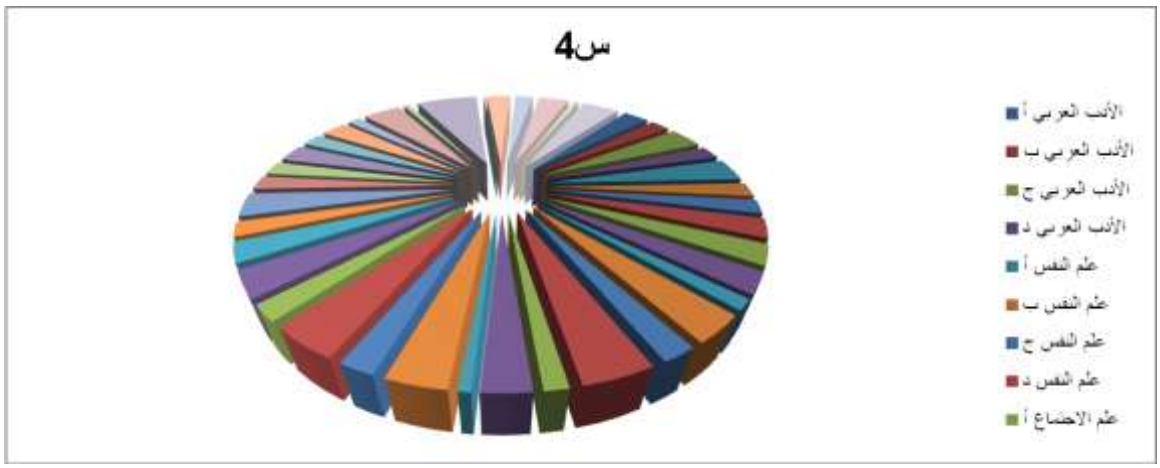

السؤال الثامن: هو تثبيت للسؤال السابع في الواقع المعاش.

إن تركيز على الدروس هو بهدف معرفة إذا كان هناك استعمال للعامية في موقف يتطلب اللغة العربية الفصحى.

(نتائج جدول السؤال الثامن)

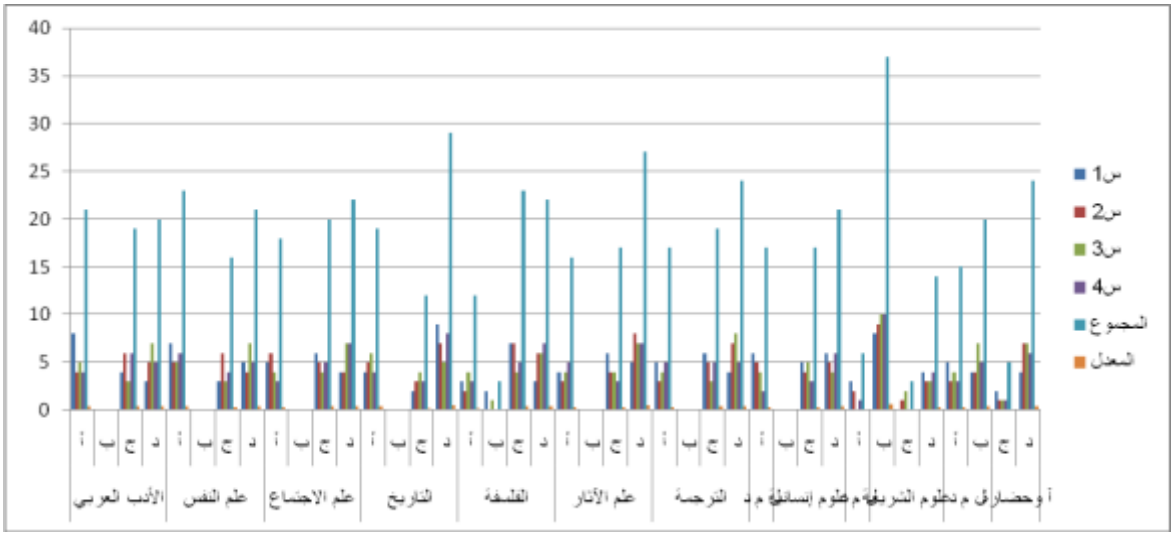

السنة الأولى
الأدب العربي أ
الأدب العربي ب
الأدب العربي ج
الأدب العربي د
علم النفس أ
علم النفس ب
علم النفس ج
علم النفس د
علم الاجتماع أ

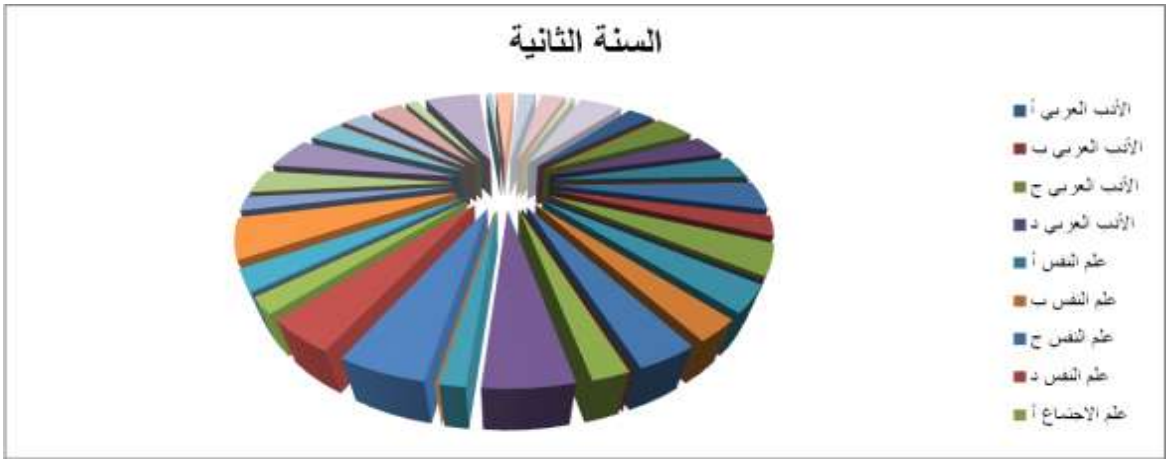
السنة الثانية
الأدب العربي أ
الأدب العربي ب
الأدب العربي ج
الأدب العربي د
علم النفس أ
علم النفس ب
علم النفس ج
علم النفس د
علم الاجتماع أ

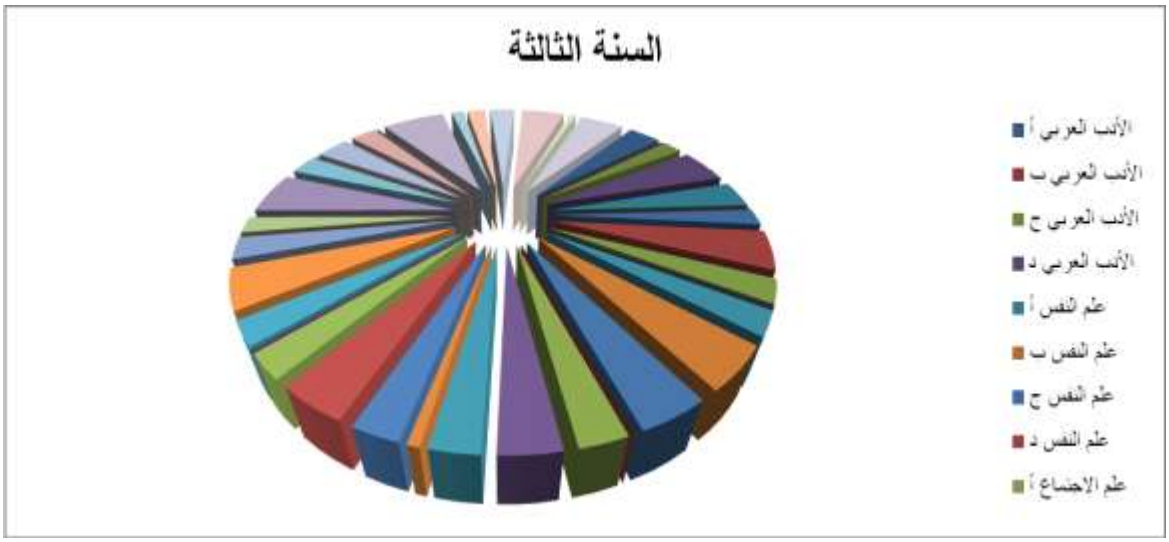
السنة الثالثة
الأدب العربي أ
الأدب العربي ب
الأدب العربي ج
الأدب العربي د
علم النفس أ
علم النفس ب
علم النفس ج
علم النفس د
علم الاجتماع أ

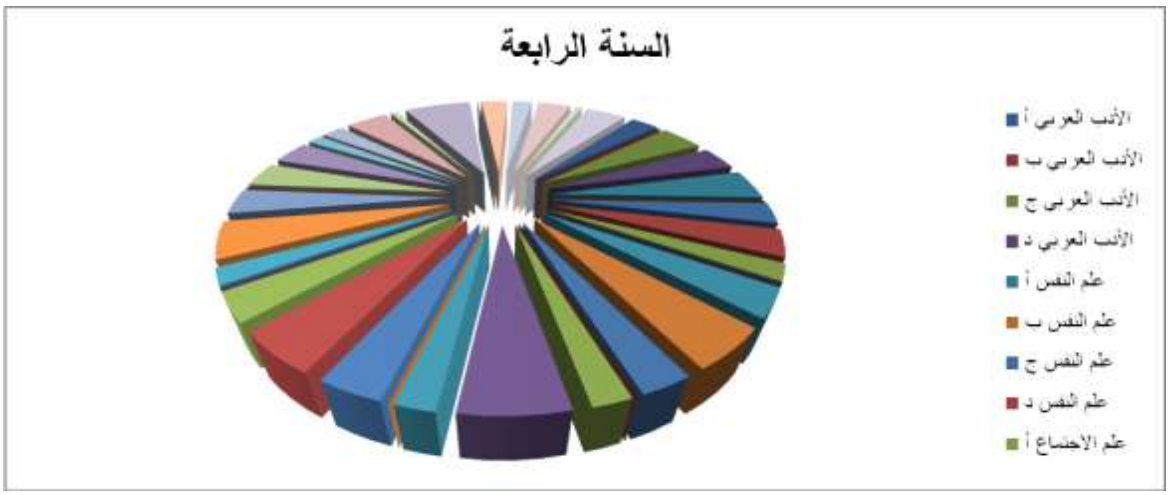

السؤال التاسع: إن الهدف من هذا السؤال هو معرفة مدى تأثير المحيط على المتكلم.

(نتائج جدول السؤال التاسع)

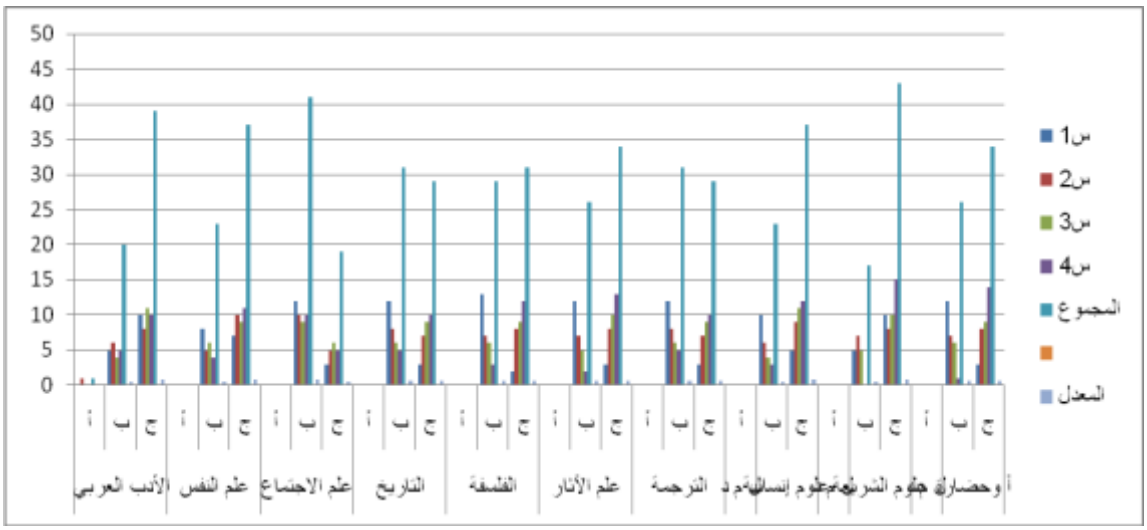

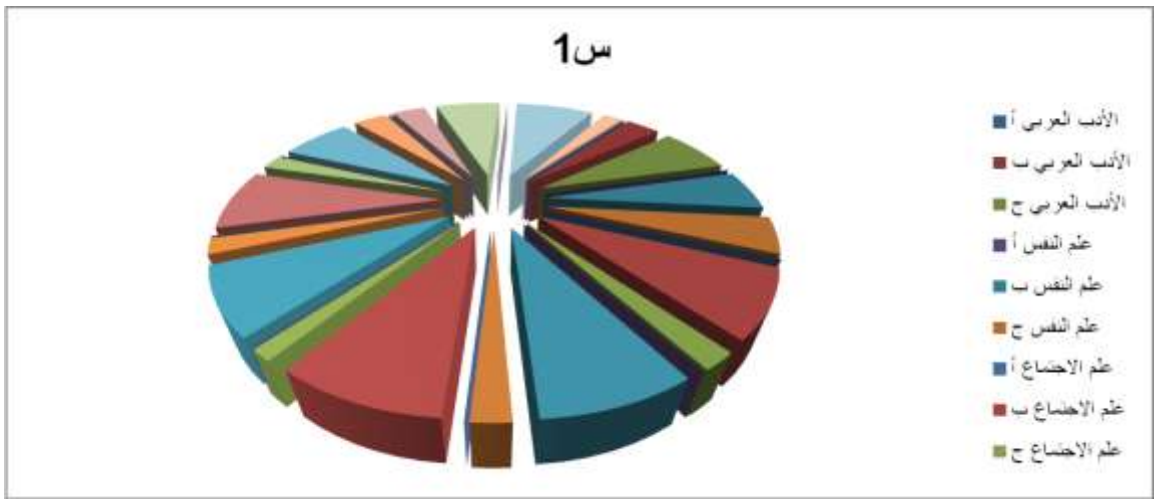
س1
الأدب العربي أ
الأدب العربي ب
الأدب العربي ج
علم النفس أ
علم النفس ب
علم النفس ج
علم الاجتماع أ
علم الاجتماع ب
علم الاجتماع ج

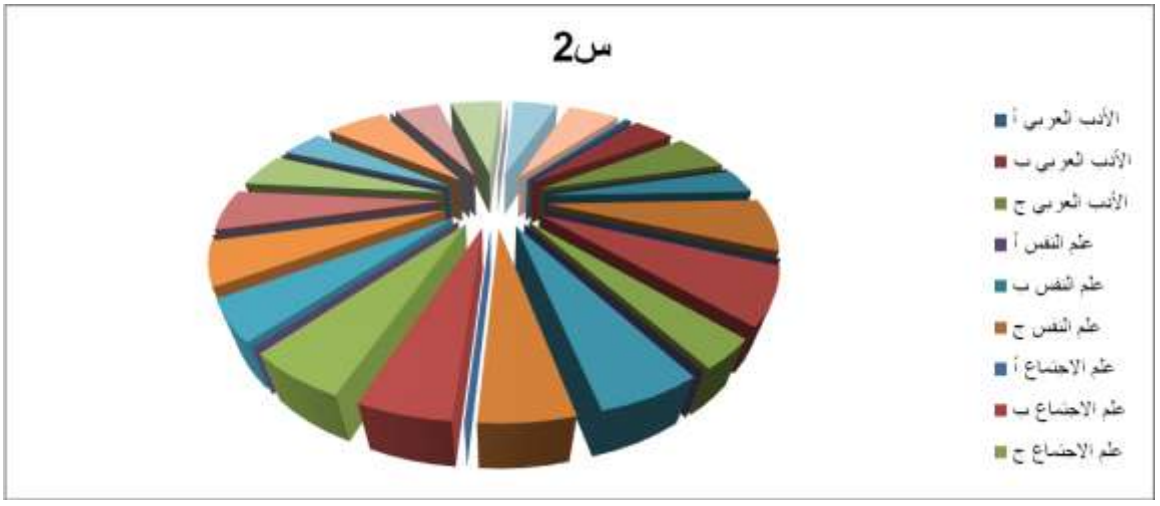
س2
الأدب العربي أ
الأدب العربي ب
الأدب العربي ج
علم النفس أ
علم النفس ب
علم النفس ج
علم الاجتماع أ
علم الاجتماع ب
علم الاجتماع ج

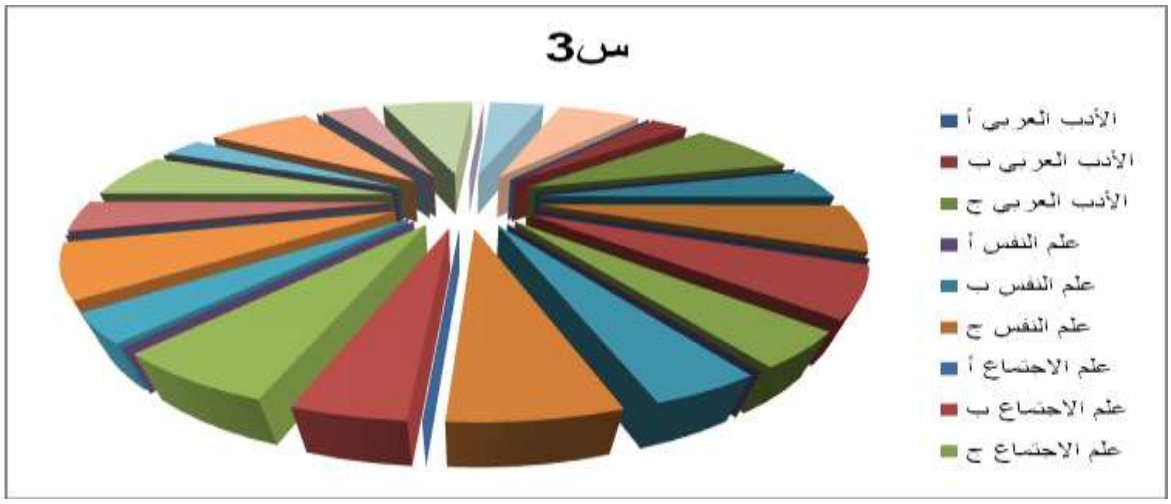
س3
الأدب العربي أ
الأدب العربي ب
الأدب العربي ج
علم النفس أ
علم النفس ب
علم النفس ج
علم الاجتماع أ
علم الاجتماع ب
علم الاجتماع ج

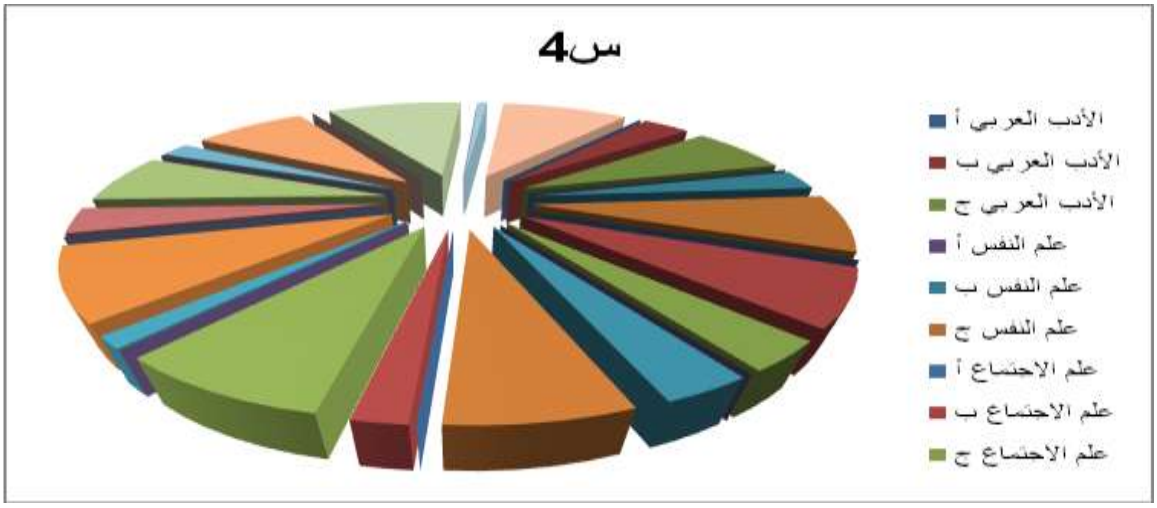

السؤال العاشر: هو تكملة للسؤال التاسع ويأتي كتأكيد أو نفي العوامل المؤثرة على الطالب في اختياره لتنوع لغوي معين.

(نتائج جدول السؤال العاشر)

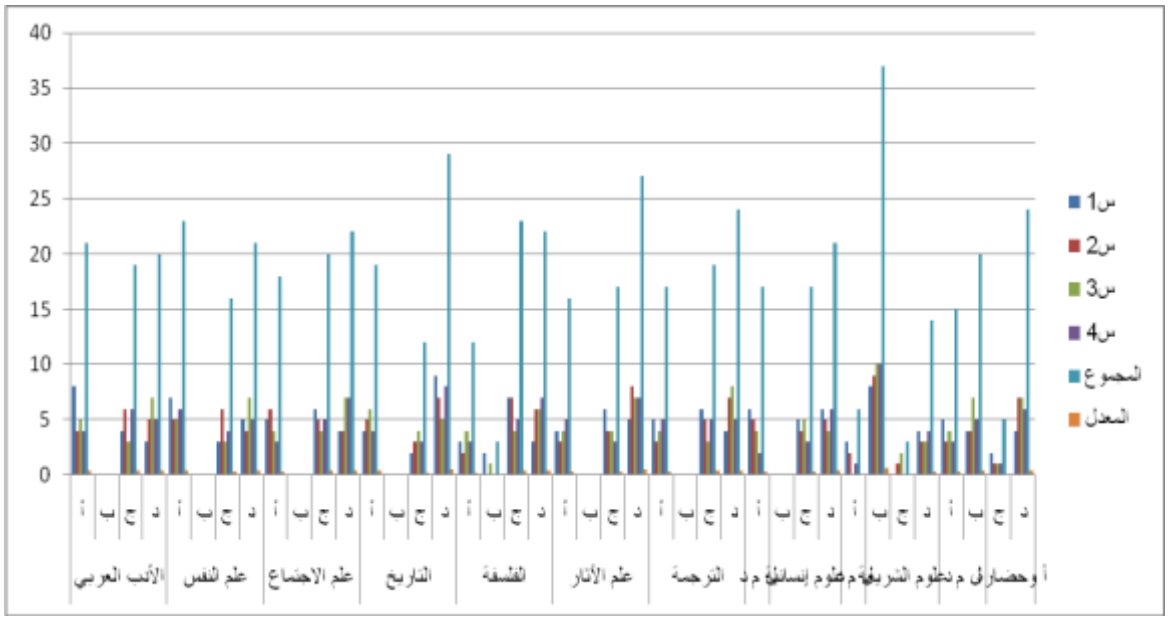

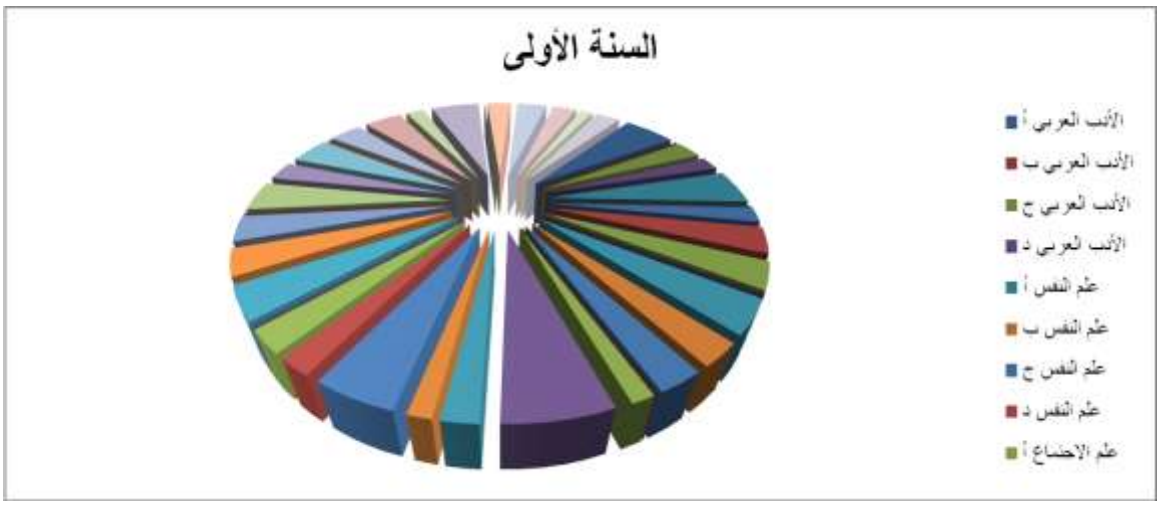
السنة الأولى
الأدب العربي أ
الأدب العربي ب
الأدب العربي ج
الأدب العربي د
علم النفس أ
علم النفس ب
علم النفس ج
علم النفس د
علم الاجتماع أ

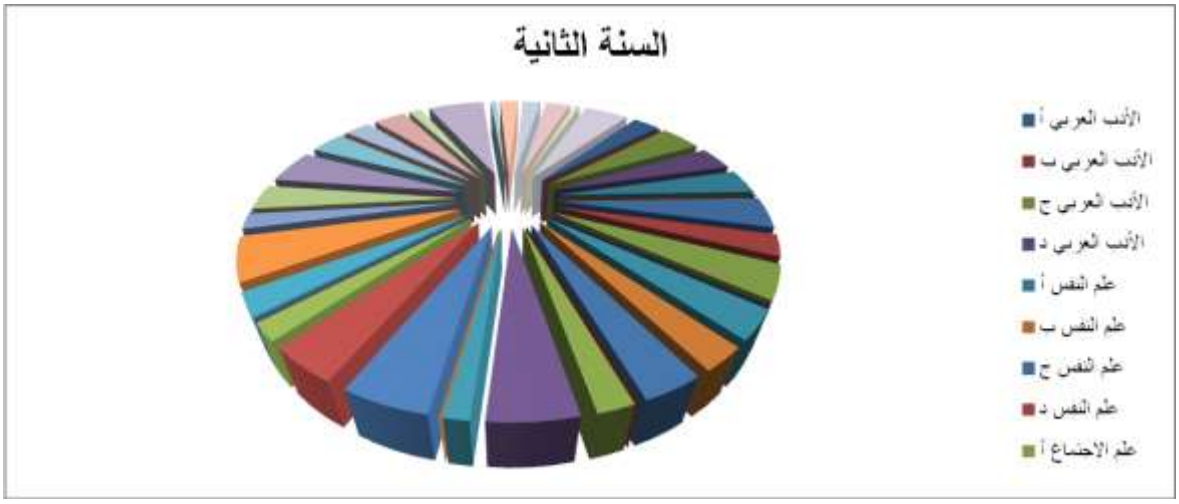
السنة الثانية
الأدب العربي أ
الأدب العربي ب
الأدب العربي ج
الأدب العربي د
علم النفس أ
علم النفس ب
علم النفس ج
علم النفس د
علم الاجتماع أ

السنة الثالثة
الأدب العربي أ
الأدب العربي ب
الأدب العربي ج
الأدب العربي د
علم النفس أ
علم النفس ب
علم النفس ج
علم النفس د
علم الاجتماع أ

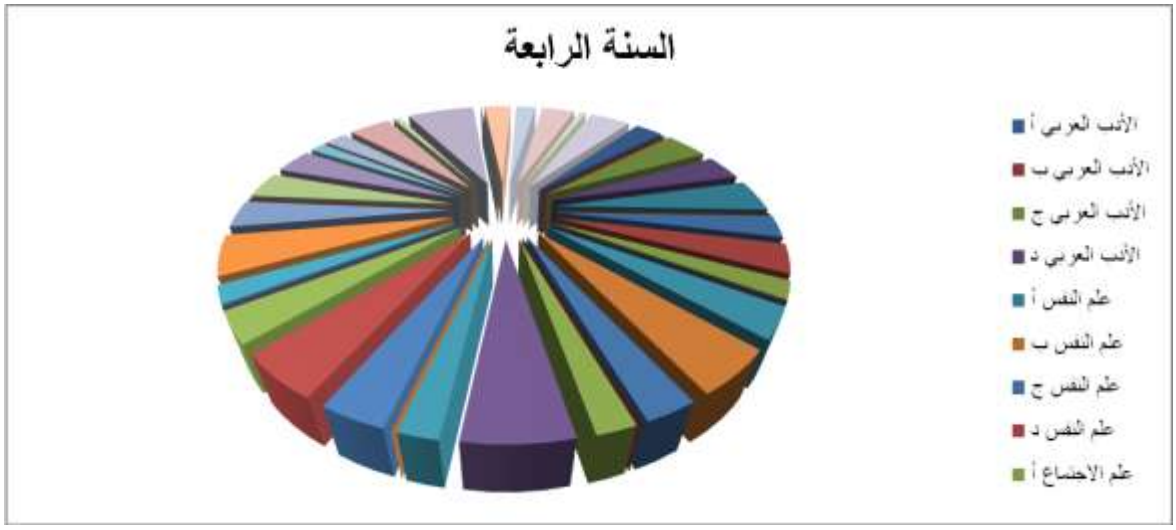

ومن خلال هذه النتائج يمكن أن نضع تحليلا كاملا ومناقشته في إطار الدراسات اللغوية الحديثة.

II-2- تحليل النتائج ومناقشتها:

من خلال النتائج المحصل عيلها في مختلف مراحل البحث يمكننا حوصلت البحث الميداني في مايلي:

1- قناعة كل المستوجبين بمكانة اللغة العربية كلغة الرسمية في الجزائر إلى جانب كونها لغة الدين الإسلامي والشخصية العربية الإسلامية الجزائرية.

2- أن اللهجة أو اللهجات هي من بين التنوعات اللغوية المستعملة بشكل عادي في الأقسام التي أجري فيها البحث.

3- وجود استعمال اللهجة حتى أثناء الدروس، وما يجدر به الذكر هنا هو تقبل الطلبة للهجة في تلقين الدروس كونها وسيلة أسرع في فهم الدرس، هذا لا يعني أنه لا يمكن للأستاذ أو الطالب أن يلقن أو يتلقى الدرس إلاّ

بالاستعمال اللهجة إلاّ أنه قد يستعمل اللهجة في مواقع معينة وبصفة غير منتظمة أثناء الدروس.

4- اقتناع الطلبة باستعمال اللهجة بصفة غير منتظمة في تواصلهم في كل الحالات لكن هذا لا يمنح من تيقنهم بمنزلة اللغة العربية.

ومن هنا يمكننا استنتاج مايلي:

إن ظاهرة الإزدواجية في الجامعة لا تخضع إلى قوانين أو نظم معينة بل إنها غير مستقرة وترتبط ارتباطا كبيرا بسلوك مستعمليها فعكس ما جاء به فرغوسون في وصفه للإزدواجية في أول مقالة حيث قال: للإزدواجية هي حالة مستقرة نسبيا في وضعية لغوية التي بالإضافة إلى اللهجات الأولية (التي قد تشمل المعايير للقياسية أو الإقليمية)، هناك تنوع مختلف مقنن للغاية (نحويا في كثير من الأحيان وأكثر تعقيدا) يطبق عليهم.

ومن هنا فإن ظاهرة الازدواجية في الغرب تختلف تماما عن ما يحدث في مجتمعنا، فهي وضعية مرتبطة باختيار الفرد لها فقد نجد استعمال اللهجة بدلا من اللغة في مواقع أين يستلزم العكس وهذا قد يكون سببه الأول محاولة إيصال رسالة معينة بسرعة ولا يعني ضعف مستعمليها للغة العربية الفصحى ولربما كون العربية تتسنى بمكانة راقية جدا في الوسط الاجتماعي إلى درجة أنني يجتنبها البعض مخافة الوقوع في الأخطاء النحوية والصرفية وهذه حالة فلتلاحظ بصفة عادية في مجتمعنا فقد نسمح لأي فرد التكلم باللغة الفرنسية أو أية لغة أخرى دون تصحيح أخطائه بينما لا نسمح لمستعمل اللغة العربية أن يخطئ.

وإلى جانب كون ظاهرة الازدواجية هي من بين الظواهر اللغوية التي يعتبرها الباحثون العرب إحدى الظّواهر المهدّدة للّغة العربية وسببها الأول في اندثارها وتعويضها بلغة أو لهجة معينة، فإذا كان هذا الرأي صحيح قد نتساءل كيف نفسر عدد الطلبة الموجود في قسم اللغة العربية والأقسام المستعملة للفصحى في تدريس (انظر ملحق رقم: 02) وهو في تزايد دائم أكثر منه في أقسام اللغات الأجنبية؛ علما أن اختيار الشعبة حرٌّ وليس مبرمج من طرف رئاسة الجامعة.

أن ما يمكن استخلاصه هو أن ظاهرة الازدواجية مرتبطة أكثر بسلوك الانتقال من تنوع لغوي إلى آخر بدافع الدرائعي .

راجح لعوامل فيزيولوجية اجتماعية ثقافية معينة تتماشى والحالة التي يكون فيها مستعملها.

ويتضح هذا أكثر في الفصل للموالي الّذي سنحاول فيه تفسير ظاهره التلاهج.

الفصل الثالث

ظاهرة التلاهج في كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

I- ظاهرة التلاهج:

كان من الصعب تحديد هذه الظاهرة في نطاق علمي واحد ولهذا كان من الواجب وضع إطار علمي لمصطلح التلاهج.

I-1- تحديد مصطلح التلاهج:

نظرا لعدم وجود هذا المصدر في القواميس فقد آثرت أن أقترح على وزن تفاعل.

تلاَهُجْ ⇐ تَفَاعُلْ أو تَلاَهَجَ ⇐ تَفَاعَلَ

ومن هنا نستطيع أن نجد بعض الكلمات التي تحدو حدوَ هذا المصدر في القواميس العربية فقد جاء في الأمثلة التالية: "ليس في كلامهم مصدر تفاعل إلا على التفاعُلُ بضم العين إلاّ حرفٌ واحد جاء مفتوحًا ومكسورًا ومضمومًا: تَفَاوَت الأمر تفاوُتًا وتَفَاوِتًا وهو غريب مليح حكاه أبو زيد"[1].

وجاء في المقتضب للمبرد: "وتقع زائدة في تفعّل وتفاعل فنحو تشَجَّع وتقرأ، وأما تفاعَل، فنحو: تغافل وتعاقل"[2].

كما جاء في كتاب العين للفراهدي حيث يقول "والأطعانُ": التطاعن من مطاعنة الفرسان في الحرب تطاعنوا وطعنوا، وكل شيء من نحو ذلك مما يشترك الفاعلان فيه التفاعل والانفعال، نحو تخاصموا واختصموا"، كما قال: التلاعن كتشاتم في اللفظ وكلّ فعل على تفاعل فإن الفعل يكون منها، غير أن التلاعب ربما استعمل في فعل أحد ما، والتّلاعن يقع فعل كل واحد منهما

---

1)- جلال الدّين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص302.

2)- المبرد: المقتضب، مكتبة المشكاة الإسلامية الالكترونية في باب (ف ع ل).

بنفسه ويجوز أن يقع كل واحدٍ بصاحبه فهو على معنيين ويقول الجرجاني في باب التواجد حيث يشرح أكثر هذا المصدر في باب التواجد:

"التواجد استدعاء الوجد تكلفًا بضرب اختيار، وليس لصاحبه كمال الوجد، لأن باب التفاعل أكثره لإظهار صفةٍ ليست موجودة، كتَغَافُلُ والتَجَاهُلُ".

وقد أنكره قومٌ لما فيه من التكلف والتصنع، وأجازه قوم لمن يقصد به تحصيل الوجد، والأصل فيه قوله صلى الله عليه وسلم: "إن لم تبكوا فتباكوا" أراد به التباكي لمن هو مستعد للبكاء، لا تباكي الغافل اللاهي"[1].

ومن هنا نستنتج أن وزن تفاعل هو عبارة عن خلق فعل بين جهتين أو خلط بين فعلين معا أو انتقال من فعل إلى ما يشبه هذا الفعل بكى ⇐ تباكى وفي معظم الأحيان تكلفًا مثل: تواجد ⇐ وجد، غَفَل ⇐ تَغَافَل.

فنستشف أن هناك عوامل التي جعلت فاعل الفعل يتكلف في فعله، جهَلَ ⇐ تَجَاهَل ؛ أي أنّه تعمّد الجهل أو أنه آثر أن لا يأخذ بعين الاعتبار معرفة الشيء بدلاً من العكس لظروف شتّى.

كان من العسير أن أحدد ظاهرة التلاهج ومرادفها في اللّغات الأخرى مع أن اقتناعي أنها حالة خاصة بالدول العربية، ولهذا فهي تخص تلك عملية الانتقال من لهجة إلى أخرى في طريقة التكلم.

نظرا لعوامل مؤثرة على المتكلم، فهذا السلوك اللغوي أصبح متداول في مجتمعاتنا العربية كونها غنية بتنوعات لغوية مختلفة، كما أنها لها مميّزات تختلف

1)– للشريف الجرجاني: التعريفات، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2006، ص51.

كثيرا عن المجتمعات الأخرى وهذا منذ القدم، فقد ذكرت هذه الحالة أو هذا النّوع من السلوك في كتاب الخصائص لابن جني حين قال: "أعلم أن العرب تختلف أحوالهم في تلقي الواحد لغة غيره فمنهم يحف ويسرع فيقول ما يسمع، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة، ومنهم من إذا طال تكرار لغة غيره أهدقت به ووجدت في كلامه"[1]؛ ومن هنا يُمكننا تحليل وتحديد ما قاله ابن جني منذ قرون لما يحدث الآن في علم اللّهجات: "فيقول أعلم أن العرب تختلف أحوالهم في تلقي الواحد لغة غيره..."، يمكننا تفسيره هذا بما أطلق عليه اللسانيات الاجتماعية أو علم اللهجات بمصطلحين الاحتكاك اللغوي Language Contact أو التواصل اللهجي Dialecte Contact.

فأما الأول فيقول ترودجفيل أنه مصطلح بصف حالة التي يوجد فيها اثنين أو مجموعة من المتكلمين ليست لهم نفس اللغة (لغة أم) في وضعية تجبرهم على الاتصال بينهم، فالتواصل بينهم يكون صعبًا في بادئ الأمر لكنه ومع مرور الوقت يخلق نوع من التأثير والتأثر والنتيجة هي الثنائية اللغوية Bilingualism أو يؤدي إلى ظواهر أخرى مثل: Borrowing الانتقال اللغوي Code Switching، التحول اللغوي Language Shift اللغة المشتركة Langue France تعدد اللغات Multilinqalism أو تبسيط لغوي Pidjinization.

1)– ابن جني: الخصائص، ج1، ص265.

أما المصطلح الثاني وهو الاحتكاك اللهجي فيقول تروجفيل [1] أيضا: هو الاحتكاك بين تنوعات لغوية جاءت نتيجة التواصل بين متكلمين للهجات مختلفة لكنها ذات تفاهم متبادل (Mutually Intelligible) كما يتطلب هذا الاحتكاك التوافق (Accommodation) بين التنوعات اللغوية، هذا الاحتكاك هو شائع جدا لكن في نظر اللّسانيون تبقى أهميته عندما يتعدّى النّطاق الضيق لمنطقة معينة ليتطوّر غير ما يسمى بالحدود اللّهجية والأسوقلوس (Isogloss)، أو ما يحدث نتيجة تحول مناطق من ريفية إلى مدنية أو نتيجة لاستعمار ما في هذه الحالات تتطور هذه الظاهرة إلى ما يعرف بالخليط اللّهجي (Dialecte Mixture) أو رفط في التأقلم (Hyperadptation).

وواصل ابن جنّي فيقول: "...فمنهم من يصف ويسرع فيقول ما يسمع..."، وهذا ما رأيناه من نتائج الاحتكاك اللّغوي والاحتكاك اللّهجي، أمّا القسم الثالث من شرحه، فيقول: "...ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة..."، وهي ما يعرف في العصر الحديث بالقومية (Rationalisme) في اللّسانيان الاجتماعية وهي تحدث في معظم الأحيان نتيجة مقاومة لأفراد مجتمع متعدد اللّغات للغة معيّنة وقد يؤدّي هذا إلى اعتماد لغة معيّنة في التخطيط اللغوي، كما أنه قد تسمح لنفس أفراد المجتمع باختيارهم للغة معينة كرمز لهويتهم أو رمز لتقدّمهم...، فالكتلانية في إسبانية ومع أنّها لغة جهوية إلاّ أن الكتلانيين يصرّون على استعمالها في تواصلهم مع الجهات الأخرى من البلد

1)– Peter Trudgill : Introducing Language and Society Penguin books, London, 1992, P :38.

لأنها رمز لهويتهم، لكن في الهند اختار أفراد المجتمع اللغة الإنجليزية التي كانت لغة المستعمر فأصبحت القاسم المشترك بين كل اللغات الموجودة في الهند وهي كثيرة إلى جانب ترمز لتقدمهم مكانتهم في الاقتصاد العالمي.

أمّا في الأخير فيقول ابن جنّي: "...ومنهم، من إذا طال تكرار لغة غيره أُلصِقَتْ به ووجدت في كلامه"، وهذا ما رأيناه أيضا عند اللسانيين حين يتكلّمون عن الثنائية اللغة والازدواجية، إلى جانب الانتقال اللغوي...

وبهذا قد لخص ابن جني في بضع أسطر ما شرحه علماء علم الحديث في مجلدات، وأكثر من هذا فإن أمعنا القراءة في هذا الق(ول لوجدنا أنّه يتكلّم عن سلوك لغوي شخصي لكل فردٍ حين قوله: "منهم... ومنهم..." دليل على عدم وجود تجانس بين كل أفراد المجتمع وأنه هناك اختيار ورد فعل فردي ربما يختلف عن الآخرين، فنعامل كل واحدٍ مع لغة أو لغات مختلفة هو سلوك ناتج عن عوامل معينة ودوافع دقيقة تجعل كل متكلّم يتفاعل مع الوضعية والحالة اللغوية التي هو فيها.

وإذا ذهبنا بعيدا في تحليلنا وتصوّرنا أن هناك إلاّ شخص واحد، فهل نستطيع أن نعطي له كل هذه السلوكات في آن واحد؟

لعلّ أول مثال هو أكثر نموذجي في هذه الحالة هو البربري أو الأمازيغي في الجزائر، فهو يتكلّم بلهجته الأم (قبائلية أو الشاوية، أو الترقية أو مزابية...) مع عائلته، ويتكلّم اللغة العربية في القسم أو المسجد ويستعمل اللغة الفرنسية في انتقال لغوي، ثم يستطيع أن يتكلّم بالعامية إذا كان مع جماعية لا يفهمون الأمازيغية، ولربما يستطيع أن يستعمل كل هذه التنوعات اللغوية في حالات

ومواضع متتالية، فرد فعله يكاد يكون لا إراديًا في بعض الحالات لكننا نستشف أنّه يستعمل كل تنوع لغوي في مكانه حينما تريد إظهار هويته وجذوره في بعض المواقف التي تحتم عليه ذلك.

أو ببساطة حينما يلتقي بأشخاص من نفس الأصل فيستعملون نفس التنوع اللغوي دون الأخذ بعين الاعتبار باقي السامعين (عد إلى أبحاث سالم شاكر مثلا) وهذا معروف في المجتمع الجزائري وليست حالة شاذّة.

2- ظاهرة التلاهج في كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية:

لقد تمّ اختيار منطقة تلمسان كنموذج للدراسة الميدانية وخاصة جامعة تلمسان (أبو بكر بلقايد)، لما فيها من ثروة لغوية تلعب دور مختبر للتجارب والتحاليل في ميدان التنوعات اللغوية في وسطها الطبيعي، كما أنّ الجامعة هي مقر الاحتكاك الأشخاص وآخرين اجتماعيا ثقافيا وأيضا لغويا، ولهذا فإن آلية التحول من تنوع لغوي إلى آخر هو سائد وهذا ما سنراه في مراحل الدراسة الميدانية.

وهي نفس الطريقة التي قمنا بها في إطار دراسة الازدواجية في نفس الكلية وفي نفس الأقسام، لكن الفرق الأول هو محاولة مراقبة جماعات من مختلف المناطق تلمسان المدينة وضواحيها أولاً ثمّ بعض الطلبة من ولايات متعدّدة وخاصة المجاورة لها، فكان الأمر صعبا إلى حدّ ما حيث أن صعوبة هذه التجربة تكمن في وضع أسس ومنهجية علمية حتى يتسنى لنا بالخروج بنتائج موضوعية دقيقة، ومن هنا واعتمادًا على منهجية لايوف والآخرين في الدراسة الميدانية

آثرنا أن تكون بعض النتائج التي خرج بها د. زبير دندان في بحثه هي المنطلق في تصنيفنا للتنوعات اللغوية المختلفة حيث صنف في دراسته سلوك اللغوي للمتكلمين من مدينة تلمسان ومدى استعمالهم للفونيم/ا/ /؟/ بدلا من /ق/ /q/ أو/ق/../g/ في حالات معينة والعكس في حالات أخرى[1].

3- فترة الملاحظ المشارك:

أ- فترة الملاحظ: نظرا لعدّة أسباب اجتماعية نفسية جغرافية تحتم على المتكلم بالاستفسار عن رمز لهجة منطقته في سبيل التواصل مع أفراد من مناطق أخرى نظرا لعدم ثقة في هذا الرمز الذي يعتبره (بالنسبة لغير التلمسانيين) الآخرون أنه تنوع لغوي خاص أكثر بالنسبة للنساء فقط، ومن هنا أثرنا أن نقسم ملاحظتنا إلى قسمين:

1- ملاحظات حول كل من يتكلم بتنوع اللغوي التلمساني أي مستعملي/أ/ /؟/ في كلامهم.

2- ملاحظات حول كل من يتكلم بتنوع لغوي غير تلمساني أي مستعملي/ق/ /q/ أو/ڤ/ /g/.

هذا التقسيم كان بكل موضوعية دون تمييز أوتفريق غير علمي فكانت النتائج الأولية كالتالي:

1)- ZOUBIR DENDANE : Sociolinguistics and attitudes towards Language behavior in an Algerian context, Case of Tlemcen Arabic, P: 237.

أ- مجموعة المتكلمة بالتلمسانية ذكور يتكلّمون برنتهم بعض وقليلا ما يتكلمون بها مع الغير 90% من المجموعة تحول طريقة كلامها إلى استعمال /ق/ /g/ لكن لا تحول Rester للهجتها مثلا:

- ✓يَعْمَلْ (تلمسان) ⇐ (يْدِيرْ) غير تلمسان.
- ✓نْتِينَا أو نْتِينْ (تلمسان) ⇐ (تِيِيَا أو نْتِيَا) غير تلمسان.
- ✓آسَمْ أو وَاسَمْ (تلمسان) ⇐ (وَاشْ أو وَاشْتَ) غير تلمسان.
- ✓نْقَدْ أو نْأَدْ (تلمسان) ⇐ (تَقْدَرْ) غير تلمسان.
- ✓آجِي (تلمسان) ⇐ (أَرْوَاحْ) غير تلمسان.
- ✓زُولْ (تلمسان) ⇐ (وَخَّرْ) غير تلمسان.
- ✓نَحِّي(تلمسان) ⇐ (قــْلَعْ) غير تلمسان.
- ✓سَنَّى تَنَّانِي أو تَنَّى (تلمسان) ⇐ (أَرْجَى أو قَارَع) غير تلمسان.
- ✓خُو (تلمسان) ⇐ (هَاكْ) غير تلمسان.

أما بالنسبة للإناث فمعظمهنّ لا يغير طريقة الكلام في معظم المواقف وهذا ما يفسّره زبير دندان[1] بأن هذا الاختلاف بين الذكور والإناث راجع إلى نقص في ثقة بالنسبة للذكور بما أنهم يشعرون أن الغنة التلمسانية تعتبر طريقة كلام أكثر أنوثة، أما بالنسبة للإناث فهنّ يعتبرن الغنة التلمسانية هي رمز الأنوثة، أما بالنسبة لغير الناطقين بالغنة التلمسانية فكانت المسألة أكثر تعقيدا إذ كان من الصعب في معظم الحالات بالتدقيق أصل كل واحد منهم نظرا

1)- ZOUBIR DENDANE : Sociolinguistics and attitudes towards Language behavior in an Algerian context,Op. cit, P: 237.

لاستعمالهم للهجات مختلفة تختلف أحيانا عن طريقة التي يتكلمون بها في منطقتهم وهذه الحالة لوحظت في المواقف التي يختلط فيها الطلبة من كل جهة فيما بينهم، كما أنه لوحظ في هذا الموقف أنه لا توجد تفرقة في الجنس بين الإناث والذكور أي أنهم يتكلمون بنفس الطريقة.

ب- مرحلة المشاركة: لقد سمحت لي هذه المرحلة بالتقرب أكثر من هؤلاء الطلبة حتى يتسنى لي التحدث إليهم والخروج بمعطيات أولية تسمح بتوضيح أكثر لهذه الظاهرة ولهذا الغرض استعملت طريقة طرح أسئلة في مواضيع شتى تهدف أساسا إلى دفع الطالب لإدلاء برأيه فيكون له الوقت الكافي بالتكلم ولي الأخذ الملاحظات وقد دارت المواضيع حول المشاكل المتعلقة بالجامعة مثلا أو مستقبل الطلبة إلى آخره وهي طبعا مواضيع من واقع الطلبة المعاش.

إن طريقة طرح الأسئلة كانت عفوية دون محاولة استعمال لغة أو لهجة معيّنة حتى لا يتأثر السامع فيجيب بنفس الطريقة.

ومن هنا جاءت أول نتائج الملاحظة كالآتي:

- من بين 100 طالب تم التحدث معهم هناك: من معظم المتكلمين لا يستعملون لهجتهم المحلية 80% منهم يتكلمون بلهجة غير لهجتهم المحلية وهم في الغالب يستعملون اللهجة الجهوية أو ألفاظ من اللهجة الجهوية (الوهرانية) مع أنهم ليس من تلك المنطقة.

مـــثـــل:

- ✓واه (بتفخيم في الواو) قـــاعْ مَعْلاَبَالِيشْ كِنْدِيرْ في لاَفُنِيرْ (L'avenir)، رَانِي نْقَارَعْ غِيرْ نَدِّي دِيبْلوم (Diplôme) وَنْشُوفْ لِي كُونْكُور (Concours) وِينْ مَا كَانُوا.
- ✓وَاهْ، نْقَارَعْ، قـــاعْ، مَعْلاَبَالِيشْ، كِي نْدِيرْ، وِينْ+ الغنة باللهجة الوهرانية.

كل هذه هي ألفاظ متداولة أكثر في المنطقة الوهرانية منها في تلمسان، فنستطيع أن نجد نفس الجملة تلفّظ بطريقة لهجات المناطق التلمسانية.

- ✓واه (بنوع من ترقيق) أو إيه (دون تقريبًا نطق/ا/ / مَانِيشْ عَارَفْ كِي نْدِيرْ (أَوْ نَعْمَلْ) فْلاَفُنِيرْ رَانِي نَسْتَنَى نَدِي دِيبْلُومْ وَنْشُوفْ لِي كُونْكُورْ وِينْ كَايَنْ.

مثل هذه الجملة قد تستعمل حتى في وهران لكن استعمال اللّكنة الوهرانية يجعل الحديث أكثر إثارة ويجلب أكثر السمع، فالمتحدّث إذن يجلب أكثر السامعين ويسيطر على المناقشة.

II- الاستبيان:

من صعوبات الاستبيان في هذا الموضوع هو معرفة إذا كانت الأجوبة حقيقية معبرة عن واقع الأفراد المراد استجوابهم فهناك احتمال كبير أن لا يعترف من ينطق باللهجة الوهرانية أنه يتكلمها بدافع أنه لا يمكن أن ينكر أصله أو لهجته الأصلية.

أو في حالة أخرى فهو لا يعترف أنه يغير طريقة كلامه بدافع أنه يتكلمّ بهذه الطريقة منذ صغره وعائلته كلها تتكلّم بنفس الطريقة. قد يكون الأمر كذلك ولهذا كان لابدّ من اختيار لمجموعة متكاملة أي ثلاثة أفراد على الأقل من جهة واحدة ولهذا السبب آثرت أخذ من كل منطقة مجموعة معينة وقد قسّمت ولاية تلمسان إلى مايلي:

المنطقة الغربية: وهي منطقة الحدود الجزائرية المغربية وتتمثل في: السواحلية بضواحي الغزوات، ندرومة وما جاورها، مغنية، منطقة بني بوسعيد التي تصل إلى بني سنوس العزايل وهي منطقة يغلب عليها الطابع البربري.

المنطقة الوسطى: منطقة مدينة تلمسان وماجاورها على طول 20 كلم وهي تظمّ منطقة الحناية، الرمشي وما جاورهما.

المنطقة الشرقية: وهي التي لها حدود مع عين تموشنت؛ أي منطقة بني صاف، ولْهَاصة، هُنين، أولاد الميمون وما جاورها...، إلى الحدود مع سيدي بلعباس.

وكانت أسئلة الاستبيان مرتّبة كالتالي:

أولا: مجموعة من الأسئلة حول الجنس، القسم، السنة الدراسية، مكان السكن؛ وهي أسئلة تمكن من تحديد هوية المستجوب حتى يكون هناك توافق بين الأجوبة وهويته.

ثانيا: مجموعة من الأسئلة تهدف إلى تحديد التنوّع اللغوي المستعمل من طرف هذه العيّنة من أفراد المجتمع، وقد جاءت حسب الترتيب الآتي:

السؤال الأول: تحديد اللهجة الأولى الأصلية التي ينطق بها وهو يهدف إلى وضع توافق بين مكان السكن وطريقة الكلام إلى جانب أنه يحدد منطلق السؤال الثاني.

السؤال الثاني: وهو يهدف إلى وضع المُسْتَجْوَبْ في وضعية الحكم على لهجته قبل الآخرين وهي في معظم الأحيان الوضعية التي تحكم عليه ما إذا يختار طريقة أخرى في التواصل أم لا.

السؤال الثالث: ويأتي تأكيد للسؤال الأوّل والثاني وهو يهدف إلى وضع مقدمة للسؤالين المواليين وهما يهدفان إلى تصنيف الطلاّب إلى قسمين.

السؤال الرابع: تصنيف من بين الطلاب الّذين يغيّرون طريقة كلامهم.

السؤال الخامس: تصنيف من بين الطلاب الّذين لا يغيّرون طريقة كلامهم.

السؤل السادس: هو تابع للسؤال الخامس لمحاولة تأكيد هل فعلاً هذه المجموعة لا تغيّر طريقة كلامها، أو هناك حالات استثنائية.

السؤال السابع: تحديد اللّهجة الثانية التي يستعملها الطلاّب بدءًا من لهجة المدينة التي يدرسون فيها، ولربّما من البديهي أن يستعملون لهجتها خاصة وأنّها مميّزة.

السؤال الثامن: هو خاص (بطريقة غير مباشرة) للّذين كانت أجوبتهم لا في السّؤال السابع وهو يهدف إلى معرفة هل هناك استعمال للهجة الوهرانية كما حدّد في مرحلة الملاحظة.

السؤال التاسع: وهو سؤال يهدف إلى تحديد ميول الطلبة في طريقة كلامهم وهو يُتْبَعْ بـــ: **السؤال العاشر** الّذي يذكر سبب الميول.

السؤال الحادي عشر: وهو سؤال يهدف إلى معرفة أكثر بالمحيط الّذي يعيش فيه الطالب في القسم والكلية؛ أي ما يسمعه قد يدفعه إلى التكلم بالمثل.

السؤال الثاني عشر: وهو يهدف إلى معرفة اللّهجة الأكثر استعمالاً في القسم.

السؤال الثالث عشر: وهو يهدف إلى معرفة درجة القدرة على التفريق بين المتكلّم الأصلي وغير أصلي.

السؤال الرابع عشر: يهدف إلى معرفة السّبب الرّئيسي.

السؤال الخامس عشر: يهدف هذا السؤال إلى استبيان تأثير المحيط الجامعي على طريقة الكلام في الكلية.

السؤال السادس عشر: وهو سؤال تابع لمعرفة درجة تأثير هذا المحيط على الطلاّب.

السؤال السابع عشر: وهو معرفة هل هناك تغيّر في طريقة الكلام حسب المحيط.

السؤال الثامن عشر: يأتي ليؤكّد مدى تأثير العامل الاجتماعي في طريقة الكلام.

السؤال التاسع عشر: هو معرفة هل هناك علاقة بين طريقة الكلام وعامل الاندماج.

السؤال عشرون: هو سؤال يهدف إلى تأكيد السؤال الّذي سبق أي أنّه يهدف إلى استبيان درجة الاندماج في وسط لا يستدعي ذلك.

II-1- نتائج الاستبيان:

1- السؤال الأول: يهدف السؤال الأول إلى حصر المحيط الّذي يعيش المجيب أثناء دراساته الجامعية، أهو في وسط عائلي أم في محيط خارج الإطار العائلي، وقد جاءت النتائج حسب الإجابات فحاولت وضح بنسبة تقريبية 58% في الإقامة الجامعية و42% في محيط عائلي، وبهذا تكون النتائج المحصل عليها في هذا الاستبيان تقريبا متكافئة.

2- يهدف السؤال الثاني إلى حصر المحيط الأصلي للمجيب أهو في وسط ريفي أو حضري وهذا نظرا للاختلاف الموجود بين المحيطين كما ينبه العديد من العلماء في هذا المجال (انظر العامل الاجتماعي).

بعد التحصل على النتائج تمكنت من حصر الطلاب حسب محيطين محيطهم الأصلي.

للقرية: 47% محيط ريفي.

مدينة: 53% محيط حضري.

3- وهو سؤال في أغلب الأحيان شخصي حسب كل منطقة وطريقة كلامهم كما أنه في أغلب الأحيان يدلّ على المنطقة التي يقطن فيها المستجوب.

4- هو سؤال يهدف بالدرجة الاولى إلى معرفة درجة استعمال المستجوب للهجته الأصلية وهو في أغلب الأحيان سلوك شخصي يختلف م شخص إلى آخر، وكانت النتائج كالتالي:

لا: 80% نعم: 20%

5- هو سؤال مكمل ومؤكد للسؤال الّذي سبقه فبمجرد عدم استعمال اللهجة الأصلية مع الكل فهذا يعني أنه يحاول التواصل مع الآخرين بسرعة وكلست النتائج كالتالي:

لا: 25% نعم: 75%

6- هو سؤال يهدف إلى معرفة ماهي اللهجة المثلى المستعملة في التواصل في المحيط الجامعي، والنتائج هي:

لا: 70% نعم: 30%

ويتيحها تعقيبا وهي تحديد اللهجة المستعملة، فكانت معظم الأجوبة سواء لهجة الوهرانية أو لهجة منطقة هي خليط بين الوهرانية ولهجة منطقته.

7-و8- سؤالان تابعان للسؤال السابق ويهدفان إلى تحديد لهجتين معنيتين حتى يتسنى لنا ضبط ميل كل طالب للهجتين يعتبران مختلفين تماما، النتائج:

لا: 100% بالنسبة للطلبة الّذين جاؤوا من القرى الريفية.

نعم: 25% ولا: 75% بالنسبة للّذين جاؤوا من المدينة.

9- هو سؤال يحدد مدى تأثير كل لهجة غي المحيط الجامعي، فكانت: 20% بالنسبة للهجة التلمسانية و80% بالنسبة للهجة الوهرانية.

10- هو سؤال تعقيبي للسؤال السابق وقد اختلفت الأجوبة فيه، التائج:

لقد اختلفت النتائج فيه كونه سؤال مفتوح غير محدد فمعظمهم 70% من المستجوبين بتكلمهم التلمساني على أنها لغة مدينة تلمسان ولابدّ التكلّم بها.

30% هو متكلمي اللهجة التلمسانية لكنهم يستعملون الوهرانية أحسن لأنها سهلة التواصل20% ومنهم 10% لا تقاديا لأية سخرية من الآخرين.

11- يهدف هذا السؤال إلى معرفة تأثير المحيط الجامعي على طريقة الكلام، النتائج:

نعم: 80% لا: 20%

من بين مجيبي بنعم 60% يعيشون في الحيّ الجامعي.

12- إن الهدف من هذا السؤال هو معرفة درجة تأثير هذا التغيير في سلوك الطالب، النتائج:

نعم: 40% لا: 60%

لهذا: هذا التعقيب يفتح المجال لمعرفة أغلبية الأسباب، وجاءت النتيجة هي أن المحيط مختلف.

13- إن الهدف من هذا السؤال هو معرفة ما إذا كان سبب الاندماج والخوف من العزلة هو أحد العوامل المؤثرة، النتائج:

نعم: 65% لا: 35%

14- هو سؤال مؤكد للسؤال السابق لمعرفة ما إذا كان الخوف من العزلة هو عامل مهم، إن طريقة السؤال غير مباشرة لكن حافظ الأصدقاء من نفس المنطقة هو بمثابة الإطار الأمان للمستجوب وكانت النتيجة هي:

- 90% اللهجة الأصلية.
- 10% اللهجة المستعارة.

II-2- تحليل النتائج ومناقشتها:

من خلال النتائج المحصل عليها في البحث الميداني يمكن استنتاج مايلي:

1- تختلف اللهجة المستعملة من طرف الطالب من وضعية إلى أخرى فهو لا يتكلم بنفس الطريقة في كل الحالات، فهو يستعمل ألفاظ وعبارات معينة في وضعيات معينة قد تصل إلى درجة أننا نستطيع أن نحكم عليها بالرسمية وغير الرسمية، فكما رأينا في البحث الميداني فإن الطالب لا يتكلم مع أستاذه كما يتكلم مع أصدقاءه وإذا حدث العكس فإنها تعتبر حالة غير عادية.

2- اختيار بعض الطالبة لتنوع لغوي معين (لهجة) مغاير للهجتهم الأصلية في تواصلهم مع كطلبة آخرين ليسوا من نفس المنطقة.

3- يحدث هذا الانتقال خاصة عند القابلين في الأحياء الجامعية أين هناك نقطة تلاقي بالعديد من الطلبة من مختلف أرجاء الوطن.

4- استعمال لتنوع لغوي معين وفي حالة جامعة تلمسان هناك استعمال اللهجة بالوهرانية كتنوع لغوي سهل ومفهوم من طرف كل الطلبة، عكس لهجة تلمسان التي يعتبرها العديد صعبة النطق وخاصة بالمجتمع التلمساني فقط.

5- العودة إلى استعمال اللهجة الأصلية من طرف الطلبة عند التقاءهم بأفراد من نفس المنطقة أو حين عودتهم إلى عائلتهم.

6- إحساس الطلب المستعملين للتلاهج بأنه هناك قبول أسرع من طرق الآخرين حينما يستعملون اللهجة الوهرانية.

ومن هنا فإنّ ظاهرة التلاهج إذن هي اختيار المتكلم للهجة ليست لهجته الأم في مجتمع أو محيط في أغلب الأحيان غير محيطه يستهدف بها الاندماج في محيطه الجديد بسرعة، وهي عملية مؤقتة ولا توجب على المتكلم أن يهمل نهائيا عن لهجته الأم، ومع أنها قريبة من ظاهرة التجانس اللهجي Dialect Convergence والاختلاف اللهجي Dialect Divergence التي تواصل بين اللهجات إلاّ أنها تستدعي سلوكا لغويا معيّنا، فهي سلوك لغوي خاص بالفرد أو المتكلّم قصد إخفاء هويته أو منطقته الأصلية، أو كما فسّرته زيترهولم "Zetterholm" في أعمالها الموسومة بـــ: "A Swith of Dialect as Diguise" أنّه قد يستعمل المتكلّم تنوّع لغوي معيّن (لهجة) لإخفاء هويته وشخصيته، وقد استنتجت هذا من خلال تجربتها مع مساجين في سجن ستوكهولم "Stockholm": ممّا هو واضح أنّ السامع يجد صعوبة في تقصّي اللهجة الأصلية للمتكلّم عندما ينتقل هذا الأخير من لهجته الأصلية إلى أخرى وهي عملية يستعملها المتكلّم عمدا لإخفاء موطنه الأصلي.

وبهذا يخفي جانب كبير من شخصيته مراوغا من خلالها تحرّيات الشرطة، وهو سلوك شائع في بلدان الإسكندينافيا حيث ينتقل السويديون والدرماكيون من لهجة إلى أخرى حتى يتمّ لهم الاندماج بسرعة في الوسط الّذي ينوون العيش فيه؛ فهي ظاهرة لا تخصّ السجناء فقط بل عدد كبير من أفراد المجتمع".

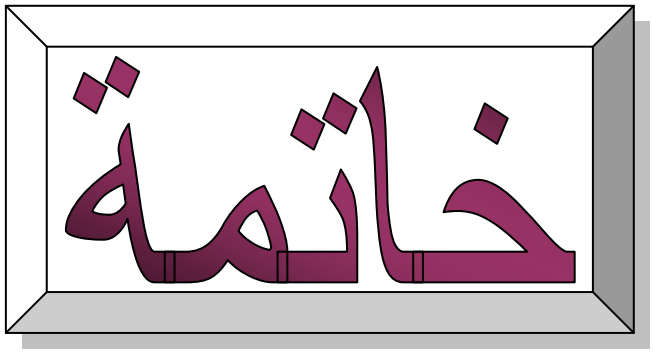
خاتمة

بني هذا البحث على بابين أساسيين هما الباب النظري والذي عولج فيه العلاقة بين اللغة واللهجة، ثم تطرقنا إلى اللغة العربية ولهجاتها في إطار دراسة زمنية منذ نشأتها إلى يومنا هذا معتمدين على أهم المراحل التي مرت بِها هذه اللغة يأتي القسم الثالث فيها دراسة حول السلوك اللغوي دوافعه وعوامله. أمّا الباب الثاني وهو القسم النظري أين حاولنا دراسة ظاهرتين لهجتين في كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية بجامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، وكان الهدف منها هو وضع علاقة بين السلوك اللغوي للمتكلم وظاهرتي الازدواجية والتلاهج، وهي دراسة ميدانية اعتمدنا فيها على بعض الطرق في عملية جمع المعلومات وهي طريقة الملاحظ المشارك وطريقة الاستبيان، ومن هنا يمكننا استخلاص بعض أهم النقاط وهي:

1- معظم البحوث والمصادر خاصة العربية منها اعتمدت على دراسة اللهجات من خلال اللغة العربية الفصحى كأي أنها درست اللهجات من العام إلى الخاص وهذا ما جعلها تستنتج مدى خطورة اللهجة على اللغة أو تردّ ضعف اللغة العربية الفصحى إلى استعمال اللهجات وهذه الطريقة الكبيرة في العالم العربي.

لكن العلاقة بين اللغة واللهجة في الدراسات اللغوية الحديثة لا تنحصر إلا في الكلّ وأجزاءه أي أنها لا تنطلق من منطلق الرّاقي بالمنحط أو الرسمي والغير رسمي.

بل إنها تعتمد على كون كلاهما يعتبران تنوعات لغوية يمكن دراسة كل منهما على حدى، فاعتبار اللغة العربية واللهجات العربية تنوعات اللغوية تتطور

كل منهم في محيط اجتماعي معين لا يقلل من شأن العربي ولا يرفع من شأن اللهجة بل يدرسهما حسب ما يلزمه الواقع اللغوي المعاش، وهذا ما يجب أن يتبناه كل باحث في الحقل اللهجي إذا ما أراد أن يخرج بنتائج موضوعية، أما مشكله ضعف اللغة العربية فهو راجع إلى عوامل أخرى قد تكون بعيدة كل البعد عن تطور اللهجات.

2- إن السلوك اللغوي هو نواة الدراسات اللغوية الأوساط الاجتماعية إذ أنه يدرس العوامل والدوافع التي تؤدي بالمتكلم إلى استعمال تنوع لغوي معين في وسط اجتماعي معين، ولا يمكن دراسة أي حالة لغوية أو لهجية معينة دون المرور بدراسة السلوك اللغوي لأنها قد تشرح العديد من الإبهامات التي قد يقع فيها الباحث وخاصة الباحث في مجال اللهجات.

3- إن ظاهرة الازدواجية هي مستقرّة كظاهرة لغوية اجتماعية لكنّها غير مستقرّة كسلوك لغوي؛ أي أنها ظاهرة منتشرة في الوسط الاجتماعي العربي نظرا كثرة التنوّعات اللغوية وهذا راجع إلى تاريخ العالم العربي ومراحل تطوّره، لكنّها غير مستقرّة إذا ما ارتبطت بسلوك المتكلّم فهو غير مرتبط بمحيط معيّن أين يجبر أن يستعمل الازدواجية فيه بل هو مرتبط بحالة معيّنة مبنيّة على دوافع وعوامل تتحكّم في سلوكه اللغوي.

كما أنها ظاهرة يطغى عليها الدافع الدرائعي الوسيلي أي أنها تستعمل كوسيلة لبلوغ هدف معين كإيصال رسالة معينة إلى السامع في أقل وقت ممكن، فهي بذلك لا تشكل خطرا على اللغة بل هي مرتبطة وضعية معينة تسمح أو تحيز المتكلم على استعمالها.

4- إن ظاهرة التلاهج هي من أهم الظواهر التي تطغى على المتكلم في مواقع معينة إذا ما توفرت العوامل المتيحة لذلك وأساسها الأول هو الدافع الاندماجي الّذي يجبر المتكلم استعمالها حتى يتسنى له التواصل مع أفرادٍ من محيط معين، وهي تستعمل أكثر بهدف إخفاء اللهجة الأصلية وبذلك المنطقة الأصلية للمتكلم، وبهذا يسهل عليه الاندماج في محيط غريب عنه بسرعة.

وخلاصة القول يمكننا القول أن سواء بظاهرة الازدواجية أو التلاهج يبقى الانتقال من تنوع لغوي إلى آخر لبلوغ أهداف معينة هو سلوك لغوي له أصوله في مجتمعنا ولا يمكن تغييره أو استئصاله منه بل على العكس لابدّ من دراسته والبحث في محاسنه أكثر من مساوئه، فقد يكون عامل تطوير اللغة أكثر من ضعفها وتاريخ اللغة العربية الفصحى يبين وجود هذا الانتقال من تنوع إلى آخر عبر العصور، فظاهرة الازدواجية والتلاهج هما ظاهرتان عاديتان تسريان في ذلك مجتمعاتنا ولا تهدفان إلى تحطيم اللغة العربية.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب العربية:

1 - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، الطبعة الرابعة، القاهرة، 1971.

2 - إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، 2003.

3 - إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار: معجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار المشكاة الالكترونية، 2008.

4 - ابن خلدون: مقدمة: دار الكتاب اللبناني لنشر، بيروت، 1991.

5 - ابن منظور: لسان العرب، دار المشكاة الالكترونية، 2008، باب (زين).

6 - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ش.و.ن.ت، الجزائر، 1978.

7 - إحسان حقي: الجزائر العربية، ط. بيروت، 1961.

8 - أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصر عالم الكتب، القاهرة، 2008.

9 - أنوليتمان: لهجات عربية شمالية قبل الإسلام، مجمع اللغة العربية، الملكي– القاهرة، المطبعة الأميرية، 1937.

10 -أنيس فريحة: اللهجات وأسلوب دراستهما، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1989.

11 -بكير بن سعيد أعوشت: ميزاب يتكلم تاريخيا –عقائديا– اجتماعيا، ط. غرداية، 1993.

12 -بن عيسى حنفي: محاضرات في علم النّفس اللغوي، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية، بن عكنون- الجزائر، ط3، د.ت.

13 -ت.م. جونستون: دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية، تر: أحمد محمد الضبيب، دار العربية للموسوعات، 1983.

14 -جلال الدّين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها في باب اللاّم، مكتبة المشكاة الإسلامية، د.ط، د.ت.

15 -خليل بن أحمد الفراهيدي: تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السمرائي، دار مكتبة الهلال.

16 -شريف الجرجاني: التعريفات، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.

17 -الصاحب بن عباد: معجم المحيط، مكتبة المشكاة الإلكترونية، 2008.

18 -صالح بلعيد: في المسألة الأمازيغية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1999.

19 -عبد الجليل مرتاض: اللغة والتواصل، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.

20 -عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، بيروت، ط4، 1982.

21 -عبد الغفار حامد هلال: اللغة العربية نشأة وتطوّرا، مكتبة وهبة، 1993.

22 -عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار الجيل بيروت، ط1، 1989.

23 -عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996.

24 -علي الشلقاني: ثورة الجزائر، ط. القاهرة.

25 -علي عبد الواحد وافي: نشأة اللغة بين الإنسان والطفل، دار المعارف، لبنان، 2002.

26 -الفيروز أبادي: قاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، مادة (لهج). أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، دار الهدى للطباعة والنشر، ط 4، الجزائر، 1990.

27 -القاموس المحيط: فيروز الأبادي، مكتبة المشكاة الإسلامية الإلكترونية في باب "السين".

28 -لقبال موسى: المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، سياسة ونظم، قسنطينة، 1969.

29 -مبارك أحمد الميلي: مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، ط2.

30 -المبرد: المقتضب، مكتبة المشكاة الإسلامية الالكترونية.

31 -مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.

32 -المجلس الأعلى للغة العربية: مستقبل اللغة العربية في سوق اللغات، 2009.

33 -محمد أحمد أبو الفرج: مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، 1992.

34 -محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 1، ط1 المطبعة التعاونية، دمشق 1965.

35 -محمد فهمي حجازي: علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، الكويت، 1973.

36 -المغرب الكبير- العصر الإسلامي: عبد العزيز سالم، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية.

37 -الموصلي أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، عالم الكتب للطباعة والنضر والتوزيع، 2006.

38 -نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ط 2، الكويت، 1979.

39 -وزارة المعارف: عناصر اللغة العربية وخصائصها، دار المعارف، المملكة العربية السعودية، 2008.

40 -يوهان فك: العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، تر: رمشان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، 1980.

المراجع باللغة الفرنسية:

41- Adams K. and Ware N: Sexism and the English Language: The Linguistic Implications of being a Woman. In Jo Freeman (Ed.), Women: Feminist Perspective. 3rd edition Palo Alto: Mayfield Publishers, 1982.

42- Aghieyisi R. N and Fishman, J. A. Language attitudes studies A. Brief survey of methodological approaches, Anthropological linguistics, 1970.

43- AMAT Charles : Le M'zab et les M'zabites, Ed Challamel et Cite Editeurs, Paris, 1888.

44- Bahloul Maher : The Syntax and semantics of taxis, aspect tense and modality instand and Arabic Ilhaca, 1994.

45- Baker Colin : Bilingualism and Bilingual Education, Cleveland édition, 1988.

46- Ben Chenes Mohammed: Mots Turks et Persans Conserves Dans Le Parler Algérien, Alger Ancienne Maison Bastide- Jourdan Jules Carbonel Imprimeur- Librairie- Editeur, 1922.

47- Bever T.G. : The cognitive basis for linguistic structure in Hayes, Cognition and the Development of Language (N.Y. Miley), 1970.

48- Bloomfield : Language, in, John Lyons : Language and Linguistics, Cambridge, University Press, UK, 1981.

49- Bousquet. G.H : Les berbères, Coll «Que sais-je ?» N° 718, 3ème Ed. P.U.F, Parais, 1967.

50- Bride Janet and Janet Holmes : Sociolinguistics penguin books, London, 2009.

51- Chambers J.K., P. Trudgill : Dialectology Cambridge, University press, 2nd Edition United Kingdom, 2004.

52- Dalby Andrew: Dictionary of langage AXC black, London, 2004.

53- Duranti Alessandro: Linguistic Anthropology Cambridge University Press, 1997.

54- Falk. J : Linguistics and language a survey of basic concepts and implication 2nd edition, John wiley and sons, London, 1978.

55- Fasold. R : The Sociolinguistics of society, Oxford Blackwell, 1984.

56- Ferguson C. A: Diglossia In Paulo Guiglioli language and social context, London Pinguin Books, 1972.

57- FERGUSON Charles. A : Diglossia in DELL HYMES, Pidginization and Creolization of Language, Campbridge University Press, London, 1971.

58- Fingan : Language Its Structure and use, Thomson Whadsworth, 6th edition, New York usa, 1999.

59- Francis, W. N:. Dialectology: An Introduction, Longman Group Ltd, 1983.

60- GALAND, L : Signe Arbitraire et Signe Motive en berbère, Ed, Mouton, 1974.

61- Gardner, R.C: Social psychology and second language learning, The role of attitudes motivation, Edward Amold Publishers, London, .1985.

62- Gardner .R. C: Integrative Motivation, Past, Present and Future, Edward Amold Publishers, London, Department of Psychology, University of Western Ontario, 1998.

63- Gautier, E.F : Le passé de l'Afrique du nord.

64- Gumperz : a bewildering array of language and dialect division, 1982. Ronald Wardhaugh : An Introduction to sociolinguistics, Willey publications 6th ed United Kingdom, 2011.

65- HANOTEAU. A : La Kabylie et les coutumes, 2ème Edition. Challamel, Paris, 1893.

66- HANOUTEAU. A: Essai de grammaire Kabyle, 2ème édition, Ajourdan, Alger, 1906.

67- Harold. F. Schiffman : Linguistic Culture and Language Policy, Routldge, New York, 1998.

68- Haugen. E: Dialect language nation, sociolinguistics, Edited by J. B Pride and Janet.

69- Holes Clive: Modern Arabic, Structures functions and varieties, Now York , 2004.

70- HUDSON : Sociolinguistics Cambridge University press 2nd, Edition 1996.

71- Labov (W), The study of Language in its social context», Stadium generals, 1970.

72- Labov William: Sociolinguistics patterns, University of Pennsylvania press 11ed, 1972.

73- Lambert in Fishman, The Relationship Between micro and macro sociolinguistics, in Janet bride and Janet Holmes : Sociolinguistics penguin books, 1979.

74- Lander Herbert: Language and culture Oxford University Press, New York, 1966.

75- Laurence Ris : Nous communiquons nos neurones aussi, Université de mons, 2009.

76- Macdowall David: An Illustrated history of britaina longman, 2006, United Kingdon.

77- Milroy Lesley and G Mathew : sociolinguistics, method and interpretation. Blackwell publishing, 2003, MA USA.

78- Milroy, L : Language and social networks. Language in Society 2, Blackwell Publishers Ltd, 1980.

79- Musken Appel: Language contact and bilingualism, Edward Arnold, London, 1987.

80- Oppenheim, A, N: Questionnaire design and attitude measurement, edition. Heinemann Educational Books Ltd, 1966.

81- Sarah G. Thomason: Encyclopedia of linguistics 2nd, Ed: Elsevier, Nov 2005.

82- Stieblich, C: Interpersonal Accommodation in a Bilingual Setting, International Journal of the Sociology of Language, 1986.

83- Strazny Philip: Encyclopedia of linguistics V (A-L Taylor and francis group, New york, 2005.

84- Taibi et Azaani : Algérie actualité sbiaa.

85- Tradgill. P: Introducing language and society penguin book LID, England, 1992.

86- Trudgill. P: The Social differentiation of English in Norwich. Cambridge, University Press, 197.

87- Wardhaugh. R : Introduction to sociolinguistics Blackwell publishing 5th edition 2008.

88- William Orr Dingwall : The Biological of human Communicative Behavior, Blackwell, New York, 2006.

89- www.wikipedia.org/wiki/arab_dialectal2008.

90- ZOUBIR DENDANE : Sociolinguistics and attitudes towards Language behavior in an Algerian context, Case of Tlemcen Arabic.

ملاحق

فهرس المحتويات

فـــهـــرس الـــمـــحـتـــويـــات

مـــقـــدمـــــة أ

الباب الأول: الجانب النظري

الفصل الأول: اللغة واللهجة والعلاقة بينهما

مقدمة: 8

I- **ماهية اللغة:** 8

II- ماهية اللّهجة: .....12.....

III- علاقة الفصل بين اللغة واللهجة: .....14.....

IV- علاقة الجمع بين اللغة واللهجة: .....19.....

الفصل الثاني: اللغة العربية ولهجاتها

مقدمة: 25

I- **اللغة العربية:** 25

I-1- تاريخ الأبجدية العربية: .....26.....

I-2- تطور اللغة العربية: .....28.....

I-3- العربية في العصر الحديث: .....29.....

II- **اللّهجات العربية:** 33

II-1- تطوّر اللهجات العربية: .....33.....

II-2- اللغة العربية ومكانتها في الجزائر: .....43...

III- **العلاقة الاجتماعية اللغوية بين الأمازيغية والعربية:** 46

III-1- العلاقة الاجتماعية: .....46.....

III-2- العلاقة اللغوية: .....50.....

III-3- العلاقة اللغوية الاجتماعية: .....54.....

الفصل الثالث: السلوك اللغوي

مقدمة: 61

I- السلوك لغة واصطلاحا: 62

I-1- السلوك لغة: .....62.....

I-2- السلوك اصطلاحا: .....62.....

II- السلوك اللغوي: 63

II-1- دوافع السلوك اللغوي: .....68.....

II-2- العوامل المؤثرة في السلوك اللغوي: .....70..

الباب الثاني: الدراسة الميدانية

الفصل الأول: تحليل منهجية البحث الميداني في علم اللهجات

مقدمة: 85

I- طريقة الملاحظ المشارك Participant Observation: 85

I-1- الإيجابيات: .....86.....

I-2- السلبيات: .....86.....

II- طريقة التطابق اللّامرئي أو« Matched-Guise- Technique »: 87

III- طريقة المقابلة والاستبيان Interview and Questioner: 88

III-1- المقابلة: .....88.....

III-2- الاستبيان: .....89.....

الفصل الثاني: ظاهرة الازدواجية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

I- ظاهرة الازدواجية: 93

I-1- السلوك الإزدواجي اللّغوي في الجزائر: .....97.....

فـــهـــرس الـــمـــحـتـــويـــات

I-2- ظاهرة الازدواجية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية: .....100.....

I-3- فترة الملاحظ المشارك (Participant Observation): .....103.....

II- الاستبيان Questionnaire: 109

II-1- نتائج الاستبيان وتحليله: .....109.....

II-2- تحليل النتائج ومناقشتها: .....127.....

الفصل الثالث: ظاهرة التلاهج في كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

I- ظاهرة التلاهج: 132

I-1- تحديد مصطلح التلاهج: .....132.....

2- ظاهرة التلاهج في كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية: ...137.

3- فترة الملاحظ المشارك: .....138.....

II- الاستبيان: 141

II-1- نتائج الاستبيان: .....145.....

II-2- تحليل النتائج ومناقشتها: .....148.....

خـــاتـــمـــــة 151

قائمة المصادر والمراجع 155

مـــــلاحـــــق

فهرس المحتويات

ملخص

هذا البحث هو جزء من الدراسات اللغوية التحليلية الوصفية التي تهدف إلى تحليل السلوك اللغوي داخل الجامعة الجزائرية .ترتكز هذه الدراسة أساسا على ظاهرتين الأولى مستمدة من علم الاجتماع اللغوي: الازدواجية، أما الثانية فهي لهجية: التلاهج.

الجانب النظري: يتناول العلاقة بين اللغة واللهجة .ثم دراسة وصفية للسلوك اللغوي والعوامل المؤثر فيه.

الجانب التطبيقي: تحليل الظواهر والتغيرات لغوية –الازدواجية – إلى جانب دراسة التغيرات اللهجية- التلاهج. لمحاولة الإجابة عن الإشكالية التالية: إلى أي مدى قد يؤثر السلوك اللغوي في الوسط الطلابي بالجامعة الجزائرية؟

كلمات مفتاحية: اللغة، اللهجة، اللغة العربية، السلوك اللغوي،الازدواجية، التلاهج.

Résumé

Cette recherche qui entre dans le cadre des études descriptives et analytiques de la langue, a pour objective d'analyser le comportement linguistique au sein de l'université algérienne. En se basant sur deux phénomènes le premier sociolinguistique : diglossie, et le deuxième dialectologique : le changement dialectal comme déguisement. La partie théorique étudie la relation entre le dialecte et la langue, le comportement linguistique, les facteurs du comportement linguistique.la partie pratique analyse les phénomènes diglossiques et le changement dialectal comme déguisement dans le milieu estudiantin au sein de la faculté des lettres, des langues, sciences social et sciences humaines. Pour répondre à la problématique suivante : Jusqu'à quel point peut le comportement linguistique affecter le milieu estudiantin en Algérie ?

Mots clefs: *Langue, dialecte, langue arabe, comportement linguistique, diglossie Changement dialectal.*

Summary

This research is part of linguistic descriptive analytic studies .Its objective is to analyze the linguistic behaviour within the Algerian university. It is based on two phenomena. The first sociolinguistic: diglossia and the second.

A Switch of Dialect as Disguise. The theoretical part examines the relationship between language and dialect, linguistic behaviour and the factors that contribute to the linguistic behaviour. The practical part analyzes the diglossic phenomena and dialectal changes among the students of faculty of arts, languages, social sciences and humanities.

In order to answer to the following problematic: to what extent can language behaviour influence the student speaking?

Key words: *language, dialect, Arabic language, language behaviour , diglossia dialect switch as disguise .*

فـــهـــرس الـــمـــحـتـــويـــات

الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليـم العـالي والبحـث العلمـي

جـامعـة أبي بكر بلقايد تلمسان

كليـــة العلـــوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

قســـم: التاريخ وعلم الآثار

شعبة: الثقافة الشعبية

مذكرة لنيل شهادة دكتوراه في اللّهجات

دراســة السلــوك اللغوي فــي الجامعــة الجزائريــة

ظاهرة الازدواجية والتلاهج في كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

-جامعــة أبي بكر بلقايــد تلمســان-

إعداد الطـالب:

✍ فريد داودي

تحـت إشـراف:

✍ أ.د.عبد الجليل مرتاض

السنـة الجـامعيـة: **2012 – 2013**

إن اللغة في استعمالها اليومي أداة بتوسلها الإنسان لإتمام عملية التواصل بينه وبين أفراد بيئته، ولا تقتصر اللغة في الواقع على أداء عملية التواصل، وإنما يبقى التواصل المظهر الإستعمالي الأساسي للغة، ويقتضي التواصل اللغوي نقل الدلالات والمعاني بواسطة الإشارات الصوتية ضمن بنية وتنظيم لغوي يشترك فيه الناس من حيث الأداء والاستعمال، وبذلك يميّز محيط لغوي معين.

تنبثق كهذه الفكرة أساسا من كون اللغة نظاما سلوكيا أخذ أشكالا متعددة ومتداخلة في الوقت نفسه.

إن موضوع اللغة وعلاقتها بمستعمليها هو إشكالية البحث للعديد من العلماء في أنحاء العالم، نظرا لتطوّر العصر الّذي سمح بتسهيل التواصل بين أفراد المجتمع أو بين أفراد مجتمعات أخرى، فالتطوّر التكنولوجي لوسائل الإعلام والاتصال قصّر من المسافات وقرّب ما كان بعيدا.

فأصبح الناس لهم معرفة بلغات ولهجات عديدة فزاد اهتمامهم بهذا الأمر أكثر مما كان عليه من قبل فضلا عن اكتسابهم لأكثر من لغة واحدة، وقد أصبح هذا الاكتساب بديهي وعادي في عصرنا الحالي، إذ أنّ مجتمعنا لم يعد منعزلا كما كان الأمر من قبل بل أصبح عنصرا من الكل يسمى بالمجتمع العالمي (Universal Society) أو مجتمع مصغر (Micro society) من مجتمع أكبر (Macro society) في ظل ما يسمى بالعولمة (Globalisation) أو عصر الانفتاح؛ فاللّغات أصبحت جسورا ومفاتيح تسمح لمكتسبيها بالتطلّع على ثقافات ومجتمعات أخرى فيخلق هذا فُرص النّجاح في كل الميادين والدليل على ذلك كون أنه من أهم الشروط للتوظيف في جميع القطاعات هو معرفة لغات أخرى؛ فتحوّلت

اللغة إذن من وسيلة للتواصل بين الناس إلى أداة ووسيلة للنّجاح وشغل مراتب عالية في المجتمع.

ومن هنا نستنتج أّن موضوع اللغة وتطوّرها تجاوز مرحلة الوصف من طرف الباحثين إلى مرحلة التحليل والتدقيق بما أنّها تعدّ الآن عامل اقتصادي وسياسي أكثر منه اجتماعي وتواصلي.

لكن العصر الحديث وتطوره كشف عنصراً آخر بدأ يأخذ أهميته شيئًا فشيئا، وهو تطوّر اللّهجات وانتشارها، بل تعدت ذلك على أنّها أصبحت في بعض الأحيان تأخذ مكانة اللغة نفسها.

فبدأ الحديث عن خطر اندثار بعض اللغات بسبب انخفاض نسبة استعمالها وارتفاع نسبة استعمال لهجاتها، واللغة العربية مثال حي لهذه الوضعية. فبين متفائل لمستقبلها ومتشائم، تتضارب الآراء من خلال البحوث اللغوية، فمنهم من دق ناقوس الخطر حول مصير العربية ونعى موتها ومنهم من يرى تطورها وازدهارها متحدّيا كل تيار جارف لمستقبلها؛ وبين تضارب الآراء تبقى اللغة العربية بلهجاتها ميدان واسع للبحوث العلمية ومنبع يروي الباحث عطشه، فهي شاهد حي ليس للعرب والمسلمين فقط بل للإنسانية بأكملها.

ولعل أحد أهم ميادين البحث التي قد تساهم في شرح العلاقة بين اللغة ومستعمليها تلك التي تدرس السلوك اللغوي.

لقد وقع اختيارنا في هذا البحث على الجامعة الجزائرية وبالتحديد جامعة أبي بكر بلقايد كموقع تتفاعل فيه اللّغات واللهجات كونها نقطة التقاء العديد من الطلبة من مختلف أنحاء الوطن بلهجاتهم ولكناتهم المختلفة. وحددنا كلية

الآداب والعلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية كمركز تستوفي فيه شروط الالتقاء التنوعين اللغويين الأساسيين اللغة العربية كأوّل لغة تدرس وتدرس بها العديد من المقاييس في مختلف الأقسام واللهجة أو اللهجات المختلفة. هدفنا من هذا هو تحليل ظاهرة الازدواجية والتلاهج كسلوك لغوي في الوسط الطلاّبي.

سبيلنا في ذلك المنهج والوصفي الإحصائي الّذي هو مقسم إلى بابين:

الباب الأول وهو الجانب النظري أين حاولنا إعطاء نظرة مبسطة وشاملة عن مختلف العناصر المكونة لهذا البحث وهم: اللغة، اللهجة، اللغة العربية، اللهجات العربية، السلوك اللغوي، ويأتي منظم كالآتي:

الفصل الأول وعنوانه "اللغة واللهجة والعلاقة بينهما" وهو فصل يهدف إلى وصف العلاقة بين اللغة واللهجة من خلال رأيين أساسيين؛ رأي علاقة الفصل بين اللغة واللهجة كعلاقة العام بالخاص.

أمّا الرأي الثاني فهو علاقة الجمع بين اللغة واللهجة تحت لفظ واحد وهو التنوع اللغوي.

أما الفصل الثاني والموسوم بـــ: "اللغة العربية ولهجاتها" وهو فصل يصف أصل ومسار اللغة العربية وعلاقتها بلهجاتها عبر العصور إلى جانب وصف مكانة اللغة العربية في الجزائر منذ قدوم العرب إلى الجزائر إلى غاية وقتنا الحالي، وهو فصل يهدف إلى إبراز أحد عناصر الأساسية للبحث الميداني.

أما الفصل الثالث وهو بعنوان "السلوك اللغوي" فهو يصف من خلال آراء الباحثين حول ماهية السلوك والسلوك اللغوي بدوافعه وعوامله التي تؤثر في اختيار الفرد لتنوع لغوي معين في تواصله مع الآخرين.

ومن هنا ننتقل إلى الباب الثاني وهو الجانب التطبيقي في هذا البحث وهو منقسم إلى ثلاثة فصول.

في الفصل الأول وعنوانه: "منهجية البحث الميداني في علم اللهجات" أين آثرنا أن نبين أفضل طريقة البحث الميداني في انتقاء المعطيات الأساسية لتقويم نتائج كمية وكيفية وموضوعية.

أما الفصل الثاني وهو "ظاهرة الازدواجية في كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية" وهو فصل يتضمن دراسة ميدانية لظاهرة الازدواجية في الوسط الطلابي وماهي درجة تأثرهم بها من خلال فترة ملاحظ وتقصي ثم فترة المشاركة وأخيرا فترة الاستبيان، وفي الأخير استخراج النتائج ومناقشتها.

ونفس المنهاجية تقريبا أخذت للفصل الثالث وهو بعنوان: "ظاهرة التلاهج في كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانسة"، ومن خلاله سنحاول إعطاء مفهوم تقريبي لمصطلح التلاهج ثم رصد وضعية التلاهج داخل أقسام الكلية.

فمن خلال تحليل وتقويم كل هذه المعطيات سنحاول الإجابة على الإشكالية التالية:

- ماهي العلاقة بين السلوك اللغوي وظاهرتي الازدواجية والتلاهج؟ وإلى أي مدى يؤثر هذا السلوك اللغوي في التفاعل اللغوي للجامعة؟ كما تندرج من خلال هذه الإشكالية أسئلة ثانوية وهي:

1- ماهي العلاقة بين اللغة واللهجة؟

2- ماهي أهم العوامل المؤثرة في السلوك اللغوي؟

3- ما معنى الازدواجية وماهي درجة استعمالها في الجامعة؟

4- ما معنى التلاهج وماهي درجة استعمالها في الكلية؟

وحتى يتسنى لنا أجوبة على كل هذه الأسئلة بعض الفرضيات قد تساعدنا لبلوغ هدفنا وهي:

1- أن العلاقة بين اللغة واللهجة مرتبطة بدرجة استعمال كل منهما وهذا لا يعني أن هناك علاقة العام بالخاص.

2- أن هناك علاقة وطيدة بين العربية ولهجاتها وهذا من القدم.

3- أن السلوك اللغوي هو أهم عامل في اختيار واستعمال أي تنوع لغوي مهما كانت الدوافع وبدونه لا يمكن أن يكون هناك لغة.

4- إن الازدواجية والتلاهج هما ظاهرتان تنتميان إلى السلوك اللغوي.

5- إن ظاهرة الازدواجية والتلاهج عنصران أساسيان في التواصل بين طلاب الجامعة نظرا لعدّة عوامل مختلفة.

ان أساس البحوث في علم اللهجات هو الاعتماد على جمع المعطيات للهجة أو لهجات معينة في مناطق معينة من خلال تسجيلات أو طرح الأسئلة سواء شفهية أو كتـــابية لنموذج من أفراد المجتمع ; وهدا مايعرف بالدراسة الميدانية وجمع المادة ،لكن يعانيه الباحث قبل كل شيء هو صعوبة جمع هذه المادة الأولية ، فما هي أحسن منهجية يتبعها الباحث في جمـــع و تحليل المعلومات ؟

سنعر في هذا البحث ثلاثة مناهج كل واحد منهم يعتمد على طريقة خاصة في جمع المادة; ذاكرين في نفس الوقت محاسنها و نقاط ضعفها في مجال البحث العلمي اللهجي.

I- طريقة مراقبةالمشارك :participant observation

و هي منهجية تستعمل أكثر في علم الأنتروبولوجيا حيث تعتمد على تقارب الباحث من العينة المراد بحثها دون التدخل فيها. مراقبة من بعيد أو كما يصفها علمـــاء النفس بطريقـــة ذوبـــان الباحث في المحيط و هذا أثنـــاء مراقبتهم لتحركـــات و سلوك الأطفال. لقد أشارت ميلوري[1] Millroy إلى هذه المنهجية مشيرتا إلى محاسنها و مساوئها فحددتها فيما يلي :

1/ من محاسنها :

ا- من خلالها نستطيع أن تتحصل على عينة من اللغة اليومية

-Milroy, L. (1980). Language and social networks. Language in Society 2. Blackwell Publishers Ltd. ص4

ب- يمكن أن تعطي نظرة دقيقة على الأعراف الاجتماعية و التواصلية للمجتمع.

ج-يمكن أن تفسر مدى أهمية لغة المتكلم في وسط مجتمعه.

2/ نقاط ضعفها:

أ- إن البيانات مهما كانت جيدة ، لا يمكن أن تقع ضمن سياق اجتماعي لغوي أوسع إذا لم تكملها بيانات سياقية من دراسات ذات نطاق أوسع

ب- تتطلب هذه الطريقة موارد فردية كبيرة من طاقة و مثابرة و وقت طويل، براعة و مشاركة عاطفية.

ج- مسرفة في مجال البيانات إذ أن كمية البيانات المحصل عليها أكبـــر من كمية البيـــــانات القابلة للتحليل أي أن الباحث يستلزم عليه جمع أكبر كمية من البيانات للحصول على كمية صغيرة بعد التحليل.

د- صعوبة العثور على عدد كافي و متنوع من المشاركين الذين تتوفر فيهم الصفات و المعايير المطلوبة لعينة سليمة مع كل هذا فإن (ترود قل[1] 1974) نجح من خلال هذه المنهجية في وصف و دراسة لعينة محددة للغة الإنجليزية في النرويج بينما لم تنجح كثيرا (ملروي) في دراستها للطبقة العاملة بيفاست بتقديمهم نفسها كصديقة لصديقة حتى تتوطد علاقتها مع هذه الفئة .

Trudgill. P. (1974). The Social differentiation of English in Norwich. Cambridge University Press.20ص

II- طريقة التطابق المخفي أو« Matched-Guise Technique »:

هي طريقـــة تعتمـــد أصلا في مجال علم النفس الاجتماعي و هي تعتمد أساسا على ملاحظة مدى تأثير سلوك بعض أفراد المجتمع على الآخرين بتسجيل بعض السلوكيا ت عن طريق شريط الفيديو أو الصوتي لبعض الأفراد و عرضها على الآخرين من نفس المجتمع لملاحظة رد الفعل.

استخدمت هذه الطريقة في علم اللغة الاجتماعي و خاصة في علم اللهجات لملاحظة مدى قبول أو رفض بعض أفراد المجتمع للآخرين في مجال العلاقة بين اللهجة و اللغة و اللكنة بتسجيل محادثة أو قراءة نص بطريقة أو لهجة معينة من طرف بعض أفراد المجتمع و عرضها على أفراد آخرين فيلاحظ مدى تقبلهم أو رفضهم لهذه اللغة بالإدلاء برأيهم باللهجة أو اللغة أو اللكنة التي يريدونها ففي نفس الوقت يتحصل الباحث على قدر كبير من عينات التنوع اللغوي المراد تحليله إلى جانب تحديد مدى العلاقة بالتنوعات اللغوية الأخرى .

إلا أن هذه الطريقـــة تستحسن إلا في الدراسات التي يتسم بالعلاقة الموجودة بين اللغة و اللهجة أو اللهجات أو بين لغات و لغات أخرى إلى جانب أنها تعتمد أكثر على عينة صغيرة من أفراد المجتمع فهي أكثـــر شخصية و بعيدة نوعا ما الموضوعية.

و مع أن ستيا بلتش[1] Stieblichنجح في تطبيقها على بعض أفراد المجتمع الكندي إلا أن هذه الطريقة تبقى ناقصة شأنها شأن الطريقة الأولى .

---

[1] Stieblich, C (1986). Interpersonal Accommodation in a Bilingual Setting. International Journal of the Sociology of Language, 10: 158-176.

III-طريقة المقابلة و الاستبيانinterview and questioner:

من بين المناهج الأكثر شيوعا في علم اللهجات هي طريقة المقابلة و الاستبيان هي في نفس الوقت طريقتين لكن أساسها واحد.

01- المقابلـــــــــــــــة:

و هي تعتمد على لقاء بين العينة سواء فرد أو جماعة بالباحث يتم من خلاله جمع معلومات شفوية مباشرة من العينة و من شروطها أن تكون موضوعية هادفة محددة و من مزاياها

- كمية المعلومات كبيرة تسمح للباحث أن يحللها
- تمكين الباحث بتسجيل انفعالات و سلوكيات المبحوث مباشرة حسب الموضوع.
- تعفي المبحوثين من الإدلاء بآرائهم كتابيا إذا لم تكن رغبتهم خشية تسجيل أرائهم خطأ .

أما من عيوبها :

- تكلفتها مرتفعة بالمقارنة مع الاستبيان
- تحيز من قبل الباحث أو المبحوث
- إعطاء بيانات خاطئة للباحث نظرا للعلاقة الغير وطيدة الموجودة بين الباحث و المبحوث

.02- الاستبيان:

هي عملية استجواب يتم من خلالها طرح الباحث عدد معين من الأسئلة على المبحوث و هذا من خلال استمارة أسئلة يجيب عنها المبحوث و هي كما فسرها فرانسيس [1] FRANCIS نوعان مباشرة و غير مباشرة ، فالغير

[1] Francis, W. N. (1983). Dialectology: An Introduction. Longman Group Ltd.130 ص

مباشرة يعتمد فيها الباحث على إرسال الاستمارة عن طريق البريد أو توزيعها للمبحوثين على أن ينتظر ردهم. أو بطريقة مباشرة و هي طريقة قريبة من المقابلة حيث يسأل الباحث المبحوث و يسجـــــــــــل في الاستمارة مباشرة و من عيوبها

- كتابة الأجوبة غير لائقة خاصة إذا كانت استمارة الأجوبة لا تتطلب بيانات شخصية للمستجوب.
- أجوبة غير موضوعية حيث في بعض الأحيان، يحاول المستجوب، من خلال أجوبته، إرضاء الباحث.
- تأثير الباحث على المستجوب سواء بطريقة طرح الأسئلة أو مثلا بمنظره و في هذا المجال يقول أوبنهايم[1]Oppenheim: كل محـــــاور يجب أن يتعلم كيف يواجه التحيزات و التشوهات التي تخلف هذه المشاكل .

أما من عيوب طريقة المقابلة و الإستبيان :

- عدم توازن العلاقة بين الباحث و المبحوث فسواء كانت المقابلة حرة أو مقيدة ، و سواء كان الإستبيان مباشر أو غير مباشر فإن هناك علاقة سائل و مستجوب و هنا في بعض الأحيان يجد المبحـــــــوث نفسه و كأنه في إمتحان شفوي أو كتابي ، فيرتبك أحيانا أو يحاول إنهاء هذه العملية في أقل وقت ممكن .

---

[1] Oppenheim, A, N. (1966). Questionnaire design and attitude measurement. Educational Books Ltd. 1992 edition. Heinemann Educational Books Ltd. ص66

– طريقة إلقاء الأسئلة: خاصة في علم اللهجات حيث أن المقابلة أو الإستبيان المباشر لا بد أن يكون بطريقـــــة لا تؤثر على المستجوب ففي بعض الأحيان يتبع المستجوب طريقة كلام الباحث و إ ذا تكلم الباحث باللغة العربية فطريقة الجواب تكون غالبا بنفس اللغة إ ذا كانت بلهجة معينة تكون الأجوبة بنفس اللهجة أو ما يقاربها و هذا حتى و إن لم يكن المستجوب يحسن هده اللغة أو اللهجة و لا ربما ما نراه غالبا في المقابلات التلفزيونية لأكبر دليل على ذلك .

و من هنا نستخلص أنه لا توجد منهجية مثلى في جمع المادة و لكل منهم نقائص و عيوب مما يجعل للباحث مشكلة تدقيق في معلومات أكبر شغله من تحليلها و لهذا فالطريقة المثلى للباحث في علم اللهجات هو إستعمال هذه المناهج الثلاثة في آن واحد أو بالترتيب ، إذ يستعمل الباحث طريقة المشاركة و المراقبة كمرحلة أولى و بهذا يستهدف عينة من الأفراد و في نفس الوقت يتسنى له الدخول في توطيد علاقة تسمح له بأن يتعدى الحواجز الموجودة بين المستجوب و الباحث ، ليتسنى له بعد ذلك القيام سواء بالمقابلة أو الاستبيان لكن يشترط في هذه الحالة أن يعطي الوقت الكافي لتوطيد العلاقة أكثر من الوقت للمقابلة أو الاستبيان ، و إذا نجح في تطبيق هاتان الطريقتان فإن الطريقة الثالثة تكون أسهل إلى جانب أن لا بد للباحث إن يطبق نفس العينة ثلاثة طرق حتى يتسنى له جمع المواد الثلاثة كل واحدة على حدا ثم في الأخير يقارن بين كل البيانات المجمع في نقطة التشابه بين هذه الطرق الثلاثة ، هي الخلاصة التي يستطيع أن يستنتجها .

و لا ربما العيب الوحيد في هذه المنهجية هي الوقت الطويل المستغرق لهذه التجربـــــة إلا إذا اعتبرنا أن المجتمع هو المخبر لتجاربنا العلمية.فإن الوقت لا قيمة له بالمقارنة مع النتيجة الموضوعية المحصل عليها إلى جانب أنها المنهجية الوحيدة التي تستطيع أن تعطي تكافؤ كبير بين الكمية أو الكم the quantity والنوعية أو الكيف

فـــهـــرس الـــمـــحتـــويـــات

the quality في مجال البحث اللهجي.

النتائج ومناقشتها:

من خلال النتائج المحصل عليها في البحث الميداني يمكن استنتاج مايلي:

1- تختلف اللهجة المستعملة من طرف الطالب من وضعية إلى أخرى فهو لا يتكلم بنفس الطريقة في كل الحالات، فهو يستعمل ألفاظ وعبارات معينة في وضعيات معينة قد تصل إلى درجة أننا نستطيع أن نحكم عليها بالرسمية وغير الرسمية، فكما رأينا في البحث الميداني فإن الطالب لا يتكلم مع أستاذه كما يتكلم مع أصدقاءه وإذا حدث العكس فإنها تعتبر حالة غير عادية.

2- اختيار بعض الطالبة لتنوع لغوي معين (لهجة) مغاير للهجتهم الأصلية في تواصلهم مع كطلبة آخرين ليسوا من نفس المنطقة.

3- يحدث هذا الانتقال خاصة عند القابلين في الأحياء الجامعية أين هناك نقطة تلاقي بالعديد من الطلبة من مختلف أرجاء الوطن.

4- استعمال لتنوع لغوي معين وفي حالة جامعة تلمسان هناك استعمال اللهجة بالوهرانية كتنوع لغوي سهل ومفهوم من طرف كل الطلبة، عكس لهجة تلمسان التي يعتبرها العديد صعبة النطق وخاصة بالمجتمع التلمساني فقط.

5- العودة إلى استعمال اللهجة الأصلية من طرف الطلبة عند التقاءهم بأفراد من نفس المنطقة أو حين عودتهم إلى عائلتهم.

6- إحساس الطلب المستعملين للتلاهج بأنه هناك قبول أسرع من طرق الآخرين حينما يستعملون اللهجة الوهرانية.

مناقشة:

من خلال هذه الاستنتاجات يمكن تقرير أن استعمال التلاهج هي ظاهرة خاصة قد تستعمل من خلال النتائج المحصل عيلها في مختلف مراحل البحث يمكننا حوصلت البحث الميداني في مايلي:

1- قناعة كل المستوجبين بمكانة اللغة العربية كلغة الرسمية في الجزائر إلى جانب كونها لغة الدين الإسلامي والشخصية العربية الإسلامية الجزائرية.

2- أن اللهجة أو اللهجات هي من بين التنوعات اللغوية المستعملة بشكل عادي في الأقسام التي أجري فيها البحث.

3- وجود استعمال اللهجة حتى أثناء الدروس، وما يجدر به الذكر هنا هو تقبل الطلبة للهجة في تلقين الدروس كونها وسيلة أسرع في فهم الدرس، هذا لا يعني أنه لا يمكن للأستاذ أو الطالب أن يلقن أو يتلقى الدرس إلاّ بالاستعمال اللهجة إلاّ أنه قد يستعمل اللهجة في مواقع معينة وبصفة غير منتظمة أثناء الدروس.

4- اقتناع الطلبة باستعمال اللهجة بصفة غير منتظمة في تواصلهم في كل الحالات لكن هذا لا يمنح من تيقنهم بمنزلة اللغة العربية.

ومن هنا يمكننا استنتاج مايلي:

إن ظاهرة الإزدواجية في الجامعة لا تخضع إلى قوانين أو نظم معينة بل إنها غير مستقرة وترتبط ارتباطا كبيرا بسلوك مستعمليها فعكس ما جاء به

فرغوسون في وصفه للإزدواجية في أول مقالة حيث قال: للإزدواجية هي حالة مستقرة نسبيا في وضعية لغوية التي بالإضافة إلى اللهجات الأولية (التي قد تشمل المعايير للقياسية أو الإقليمية)، هناك تنوع مختلف مقنن للغاية (نحويا في كثير من الأحيان وأكثر تعقيدا) يطبق عليهم.

ومن هنا فإن ظاهرة الازدواجية في الغرب تختلف تماما عن ما يحدث في مجتمعنا، فهي وضعية مرتبطة باختيار الفرد لها فقد نجد استعمال اللهجة بدلا من اللغة في مواقع أين يستلزم العكس وهذا قد يكون سببه الأول محاولة إيصال رسالة معينة بسرعة ولا يعني ضعف مستعمليها للغة العربية الفصحى ولربما كون العربية تتسنى بمكانة راقية جدا في الوسط الاجتماعي إلى درجة أنني يجتنبها البعض مخافة الوقوع في الأخطاء النحوية والصرفية وهذه حالة فلتلاحظ بصفة عادية في مجتمعنا فقد نسمح لأي فرد التكلم باللغة الفرنسية أو أية لغة أخرى دون تصحيح أخطائه بينما لا نسمح لمستعمل اللغة العربية أن يخطئ.

وإلى جانب كون ظاهرة الازدواجية هي من بين الظواهر اللغوية التي يعتبرها الباحثون العرب كمنبع يهدد اللغة العربية وسببها الأول في اندثارها وتعويضها بلغة أو لهجة معينة، فإذا كان هذا الرأي صحيح قد نتساءل كيف نفسر عدد الطلبة الموجود في قسم اللغة العربية والأقسام المستعملة للفصحى في تدريس (انظر ملحق رقم **) وهو في تزايد دائم أكثر منه في أقسام اللغات الأجنبية؛ علما أن اختيار الشعبة حرٌّ وليس مبرمج من طرف رئاسة الجامعة.

أن ما يمكن استخلاصه هو أن ظاهرة الازدواجية مرتبطة أكثر بسلوك الانتقال من تنوع لغوي إلى آخر بدافع الدرائعي .

راجح لعوامل فيزيولوجية اجتماعية ثقافية معينة تتماشى والحالة التي يكون فيها مستعملها.

ويتضح هذا أكثر في الفصل للموالي الّذي سنحاول فيه تفسير ظاهره التلاهج.

– كان من الصعب تحديد هذه الظاهرة في نطاق علمي واحد ولهذا كان من الواجب وضع إطار علمي لمصطلح التلاهج.

I-1- تحديد مصطلح التلاهج: نظرا لعدم وجود هذا المصدر في القواميس فقد آثرت أن أقترح على وزن تفاعل.

تلاَهُجْ ⇐ تَفَاعُلْ أو تَلاَهَجَ ⇐ تَفَاعَلَ

ومن هنا نستطيع أن نجد بعض الكلمات التي تحدو حدوَ هذا المصدر في القواميس العربية فقد جاء في الأمثلة التالية: "ليس في كلامهم مصدر تفاعل إلا على التفاعُلُ بضم العين إلاّ حرفٌ واحد جاء مفتوحًا ومكسورًا ومضمومًا: تَفَاوَت الأمر تفاوُتًا وتَفَاوِتًا وهو غريب مليح حكاه أبو زيد"[1].

وجاء في المقتضب للمبرد: "وتقع زائدة في تفعّل وتفاعل فنحو تشَجَّع وتقرأ، وأما تفاعَل، فنحو: تغافل وتعاقل"[2].

---

[1]– جلال الدّين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص302.

[2]– المبرد: المقتضب، مكتبة المشكاة الإسلامية الالكترونية في باب (ف ع ل).

كما جاء في كتاب العين للفراهدي حيث يقول "والأطعانُ": التطاعن من مطاعنة الفرسان في الحرب تطاعنوا وطعنوا، وكل شيء من نحو ذلك مما يشترك الفاعلان فيه التفاعل والانفعال، نحو تخاصموا واختصموا"، كما قال: التلاعن كتشاتم في اللفظ وكلّ فعل على تفاعل فإن الفعل يكون منها، غير أن التلاعب ربما استعمل في فعل أحد ما، والتّلاعن يقع فعل كل واحد منهما بنفسه ويجوز أن يقع كل واحدٍ بصاحبه فهو على معنيين ويقول الجرجاني في باب التواجد حيث يشرح أكثر هذا المصدر في باب التواجد:

"التواجد استدعاء الوجد تكلفًا بضرب اختيار، وليس لصاحبه كمال الوجد، لأن باب التفاعل أكثره لإظهار صفةٍ ليست موجودة، كتَغَافُلُ والتَجَاهُلُ".

وقد أنكره قومٌ لما فيه من التكلف والتصنع، وأجازه قوم لمن يقصد به تحصيل الوجد، والأصل فيه قوله صلى الله عليه وسلم: "إن لم تبكوا فتباكوا" أراد به التباكي لمن هو مستعد للبكاء، لا تباكي الغافل اللاهي"[1].

ومن هنا نستنتج أن وزن تفاعل هو عبارة عن خلق فعل بين جهتين أو خلط بين فعلين معا أو انتقال من فعل إلى ما يشبه هذا الفعل بكى ⇐ تباكى وفي معظم الأحيان تكلفًا مثل: تواجد ⇐ وجد، غَفَل ⇐ تَغَافَل.

فنستشف أن هناك عوامل التي جعلت فاعل الفعل يتكلف في فعله، جهَلَ ⇐ تَجَاهَل ؛ أي أنّه تعمّد الجهل أو أنه آثر أن لا يأخذ بعين الاعتبار معرفة الشيء بدلاً من العكس لظروف شتّى.

---

[1])- للشريف الجرجاني: التعريفات، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2006، ص51.

كان من العسير أن أحدد ظاهرة التلاهج ومرادفها في اللّغات الأخرى مع أن اقتناعي أنها حالة خاصة بالدول العربية، ولهذا فهي تخص تلك عملية الانتقال من لهجة إلى أخرى في طريقة التكلم.

نظرا لعوامل مؤثرة على المتكلم، فهذا السلوك اللغوي أصبح متداول في مجتمعاتنا العربية كونها غنية بتنوعات لغوية مختلفة، كما أنها لها مميّزات تختلف كثيرا عن المجتمعات الأخرى وهذا منذ القدم، فقد ذكرت هذه الحالة أو هذا النّوع من السلوك في كتاب الخصائص لابن جني حين قال: "أعلم أن العرب تختلف أحوالهم في تلقي الواحد لغة غيره فمنهم يحف ويسرع فيقول ما يسمع، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة، ومنهم من إذا طال تكرار لغة غيره أهدقت به ووجدت في كلامه"[1]؛

بني هذا البحث على بابين أساسيين هما الباب النظري والذي عولج فيه العلاقة بين اللغة واللهجة، ثم تطرقنا إلى اللغة العربية ولهجاتها في إطار دراسة زمنية منذ نشأتها إلى يومنا هذا معتمدين على أهم المراحل التي مرت بها هذه اللغة يأتي القسم الثالث فيها دراسة حول السلوك اللغوي دوافعه وعوامله. أمّا الباب الثاني وهو القسم النظري أين حاولنا دراسة ظاهرتين لهجتين في كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية بجامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، وكان الهدف منها هو وضع علاقة بين السلوك اللغوي للمتكلم وظاهرتي الازدواجية والتلاهج، وهي دراسة ميدانية اعتمدنا فيها على بعض الطرق في

---

[1])- ابن جني: الخصائص، ج1، ص265.

عملية جمع المعلومات وهي طريقة الملاحظ المشارك وطريقة الاحستبيان، ومن هنا يمكننا استخلاص بعض أهم النقاط وهي:

1- معظم البحوث والمصادر خاصة العربية منها اعتمدت على دراسة اللهجات من خلال اللغة العربية الفصحى كأي أنها درست اللهجات من العام إلى الخاص وهذا ما جعلها تستنتج مدى خطورة اللهجة على اللغة أو تردّ ضعف اللغة العربية الفصحى إلى استعمال اللهجات وهذه الطريقة الكبيرة في العالم العربي.

لكن العلاقة بين اللغة واللهجة في الدراسات اللغوية الحديثة لا تنحصر إلا في الكلّ وأجزاءه أي أنها لا تنطلق من منطلق الرّاقي بالمنحط أو الرسمي والغير رسمي.

بل إنها تعتمد على كون كلاهما يعتبران تنوعات لغوية يمكن دراسة كل منهما على حدى، فاعتبار اللغة العربية واللهجات العربية تنوعات اللغوية تتطور كل منهم في محيط اجتماعي معين لا يقلل من شأن العربي ولا يرفع من شأن اللهجة بل يدرسهما حسب ما يلزمه الواقع اللغوي المعاش، وهذا ما يجب أن يتبناه كل باحث في الحقل اللهجي إذا ما أراد أن يخرج بنتائج موضوعية، أما مشكله ضعف اللغة العربية فهو راجع إلى عوامل أخرى قد تكون بعيدة كل البعد عن تطور اللهجات.

2- إن السلوك اللغوي هو نواة الدراسات اللغوية الأوساط الاجتماعية إذ أنه يدرس العوامل والدوافع التي تؤدي بالمتكلم إلى استعمال تنوع لغوي معين في وسط اجتماعي معين، ولا يمكن دراسة أي حالة لغوية أو لهجية معينة دون

المرور بدراسة السلوك اللغوي لأنها قد تشرح العديد من الإبهامات التي قد يقع فيها الباحث وخاصةو الباحث في مجال اللهجات.

3- إن ظاهرة الازدواجية هي مستقرّة كظاهرة لغوية اجتماعية لكنّها غير مستقرّة كسلوك لغوي؛ أي أنها ظاهرة منتشرة في الوسط الاجتماعي العربي نظرا كثرة التنوّعات اللغوية وهذا راجع إلى تاريخ العالم العربي ومراحل تطوّره، لكنّها غير مستقرّة إذا ما ارتبطت بسلوك المتكلّم فهو غير مرتبط بمحيط معيّن أين يجبر أن يستعمل الازدواجية فيه بل هو مرتبط بحالة معيّنة مبنيّة على دوافع وعوامل تتحكّم في سلوكه اللغوي.

كما أنها ظاهرة يطغى عليها الدافع الدرائعي الوسيلي أي أنها تستعمل كوسيلة لبلوغ هدف معين كإيصال رسالة معينة إلى السامع في أقل وقت ممكن، فهي بذلك لا تشكل خطرا على اللغة بل هي مرتبطة وضعية معينة تسمح أو تحيز المتكلم على استعمالها.

4- إن ظاهرة التلاهج هي من أهم الظواهر التي تطغى على المتكلم في مواقع معينة إذا ما توفرت العوامل المتيحة لذلك وأساسها الأول هو الدافع الاندماجي الّذي يجبر المتكلم استعمالها حتى يتسنى له التواصل مع أفرادٍ من محيط معين، وهي تستعمل أكثر بهدف إخفاء اللهجة الأصلية وبذلك المنطقة الأصلية للمتكلم، وبهذا يسهل عليه الاندماج في محيط غريب عنه بسرعة.

وخلاصة القول يمكننا القول أن سواء بظاهرة الازدواجية أو التلاهج يبقى الانتقال من تنوع لغوي إلى آخر لبلوغ أهداف معينة هو سلوك لغوي له أصوله في مجتمعنا ولا يمكن تغييره أو استئصاله منه بل على العكس لابدّ من دراسته والبحث في محاسنه أكثر من مساوئه، فقد يكون عامل تطوير اللغة أكثر

من ضعفها وتاريخ اللغة العربية الفصحى يبين وجود هذا الانتقال من تنوع إلى آخر عبر العصور، فظاهرة الازدواجية والتلاهج هما ظاهرتان عاديتان تسريان في ذلك مجتمعاتنا ولا تهدفان إلى تحطيم اللغة العربية.

فـــهـــرس الـــمـــحتـــويـــات

جامعة مولود معمري تيزي وزو
مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر
الممارسات اللغوية
مجلة نصف سنوية محكمة
ل
L
ليكول أنّاع في خطر !
Notre école est en danger !
ISSN: 2170-0583
2012
العدد : 07

الأنا المقعّرة والأنا المحدّبة قراءة سميائيّة تأويليّة من خلال إعادة النظر في التّعاطي مع بعض العلامات الأيقونيّة د. عبد الرحمان بن يطو. جامعة المسيلة	231
مقال بعنوان الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات التداولية قراءة في الأفعال الكلامية أ. إيمان جريوعة. جامعة منتوري قسنطينة	239
مناهج البحث في علم اللهجات: أهداف ومشاكل أ. فريد داودي. جامعة - تلمسان	255
The Manifestation of the French "Kabyle/Arab Dichotomy" in English Travel Writings SEDDIKI Sadia, RICHE Bouteldja. University Tizi-Ouzou	1
Image Aesthetics and the Stance of Interpretability: Subject/Object Relationships Dr BOUREGBI Salah , University of Badji Mokhtar—Annaba,	15

مناهج البحث في علم اللهجات، أهداف ومشاكل

Dialectology researches methodologies Aims and problems

أ. فريد داودي

جامعة - تلمسان

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى إثراء موضوع مناهج البحث في علم اللهجات وخاصة الجانب الميداني منها أين يجد الباحث نفسه أمام صعوبات في صبر الآراء وطرح الأسئلة لاسيما تلك التي تهدف إلى جمع أكبر كمية من المعلومات التي تخص النوع لغوي واحد أو أكثر. فالسؤال الذي يُطرح دائما هو: ما هي الطريقة العلمية المثلى والأكثر فعالية في الدراسة الميدانية لعلم اللهجات

Abstract

This research paper aims at giving a brief idea about Dialectology as a concept and a science that has got a specific place in Algeria thanks to the different dialects and their degree of complexity that lead to specific language behaviour in Algeria .

It also deals with some examples from different obstacles that are facing the researcher in the field of dialectology in Algeria especially: the problem of data collection, questionnaires

Recordings.....

1- علم اللهجات: المفهوم والوظيفة:

علم اللهجات أو DIALECTOLOGY (من الإغريق ديالكتوس حوار و الكلام ولوجيا أي علم) هو علم يهتم بدراسة اللهجات

أو كما يعرفه بيتر ترود جقل[1](Peter Ttrudgill) على أنه الدراسة الأكاديمية للهجات غالبا ما هو مرتبط بالدراسة الصوتية المعجمية للهجات

التقليدية الريفية، وهي المصدر الأصلي لهذا العلم إلى جانب التوزيع الجغرافي الخاص للهجات التقليدية أما في السنوات الأخيرة فقد اهتم علم اللهجات بالخصائص النحوية مع علم اللهجات الحضري وعلم اللهجات الاجتماعي إلى جانب التوزيع الاجتماعي للأشكال اللسانية .

إن أول الدراسات اللهجية في العالم الغربي بدأت في العقد الثاني من القرن التاسع عشر مع جورج وينكر Georg Wenker (1876) حين اهتم بالاختلافات اللفظية الموجودة بين سكان شمال ألمانيا فكان المنطلق الأول لعلم اللهجات حيث أصبح محل اهتمام علماء اللغة إلى درجة أنه في أقل من 30 سنة تمكن جوزيف رايت Joseph Wright 1905 من إنهاء معجم من ستة أجزاء حول اللهجات الانجليزية بعنوان English Dialect ثم يتجه بعد ذلك في الثلاثينات : الأطلس اللغوي للولايات المتحدة Linguistic Atlas of the United states . ومن خلال هذه الأعمال أصبح الاهتمام الأكبر لعلماء اللهجات هو تحديد اللهجات أو التنوعات اللغوية حسب تواجدها الجغرافي في مناطقها المعينة إلى جانب، كما شرحه ترودقل (Peter Ttrudgill) من قبل مدى اهتمامهم باللهجات الريفية التقليدية أنها أصلية كما هو الشأن بما أصدرته جامعة ليدز في الخمسينيات The survey of English Dialects وهذا ما يؤدي إلى بعض الباحثين باقتناعهم أن علم اللغة الاجتماعي هو منحدر من علم اللهجات.

أما في العالم العربي، فقد اهتم العلماء القدامى باللهجات واللغة كفروق لغوية يتميز بها جمع من الناس من منطقة إلى أخرى فمن سيبويه وابن جني، مرورا بالمبرد والعسكري، الجرجاني وغيرهم من سادة علماء اللغة كلهم اعتبروا دراسة اللغة أحد أعمدة العلوم، إلاّ أنهم لم يحددوا في أبحاثهم علم اللهجات كعلم قائم بذاته فما جاء في كتاب **الخصائص** لإبن جني[2] عن اللغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ما هو إلا دليل على درجة

تحكم العلماء العرب في هذا المجال، فمن خلال هذا التعريف للغة حدد لنا ابن جني فيها الجوانب الخاصة التي لا بد من دراستها الجانب الصوتي (الأصوات) ثم الجانب الاجتماعي (القوم) والجانب الجغرافي والدلالي.

وحتى إذا كان هذا التعريف ينطبق أكثر على اللغة، فهو ينطبق بدلالته على المحاور أو الجوانب التي يعتمد عليها الباحث في علم اللهجات والدليل على ذلك ما جاء في باب **اختلاف اللغات وكلها حجة**[3]:

"اعلم أن سعة القياس تبيح لهم ذلك ولا تحظره عليهم ألا ترى أن لغة التميميين في ترك إعمال ما يقبلها القياس ولغة الحجازيين في إعمالها كذلك لأن لكل واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به ويخلد إلى مثله. وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها. لكن غاية مالك في ذلك أن تتخير إحداهما فتقويها على أختها وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها وأشد أنسابها. فأما رد إحداهما بالأخرى فلا. أولا ترى إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف). هذا حكم اللغتين إذا كانتا في الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين أو كالمتراسلتين. فأما أن تقل إحداهما جدا وتكثر الأخرى جدا فإنك تأخذ بأوسعهما رواية وأقواهما قياسا ألا تراك لا تقول: مررت بك ولا المال لك قياساً على قول قضاعة: المال له ومررت به ولا تقول أكرمتكش ولا أكرمتكس قياساً على لغة من قال: مررت بكش وعجبت منكس. حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال: ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وكشكشة ربيعة وكشكشة هوازن وتضجع قيس وعجرفة ضبة وتلتلة بهراء. فأما عنعنة تميم فإن تميماً تقول في موضع أن: عن تقول: عن عبد الله قائم وأنشد ذو الرمة عبد الملك: أعن ترسمت من خرقاء منزلة قال الأصمعي: سمعت ابن هرمة ينشد هارون الرشيد: أعن تغنت على ساق مطوقة ورقاء تدعو هديلا فوق أعواد وأما تلتلة بهراء فإنهم يقولون: تعلمون وتفعلون وتصنعون بكسر أوائل

الحروف. وأما كشكشة ربيعة فإنما يريد قولها مع كاف ضمير المؤنث: انكش ورايتكش وأعطيتكش تفعل هذا في الوقف فإذا وصلت أسقطت الشين. وأما كشكشة هوازن فقولهم أيضاً: أعطي تكس ومنكس وعنكس. وهذا في الوقف دون الوصل. فإذا كان الأمر في اللغة المعول عليها هكذا وعلى هذا فيجب أن يقل استعمالها وأن يتخير ما هو أقوى وأشيع منها إلا أن إنساناً لو استعملها لم يكن مخطئا لكلام العرب لكنه كان يكون مخطئاً لأجود اللغتين. فأما إن احتاج إلى ذلك في شعر أو سجع فإنه مقبول منه غير منعي عليه. وكذلك إن قال: يقول علي قياس من لغته كذا كذا ويقول على مذهب من قال كذا كذا. وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ وإن كان غير ما جاء به خيراً منه".

ومن هنا، نستطيع أن نستنتج أن الدراسات العربية القديمة مع أنها كانت السباقة في مجال دراسة اللغات إلا أنها لم تعن كثيرا بالفصل بين الدراسات اللغوية واللهجية، مما خلق نوعا من الخلط والالتباس بين المصطلحات.و هذا ما أشار إليه أ.د.عبد الجليل مرتاض (2002)[4]: "...و هذه الإلتباسات أكثر ما تعثر عليها فيما يصدر عن العرب دون الغربيين من مؤلفات ومقالات، ولذلك لا تعجب كثيرا إذا كنت لا تعدم عناوين في اللهجات...بالقياس إلى ما يوجد من تكلمات لهجية عربية قد تعد بالآلاف..."

أما د. صادق عبد الله أبو سليمان[5] فيعرفه على أنه علم يدرس خصائص اللهجات في اللغة الواحدة كما يظهر في الفروق الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ويرجع الفضل في ظهور هذا العلم واستقراره لعلم اللغة التاريخي.

إلا أنه ما يعانيه الباحث قبل كل شيء هو صعوبة جمع المادة الأولية لبحثه، فأساس البحوث في علم اللهجات هو الاعتماد على جمع المعطيات للهجة أو لهجات معينة في مناطق معينة من خلال تسجيلات أو طرح الأسئلة سواء

شفهية أو كتابية لنموذج من أفراد المجتمع؛ وهذا ما يعرف بالدراسة الميدانية وجمع المادة، فما هي أحسن منهجية يتبعها الباحث في جمع وتحليل المعلومات؟

2- **مناهجه:** سنعرض في هذا البحث ثلاثة مناهج كل واحد منهم يعتمد على طريقة خاصة في جمع المادة؛ ذاكرين في نفس الوقت محاسنها ونقاط ضعفها في مجال البحث العلمي اللهجي.

أ- **طريقة: المشارك المراقب: participant observation**

وهي منهجية تستعمل أكثر في علم الأنثروبولوجيا حيث تعتمد على تقارب الباحث من العينة المراد بحثها دون التدخل فيها. مراقبة من بعيد أو كما يصفها علماء النفس بطريقة ذوبان الباحث في المحيط وهذا أثناء مراقبتهم لتحركات وسلوك الأطفال. لقد أشارت ميلوري[6] Millroy إلى هذه المنهجية مشيرتا إلى محاسنها ومساوئها فحددتها فيما يلي :

1/ من محاسنها:

أ- من خلالها نستطيع أن نتحصل على عينة من اللغة اليومية

ب- يمكن أن تعطي نظرة دقيقة على الأعراف الاجتماعية والتواصلية للمجتمع.

ج- يمكن أن تفسر مدى أهمية لغة المتكلم في وسط مجتمعه.

2/ نقاط ضعفها:

أ- إن البيانات مهما كانت جيدة، لا يمكن أن تقع ضمن سياق اجتماعي لغوي أوسع إذا لم تكملها بيانات سياقية من دراسات ذات نطاق أوسع

ب- تتطلب هذه الطريقة موارد فردية كبيرة من طاقة ومثابرة ووقت طويل، براعة ومشاركة عاطفية.

ج- مسرفة في مجال البيانات إذ أن كمية البيانات المحصل عليها أكبر من كمية البيانات القابلة للتحليل أي أن الباحث يستلزم عليه جمع أكبر كمية من البيانات للحصول على كمية صغيرة بعد التحليل.

د- صعوبة العثور على عدد كافٍ ومتنوع من المشاركين الذين تتوفر فيهم الصفات والمعايير المطلوبة لعينة سليمة مع كل هذا فإن (ترود قل[7] 1974) نجح من خلال هذه المنهجية في وصف ودراسة لعينة محددة للغة الإنجليزية في النرويج بينما لم تنجح كثيرا (ملروي) في دراستها للطبقة العاملة بيفاست بتقديمهم نفسها كصديقة لصديقة حتى تتوطد علاقتها مع هذه الفئة .

II- طريقة الستار المتطابق أو « Matched-Guise Technique »:

هي طريقة تعتمد أصلا في مجال علم النفس الاجتماعي وهي تعتمد أساسا على ملاحظة مدى تأثير سلوك بعض أفراد المجتمع على الآخرين بتسجيل بعض السلوكيات عن طريق شريط الفيديو أو الصوتي لبعض الأفراد وعرضها على الآخرين من نفس المجتمع لملاحظة رد الفعل.

استخدمت هذه الطريقة في علم اللغة الاجتماعي وخاصة في علم اللهجات لملاحظة مدى قبول أو رفض بعض أفراد المجتمع للآخرين في مجال العلاقة بين اللهجة واللغة واللكنة بتسجيل محادثة أو قراءة نص بطريقة أو لهجة معينة من طرف بعض أفراد المجتمع وعرضها على أفراد آخرين فيلاحظ مدى تقبلهم أو رفضهم لهذه اللغة بالإدلاء برأيهم باللهجة أو اللغة أو اللكنة التي يريدونها ففي نفس الوقت يتحصل الباحث على قدر كبير من عينات التنوع اللغوي المراد تحليله إلى جانب تحديد مدى العلاقة بالتنوعات اللغوية الأخرى .

إلا أن هذه الطريقة تستحسن إلا في الدراسات التي يتسم بالعلاقة الموجودة بين اللغة واللهجة أو اللهجات أو بين لغات ولغات أخرى إلى جانب أنها تعتمد أكثر على عينة صغيرة من أفراد المجتمع فهي أكثر شخصية وبعيدة نوعا ما الموضوعية.

ومع أن ستيا بلتش[8] Stieblich نجح في تطبيقها على بعض أفراد المجتمع الكندي إلا أن هذه الطريقة تبقى ناقصة شأنها شأن الطريقة الأولى .

III- طريقة المقابلة والاستبيان interview and questioner:

من بين المناهج الأكثر شيوعا في علم اللهجات هي طريقة المقابلة والاستبيان هي في نفس الوقت طريقتين لكن أساسها واحد.

01- المقابلة: وهي تعتمد على لقاء بين العينة سواء فرد أو جماعة بالباحث يتم من خلاله جمع معلومات شفوية مباشرة من العينة ومن شروطها أن تكون موضوعية هادفة محددة ومن مزاياها

- كمية المعلومات كبيرة تسمح للباحث أن يحللها
- تمكين الباحث بتسجيل انفعالات وسلوكيات المبحوث مباشرة حسب الموضوع.
- تعفي المبحوثين من الإدلاء بآرائهم كتابيا إذا لم تكن رغبتهم خشية تسجيل آرائهم خطأ .

أما من عيوبها:

- تكلفتها مرتفعة بالمقارنة مع الاستبيان
- تحيز من قبل الباحث أو المبحوث
- إعطاء بيانات خاطئة للباحث نظرا للعلاقة الغير وطيدة الموجودة بين الباحث والمبحوث

02- الاستبيان:

هي عملية استجواب يتم من خلالها طرح الباحث عدد معين من الأسئلة على المبحوث وهذا من خلال استمارة أسئلة يجيب عنها المبحوث وهي كما فسرها فرانسيس [9] FRANCIS نوعان مباشرة وغير مباشرة، فالغير مباشرة يعتمد فيها الباحث على إرسال الاستمارة عن طريق البريد أو توزيعها للمبحوثين على أن ينتظر ردهم. أو بطريقة مباشرة وهي طريقة قريبة من المقابلة حيث يسأل الباحث المبحوث ويسجل في الاستمارة مباشرة ومن عيوبها.

- كتابة الأجوبة غير لائقة خاصة إذا كانت استمارة الأجوبة لا تتطلب بيانات شخصية للمستجوب.

- أجوبة غير موضوعية حيث في بعض الأحيان، يحاول المستجوب، من خلال أجوبته، إرضاء الباحث.

- تأثير الباحث على المستجوب سواء بطريقة طرح الأسئلة أو مثلا بمنظره وفي هذا المجال يقول أوبنهايم Oppenheim[10]: كل محاور يجب أن يتعلم كيف يواجه التحيزات والتشوهات التي تخلف هذه المشاكل.

أما من عيوب طريقة المقابلة والإستبيان :

- عدم توازن العلاقة بين الباحث والمبحوث فسواء كانت المقابلة حرة أو مقيدة، وسواء كان الإستبيان مباشر أو غير مباشر فإن هناك علاقة سائل ومستجوب وهنا في بعض الأحيان يجد المبحوث نفسه وكأنه في امتحان شفوي أو كتابي، فيرتبك أحيانا أو يحاول إنهاء هذه العملية في أقل وقت ممكن.

- طريقة إلقاء الأسئلة: خاصة في علم اللهجات حيث أن المقابلة أو الاستبيان المباشر لابد أن يكون بطريقة لا تؤثر على المستجوب ففي بعض الأحيان يتبع المستجوب طريقة كلام الباحث وإذا تكلم الباحث باللغة العربية فطريقة الجواب تكون غالبا بنفس اللغة إذا كانت بلهجة معينة تكون الأجوبة بنفس اللهجة أو ما يقاربها وهذا حتى وإن لم يكن المستجوب يحسن هذه اللغة أو اللهجة ولا ربما ما نراه غالبا في المقابلات التلفزيونية لأكبر دليل على ذلك.

ومن هنا نستخلص أنه لا توجد منهجية مثلى في جمع المادة ولكل منهم نقائص وعيوب مما يجعل للباحث مشكلة تدقيق في معلومات أكبر شغله من تحليلها ولهذا فالطريقة المثلى للباحث في علم اللهجات هو استعمال هذه المناهج الثلاثة في آن واحد أو بالترتيب، إذ يستعمل الباحث طريقة المشاركة والمراقبة كمرحلة أولى وبهذا يستهدف عينة من الأفراد وفي نفس الوقت يتسنى له الدخول في توطيد علاقة تسمح له بأن يتعدى الحواجز الموجودة بين المستجوب

والباحث، ليتسنى له بعد ذلك القيام سواء بالمقابلة أو الاستبيان لكن يشترط في هذه الحالة أن يعطي الوقت الكافي لتوطيد العلاقة أكثر من الوقت للمقابلة أو الاستبيان. وإذا نجح في تطبيق هاتان الطريقتان فإن الطريقة الثالثة تكون أسهل إلى جانب أن لا بد للباحث إن يطبق نفس العينة ثلاثة طرق حتى يتسنى له جمع المواد الثلاثة كل واحدة على حدا ثم في الأخير يقارن بين كل البيانات المجمع في نقطة التشابه بين هذه الطرق الثلاثة، هي الخلاصة التي يستطيع أن يستنتجها.

ولا ربما العيب الوحيد في هذه المنهجية هي الوقت الطويل المستغرق لهذه التجربة إلا إذا اعتبرنا أن المجتمع هو المخبر لتجاربنا العلمية فإن الوقت لا قيمة له بالمقارنة مع النتيجة الموضوعية المحصل عليها إلى جانب أنها المنهجية الوحيدة التي تستطيع أن تعطي تكافؤ كبير بين الكمية أو الكم the quantity والنوعية أو الكيف the quality في مجال البحث اللهجي.

المصادر والمراجع

1 -Chambers, J.K. and Peter Trudgill. 1980. "Dialectology. *Cambridge: Cambridge University Press.*

2- Elizabeth Mary Wright, *The Life of Joseph Wright* (Oxford University Press, 1932)

3-Ferguson, C, A. (1964). Diglossia in Language, Culture and Society. In Dell

4-Francis, W. N. (1983). Dialectology: An Introduction. Longman Group Ltd.

5-Hymes (ed). A Reader in Linguistics and Anthropology. Harper and Row Publishers. 1964. New York.

6-Milroy, L. (1980). Language and social networks. Language in Society 2. Blackwell Publishers Ltd.

7-Milroy, L. (1987). Observing and Analysing Natural Language. A critical account of sociolinguistic method. Blackwell Publishers Ltd.

8-Oppenheim, A, N. (1966). Questionnaire design and attitude measurement. Educational Books Ltd. 1992 edition. Heinemann Educational Books Ltd.

9-Stieblich, C (1986). Interpersonal Accommodation in a Bilingual Setting. International Journal of the Sociology of Language, 10: 158-176.

10-Trudgill, P. (1974). The Social differentiation of English in Norwich. Cambridge University Press.

Trudgill,P. (1992) Language and Society . Penguin Books Ltd 11-

12- الموصلي أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص. عالم مكتب الطباعة والنشر والتوزيع 2006.

13- د. صادق عبد الله أبو سليمان: قطوف- 1992

14- أد / عبد الجليل مرتاض: مقاربة أولية في علم اللهجات .الطبعة الثانية. دار الغرب للنشر والتوزيع 2002

---

1 - Trudgill, P. (1992) Language and Society. Penguin Books Ltd. P25.

2 – الموصلي أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص. كتب عالم الطباعة والنشر والتوزيع 2006 ص 12.

3-مرجع نفسه، ص 169 .

4-أد / عبد الجليل مرتاض: مقاربة أولية في علم اللهجات. الطبعة الثانية. دار الغرب للنشر والتوزيع ص 09.

5- د. صادق عبد الله أبو سليمان: قطوف-1992 ص50.

6- Milroy, L. (1980). Language and social networks. Language in Society 2.4ص Blackwell Publishers Ltd.

7 - Trudgill, P. (1974). The Social differentiation of English in Norwich. Cambridge University Press. 20 ص

8 - Stieblich, C (1986). Interpersonal Accommodation in a Bilingual Setting. International Journal of the Sociology of Language, 10: 158-176.

9 - Francis, W. N. (1983). Dialectology: An Introduction. Longman Group Ltd.130 ص

10 - Oppenheim, A. N. (1966). Questionnaire design and attitude measurement. Educational Books Ltd. 1992 edition. Heinemann Educational Books 66ص Ltd.

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

مجلة
الفضاء المغاربي

مجلة دورية محكمة يصدرها
مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها
في المغرب العربي

العدد السادس و السابع

السنة الثامنة ذو الحجة 1432هـ/ نوفمبر 2011 م

رقم الإيداع القانوني
508-2003
الترقيم الدولي
ISSN: 1112- 4067

قراءة في مخطوط معالم الاستبصار بتفصيل الأزمان ومنافع البوادي والأمصار لمحمد بن علي الشريف الزواوي الشلاطي..... 261
أ/ د.الشريف رابحة
قراءة في كتاب «رحلة ابن خلدون»، التعريف بابن خلدون و رحلته شرقا و غربا،الرحلة إلى تلمسان و المغرب الجزائري، و تأليف كتاب «المقدمة» نموذجا 261
عبدالحفيظ بقيسي
قراءة لابن جني في ظل علم الاجتماع اللغوي الحديث..... 294
أ/ شريط دارجي

قراءة لابن جني في ضوء علم الاجتماع اللغوي الحديث

الأستاذ: فريد داودي

جامعة تلمسان

يهدف هذا البحث إلى وضع علاقة بين أعمال ابن جني في مجال اللغة في القرن الرابع الهجري وماهو مقتضى في الدراسات الغربية الحديثة من خلال تحليل جملة نموذجية من كتابه الشهير «الخصائص وما يقابلها في علم اجتماع اللغوي الحديث خاصة ماجاء به «Petre trudguill" في كتابه "Introducing Language and Society وهوكتاب خاص بالمصطلحات المستعملة في علم اجتماع اللغوي.

وبذلك قد نصل إلى إعطاء لمحة ولو مبسطة على دور علماء العرب، ومن بينهم ابن جني في تطور الدراسات اللغوية الحديثة. كما أنه من خلال هذا البحث نحاول أن نعطي لابن جني مكانته كمنطلق لعلم أصبح الدّعامة الأساسية في الدّراسات اللغوية الحديثة.

ينقسم هذا البحث إلى قسمين وهو: أولا: نبذة عن نشأة وحياة ابن جني إذلا يمكن التحدث عن أعماله دون معرفة هذا العالم الجليل.

ثم في القسم شرح أحد أقوال ابن جنّي في كتابه الخصائص من خلال المصطلحات الحديثة لعلم الاجتماع اللغوي معتمدين في ذلك على كتاب المصطلحات البيترتر وجقيل Pater Teudguill.

نشأة ابن جني وحياته:

هوأبة والفتح عثمان بن جني الموصلي ولد بالموصل سنة 322هـ وتوفي سنة 392هـ. ولم تذكر كتب التاريخ نسبًا له إذكان أباه عبدًا روميًا مملوكًا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي[1].

وإلى هذا أشار ابن جني إلى نسبة فقال:

فإن أصبح بلا نسب ... فعلمي في الورى سببي
على أني أؤول إلى ... قروم سادة نجب
قياصرة إذا نطقوا ... أرمّ الدهر ذو الخطب
أولاك دعا النبي لهم ... كفى شرفاً دعاء نبي

تلقى دروسه الأولى بالموصل على يد أحمد بن محمد الموصلي الأخفش[2]. ويذكر ياقوت الحموي أن ابن جني صاحب أبا علي الفارسي أربعين سنة فأخذ وتعلم على يده ومنه، ويعتبر أبو علي الفارسي أهم شخصية علمية أثرت في تكوينه تأثيراً بالغاً وهذا ما نجده جلياً في كتابه «الخصائص» أين يذكر معلمه في كثير من المواقف.

التقى ابن جني بالمتنبي بحلب عند سيف الدولة الحمداني فنشأة علاقة خاصة بينهما حتى إذا ما سئل المتنبي عن شيء من دقائق النحو والتصريف في شعره يقول: «سلوا صاحبنا أبا الفتح، وقال أيضا المتنبي في ابن جني: «هذا الرجل لا يعرف قدره كثير من الناس»[3].

إن القرن الرابع الهجري هو قرن الانقسامات كبيرة في العالم الإسلامي والذي يُمثل بعصر الضعف للدولة العباسية ومصر أصبحت بين الفاطميين ثم الإخشيديين، وولايات فارس يتداولها كل غالب، ومنطقة كبيرة يتولاها الحمدانيون.

فعمّ الفساد وانتشرت الفوضى والنزاعات لكن هذه الحالة لم تؤثر كثيرا على الجانب العلمي، فأصبح العالم الإسلامي أعلى شأنا في العلم في ذلك الوقت من القرون التي سبقت، وهذا بفضل امتزاج الثقافات الناتجة عن اتساع الدولة الإسلامية إلى جانب تشيع الخلفاء للعلوم خاصة الطب وعلم التجوم.

كما اهتمّ العلماء بالفلسفة والرياضيات وطوّروا التراجم من وإلى العربية، فأنشأت دور الكتب وشيدت مؤسسات علمية التي تعتبر في ذلك الوقت قمّة التطوّر العلمي، ولربّما كان ابن جنّي نتاج ذلك التقدّم، حيث تصدّر المجلس العلمي ببغداد بعد موت معلّمه أبو علي الفارسي فتتلمذ على يده لعدد من أعلام الأدب واللغة كالمتنبي

وعبد السلام البصري وأبو الحسن السمسمي وغيرهم.

فأصبح أبو الفتح أحد أعلام العالم الإسلامي في النحو، والصرف، وفقه اللغة، والأدب، والشعر، فصدر عنه ما يفوق الخمسين كتاب أثرى بها مكتبة العالم الإسلامي؛ فبلغ مرتبة علمية لم يصلها إلاّ القليل، وما يدرس عنه في عصرنا الحديث عن أعماله وجهوده العلمية لهو دليل كاف على مكانته ونبوغه.

ابن جني في علم الاجتماع اللغوي

لقد اعتمد ابن جنّي على السماع القياس والتحليل في دراساته، وهي مناهج يستعملها لحد الآن الباحثون في مجال علم الاجتماع اللغوي وخاصة علم اللهجات الّذي يتطلّب البحث في الميدان بين أفراد المجتمع فنستطيع القول أنّ ابن جني قد ابتكر ما يسمّى بنهج الملاحق المشارك Participant Observation في تقصيه الاختلافات بين طرق علام كل منطقة. كما أنه استعمل لفظ "لغة" للدلالة على طريقة كلام كل فرد من أفراد المجتمع دون وضع فرق بين ما هو معروف باللهجة واللغة وهذا ما نجده كثيرا في معظم البحوث الحديثة، أين يفسر العديد من علماء علم الاجتماع اللغوي أنه لا يوجد لغة ولا لهجة بل يوجد ما يعرف بالتنوع اللغوي Language Variety وقد نستشف هذا فيما ذكره في كتابه "الخصائص" حين وصف اللغة بأنّها: "كلام يعبّر به النّاس عن أغراضهم".

كما ذكر ابن جني في كتابه أيضا ما يعرف بالسّلوك اللغوية Language Attitudes حين قال: "أعلم أنّ العرب تختلف أحوالهم في تلقي الواحد لغة غيره فمنهم يحف ويسرع فيقول ما يسمع، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة، ومنهم من إذا طال تكرار لغة غيره ألصقت به ووجدت في كلامه"، ومن هنا يمكننا تحليل وتحديد ما قاله ابن جني منذ قرون لما يحدث الآن في علم اللهجات: فيقول أعلم أنّ العرب تختلف أحوالهم في تلقي الواحد لغة غيره يمكننا تفسير هذا بما أطلق عليه في اللسانيات الاجتماعية أو علم اللهجات بمصطلحين الاحتكاك اللغوي Language Contact أو التواصل

اللهجي Dialect Contact

فأما الأول فيقول ترودجقيل Trudjguill أنه مصطلح يصف حالة التي يوجد فيهما اثنين أو مجموعة من المتكلمين ليست لهم نفس اللغة (لغة أم) في وضعية تجبرهم على الاتصال بينهم:

Language Contact

A situation where two or more group of speakers who do not have a native language in common are in social contact with one another or come into such contact. communication between the group may be difficult in the short term and in the long term lead to the different languages influencing one another ,as a result of bilingualism on the part of the speakers involved language contact may lead to or involve phenomena such as borrowing, cod switching,language shift, lingua franca, multilingualism, and pidginization4.

أما المصطلح الثاني وهو الاحتكاك اللهجي Dialect Contact فيقول ترودجقيل أيضا: هو الاحتكاك بين تنوعات لغوية جاءت نتيجة التواصل بين المتكلمين للهجات مختلفة لكنها ذات تفاهم متبادل (Mutually Intelligible) كما يتطلب هذا الاحتكاك التوافق (Accommodation) بين التنوعات اللغوية، هذا الاحتكاك هو شائع جداً لكن في نظر اللسانيين تبقى أهميته عندما يتعدّى النطاق الضيق لمنطقة معينة ليتطور عبر ما يسمى بالحدود اللهجية والإيزوجلوس (Isogloss) أو ما يحدث نتيجة تحول مناطق من ريفية إلى مدنية أو نتيجة الاستعمار في هذه الحالات تتطور هذه الظاهرة إلى ما يعرف بالخليط اللهجي (Dialect Mixture) أو فرط في التأقلم (Hyper adaptation).

Dialect Contact

Contact between linguistic varieties which result from communication between different but mutually intelligible dialects often involving accommodation . such communication of course very common indeed ,but ,from the point of view of sociolinguistics ,such contacts are particularly interesting where they occur on a large scale such as at dialect boundaries or as a result of urbanization or colonization. In these cases phenomena such as dialect mixture or hyper adaptation may occur5

Accommodation

The process whereby participants in a conversation adjust their accent ,dialect or other language characteristics according to the language of the other participant(s) .accommodation theory as developed by the British social psychologist of language Howard Giles stresses that accommodation can take one of the major forms :convergence. when speakers modify their accent or dialect etc.... make them resemble more closely those of the people they are speaking to and, less usually, divergence when in order to signal social distance or disapproval ,speakers make their language more unlike of their interlocutors accommodation normally takes place during face to face interaction . 6

ويواصل ابن جني فيقول: " . . . فمنهم من يحف ويسرع فيقول مايسمع" وهي ما رأيناه من نتائج في الاحتكاك اللغوي والاحتكاك اللهجي. فالتواصل بينهم يكون صعبًا في بادئ الأمر لكنه ومع مرور الوقت يخلق نوع من التأثير والتأثر والنتيجة هي الثنائية اللغوية Bilingualism أو يؤدي إلى ظواهر أخرى مثل: الاقتراض Borrowing الانتقال اللغوي Code Switching التحول اللغوي Language Shift اللغة المشتركة (Lingua Franca) تعدد اللغات (Multilingualism) أو التبسيط اللغوي (Pidginization).

Language shift

Can be described as a process through which "a particular community gradually abandons its original native language and goes over to speaking another one instead" The definition of language or code-switching refers to the use of two or more language varieties in the same conversation7.

Code Switching

The process of bilingual or bidialectal speakers switch back and forth between one language or dialect and another within the same conversation . this linguistic behavior is very common in multilingual situation. 8

أما القسم الثالث من شرحه فيقول: . . . ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة . . .

فهو ما يعرف في العصر الحديث بالقومية (Nationalism) في اللسانيات الاجتماعية وهي تحدث في معظم الأحيان نتيجة مقاومة لأفراد مجتمع متعدد اللغات للغة معينة لأسباب معينة وقد يؤدي هذا إلى اعتماد لغة معينة في التخطيط اللغوي.

كما أنه قد تسمح لنفس أفراد المجتمع باختيارهم للغة معينة كرمز لهويتهم أو رمز لتقدمهم . . . فالكتلانية le Catalan في إسبانية ومع أنها لغة جهوية إلا أن الكتلانيين يصرّون على استعمالها في تواصلهم مع الجهات الأخرى من البلد لأنها رمز لهويتهم. لكن في الهند اختار أفراد المجتمع اللغة الانجليزية التي كانت لغة المستعمر فأصبحت القاسم المشترك بين كل اللّغات الموجودة في الهند وهي كثيرة إلى جانب أنّها تعتبر رمز لتقدمهم ومكانتهم دورهم في الاقتصاد العالمي.

Nationalism

Feeling and sentiment that to do with nationality . nationalism is distinct from -and may in some cases in certain situations be in conflict with -practical issues concerning nationism . In a multilingual society such as India. nationism might be the best choice as the official language ,while sentiments of nationalism might favor in indigenous languages such as Hindi and Tamil9 .

أمّا في الأخير فيقول ابن جني: " . . . ومنهم من إذا طال تكرار لغة غيره ألصقت به ووجدت في كلامه"؛ وهذا ما رأيناه أيضا عند للسانيين حين يتكلمون عن الثنائية اللغة والازدواجية، إلى جانب الانتقال اللغوي، وبهذا فقد لخص ابن جني في بضع أسطر ما شرحه علماء علم الحديث في مجلدات.

الهوامش

1- ابن خلكان أحمد بن محمد 1977: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. دار الثقافة. بيروت، ص: 246.

2- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. المكتبة العصرية. بيروت. 185.

3- وكيبديا.www

4 - Peter Trudguill, (1992)Introducing language and society Series editor david crystal penguin books.45.

5)- Op cit p24

6)- Op cit p7

7)- M.Sctton (1986). Diglossia and Code Switching. In J. A. Fishman, A. Tabou ret-Keller,M. Clyne, B. Krishnamurti and M. Abdulaziz (eds), Sociolinguistics and the Sociology of Language,. Mouton de Gruyter. The Hague. p 403.

8)- Petrer trudguill (1995). Sociolinguistics: An Introduction to Language and Society.

Penguin Books.p175

9)- Op cit p54

المراجع:

1)- ابن خلكان أحمد بن محمد 1977: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. دار الثقافة. بيروت.

2)- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. المكتبة العصرية. بيروت.

3}- وکیپیدیا.www

4)- Peter Trudguill, (1992)Introducing language and society Series editor david crystal penguin books.

5)- M.Scrton (1986). Diglossia and Code Switching. In J. A. Fishman, A. Tabou ret- Keller,M. Clyne, B. Krishnamurti and M. Abdulaziz (eds), Sociolinguistics and the Sociology of Language,. Mouton de Gruyter. The Hague.

6)- Petrer trudguill (1995). Sociolinguistics: An Introduction to Language and Society,Penguin Books.